منداية
نشر وتوزيع

الليدي دراوور

الصابئة المندائيون

ترجمة:
نعيم بدوي
غضبان الرومي





Author: E.S.Drower	المؤلف : الليدي دراوور
Title:The Mandaeans of Iraq and Iran	عنوان الكتاب : الصابئة المندائيون
Translator:Naiem Badawi	المترجم : نعيم بدوي
Ghadhban Roumi	غضبان رومي
Al- Mada P.C.	الناشر : دار المدى للثقافة والنشر
First Edition : 1969	الطبعة الأولى : ١٩٦٩
Second Edition: 2006	الطبعة الثانية : ٢٠٠٦
Arabic Copyrights © Al- Mada	الحقوق العربية محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ أو٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان - بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧

E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣

almadapaper.com

almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

الليدي دراوور

الصابئة المندائيون

ترجمة

نعيم بدوي - غضبان رومي



مقدمة المترجمين

بدأ اهتمام العلماء المسلمين في الصابئين منذ أن ورد ذكرهم في القرآن الكريم باعتبار دينهم ديناً قائماً بذاته كالأديان الكتابية الأخرى المعروفة. وقد اختلف الرأي فيهم فمن الباحثين من اعتبرهم وثنيين عبدة كواكب، ومنهم من قال، إنهم على دين كتابي خاص، هو ما ذهبت إليه الآيات القرآنية الكريمة، ولهذا عوملوا معاملة أهل الأديان الكتابية وأخذت منهم الجزية "وقد اقترح أبو يوسف" أن يصير أمر الجزية في الأمصار الكبيرة إلى رجل من أهل الصلاح في كل مصر، ويصير معه أعوان يجمعون إليه أهل الأديان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين. (١)

كما بدأت الأبحاث عنهم لدى الغربيين بابتداء الرحالة بالجواس خلال أقطار الشرق الأوسط وما بين النهرين منذ القرن السابع عشر الميلادي. (٢)

وكثر الحديث عنهم في القرن الأخير فألفت فيهم الكتب ونشرت مقالات وأبحاث قام بها شرقيون وغربيون. (٣)

وكنا نحن أبناء هذه الطائفة نقرأ مايكتب عنهم ونتابع ما يتوصل إليه الباحثون في شأنهم ونقارن بينهم وبين معتقداتهم الحقيقية، فنقر البعض وننكر البعض الآخر. إلا أننا لم نبد رأياً مكتوباً مستنداً إلى وثائق دينية صابئية لأسباب قد يكون منها أن رجال الدين الصابئي لا يعاونوننا لأنهم لا يقرون علنية الدين فذلك يتعارض وباطنيته، إضافة إلى أن الدين ليس تبشيرياً، وإنهم طائفة صغيرة قليلة العدد وإن ما يكتب عنهم لا يضيرهم في شيء ما داموا يتمتعون بالمسامحة الدينية التي تمكنهم من ممارسة شعائرهم بحرية كما هو واقع الحال. يضاف إلى ذلك أن المثقفين من أبناء هذه الطائفة عموماً، الذين يهمهم نشر المعلومات الحقيقية العلمية عنهم، تنقصهم معرفة لغة الكتب الصابئية بصورة دقيقة وعميقة، فهي كتب مدونة باللغة المندائية وهي أحد فروع اللغة

الآرامية ولذلك فهم يتهيبون الخوض في موضوع يتطلب دقة معرفة هذه اللغة بالإضافة إلى معرفة اللغات السامية الأخرى. إلا أن مجانبة كثير من الحقائق التي قام بنشرها المؤرخون والباحثون العرب في الوقت الحاضر، إضافة إلى ما نشر عنهم الباحثون الإفرنج وما ترجموه من كتبهم(٤) دفعنا بادئ ذي بدء رغم كل الصعوبات التي ذكرناها، إلى محاولة تأليف كتاب عنهم نعتمد فيه على ما نعرفه نحن عن دينهم ممارسة ومشاهدة ونقلاً عن شيوخهم والعارفين من بينهم ثم على كتبهم المخطوطة التي لا يزالون يسيرون على تعاليمها إلى يومنا هذا؛ وقد تم فعلاً تأليف الكتاب (*) إلا أن صعوبات كثيرة اعترضت سبيل نشره منها أنه وقد ألفه بعض أبناء هذه الطائفة، قد يؤخذ على أنه مجرد دفاع عنهم بوجه منتقدي عباداتهم أو أنه محاولة لإقناع الآخرين بأنهم طائفة ذات دين متسامح معه ومجرد نفي تهمة عبادة الكواكب عنهم.

إن المصادر المعتمد عليها فيما ألفناه مصادر صابئية بالدرجة الأولى واقتباساتنا من مخطوطات موجودة فعلاً، وعن طريق الترجمة في اللغات الأجنبية.

لهذا ولغيره من الأسباب طرحنا فكرة نشر كتاب مؤلف وقمنا بترجمة كتاب ألفته عنهم (الليدي دراوور) المستشرقة الإنكليزية المعروفة مقابلين بين ما ورد فيه وبين ما هو موجود فعلاً لديهم موضحين ومصححين ومعلقين حسبما تقره الحقيقة.

والكتاب المترجم وعنوانه (المندائيون في العراق وإيران) في قسمين قمنا نحن بترجمة القسم الأول منه وهو يعالج تاريخ الصابئين وتسميتهم وعاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية ولغتهم بالتفصيل. أما القسم الثاني منه وهو خاص ببعض الأساطير والقصص الدينية فقد أجلنا نشره في الوقت الحاضر على أمل العودة إليه في وقت آخر وإخراجه جزءاً منفصلاً قائماً بذاته.

ويحتوي القسم الأول من الكتاب على أربعة عشر فصلاً مع ملاحظات المؤلفة على كل فصل يجدها القارئ بعد كل فصل من فصول الكتاب. أما تعليقاتنا وشروحنا فقد أثبتناها في أسفل الصفحات، كما قمنا بترجمة بعض الطقوس الدينية مثبتين نطقها مكتوباً بالحرف العربي لتسهل قراءتها.

(*) الكتاب المقصود هو غير هذا الكتاب المترجم، وهو كتاب لم ينشر بعد.

إن أهمية كتاب الليدي دراوور تكمن في كونها اتصلت شخصياً وبصورة مباشرة بالصابئين في العراق وفي إيران، وقد استمرت هذه الصلة حوالي أربعة عشر عاماً قضتها دراسة ومشاهدة بل وحتى ممارسة في بعض الأحيان لبعض المراسم لإتقانها وتسجيلها تسجيلاً دقيقاً. وتعتبر المؤلفة في الوقت الحاضر المرجع الأجنبي الرئيسي في دين الصابئين وفي لغتهم، وقد استمر بحثها عنهم مدة ربع قرن تقريباً بعد انتهائها من كتابها هذا المطبوع عام ١٩٣٧ ونتج عن تتبعها ودراستها لدينهم وللغتهم أن قامت بالتعاون مع الدكتور رودولف ماتسخ (٥) بتأليف قاموس في لغتهم اسمه (قاموس اللغة المندائية) وهو قاموس مندائي إنكليزي طبع عام ١٩٦٣ في أكسفورد يعتبر المرجع الوحيد في لغة الصابئين في الوقت الحاضر.

فمن هم هؤلاء الصابئون المندائيون الذين تتحدث عنهم الليدي دراوور في كتابها المترجم هذا ؟

حول ضفتي الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمونه البطائح منهما حيث يصب النهران العظيمان مياههما في الأهوار وحيث يلتقيان في مدينة القورنه قبل أن يفرغا مياههما في الخليج العربي، وفي بطائح عربستان من بلاد إيران حول نهر كارون الذي يصب هو أيضاً مياهه في الخليج ذاته، في تلك الأصقاع عاش ولا يزال يعيش بقايا طائفة يطلق عليها اسم الصابئين أو الصابئة أو الصبة وتطلق هي على نفسها اسم (المندايي). وكان الصابئون المندايي هؤلاء يقطنون تلك الأصقاع حين فتحت الجيوش الإسلامية بلاد الساسانيين وكانوا بأعداد كبيرة (٦) تكفي لأن يذكرهم القرآن الكريم باعتبارهم ديناً كتابياً ويمنحهم الحماية ويسميهم (الصابئين) هذه التسمية التي لا يزالون يعرفون بها اليوم والتي تضمن لهم وجودهم وعيشهم بين المسلمين كدين كتابي متسامح معه (٧).

واسم "الصابئين" كاسم لهذه الطائفة غير معروف عندهم دينياً فهم يعرفون أنفسهم باسم (مندايي) (٨) كما ذكرنا فلا بد إذاً من أن تكون تسميتهم بالصابئين قد جاءت من الأقوام حولهم، فإذا علمنا أن الشعار الرئيسي لديهم هو الارتماس في الماء الجاري وأن طهارتهم اليومية تمارس كذلك عن طريق الاغتسال في الماء وأن هذه الممارسة تسمى (مصبته) أي التعميد ترجح لدينا أن التسمية (صابئي) مأخوذة من فعل (صبا)

الآرامي ومعناه يرتمس ويتعمد فهم يقولون في صيغة الأذان عندهم (انش صابي بمصبته شلمى) أي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم. كما يقولون في التعميد (صبينا ابمصبته اد بهرام ربه) أي تعمدنا بعماد إبراهيم الكبير، ولديهم الكثير من العبارات التي تذكر كلمة (المصبته) كثيراً في طقوسهم. فمن المعقول أن يكون الأقوام المجاورون لهم، وكثير منهم آراميون أو يعرفون اللغة الآرامية، قد أطلقوا عليهم اسم (الصابئين) أي المغتسلة بالآرامية.

وقد أيد هذا الرأي كثير من الباحثين منهم نولدكه والأب الكرملي والليدي دراوور والبروفيسور أوليري وكثيرون غيرهم. فقد ذكر الأب الكرملي في حديثه المنشور في مجلة المشرق عن الصابئين قوله: إن نولدكه قال (إن كلمة صابئة مشتقة من صب الماء إشارة إلى اعتمادهم بالماء لأنهم يتعمدون كالنصارى).

وقالت الليدي داروور إنها مأخوذة من كلمة (صبا) المندائية ومعناها الارتماس والاغتسال بالماء الجاري. (٩)

وقال البروفيسور أوليري في سياق حديثه عن صابئة حران: (إن قصة الحرانيين مع المأمون ما هي إلا محاولة لتفسير كيف أصبح الحرانيون يسمون بالصابئين وهو اسم نعرف الآن أنه لا يعود لهم. إن الصابئين الحقيقيين كانوا في الجنوب العربي لا علاقة لحران بهم، إن المندائيين في جنوب العراق أصل معمدي الآباء المسيحيين الأوائل، والكتاب الربانيين الذين حصلوا على اسم (المتعمدين) من تطهرهم المستمر المتزمت، كانوا يسمون بالآرامية (بالصابئين) من أصل الفعل (صبا الآرامي) بمعنى يغطس ويتعمد، وكان المندائيون هؤلاء معرفيين (غنوصيين) (١٠) مالوا إلى العقائد التنجيمية فهم بهذا من معظمي النجوم، ولم يكن أهل حران معرفيين بل كانت لهم هياكل مكرسة للكواكب مما جعل الخلط بينهم وبين المندائي ممكناً ومن المحتمل أن تكون الأفلاطونية الحديثة الحرانية قد امتزجت بالعقائد المعرفية (١١)، وقال الأستاذ عباس محمود العقاد عن الصابئين (إنهم السابحة من السبح والاستحمام في مياه الأنهار) (١٢)

كما فطن إلى ذلك بعض المؤرخين المسلمين القدماء فسماهم ابن النديم (المغتسلة أو صابئة البطائح) قال (وكان بنواحي دست ميسان (١٣) قوم يعرفون بالمغتسلة وبتلك النواحي والبطائح بقاياهم إلى وقتنا هذا). (١٤)

هذه بعض الآراء في تسميتهم بالصابئين وهي مأخوذة عن شعارهم الرئيسي الاغتسال والتعميد (مصبته) إلا أن هناك رأياً آخر في تسميتهم جاء به بعض مفسري القرآن الكريم. فقد ورد ذكر الصابئين في ثلاث آيات كريمة يفهم منها أن الصابئين طائفة خاصة ذات دين خاص، فقد جاء في إحدى الآيات الكريمة من سورة البقرة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون). من هذه الآية يفهم أن هناك قوماً لهم ديانة خاصة بهم يسمون بالصابئين إلا أن بعض المفسرين رأى أن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة (صبأ) العربية بمعنى خرج من دين آبائه إلى دين آخر [١٥]. ومن صبأ النجم أي ظهر، ولم يحاولوا الغوص إلى أصل اشتقاق هذه الكلمة في لغتها الأصلية الآرامية.

هذا من ناحية اشتقاق الكلمة لغوياً ، أما من ناحية دين هؤلاء الصابئين فقد اختلف المفسرون والباحثون المسلمون فيه اختلافاً كبيراً، فمنهم من قال: إنهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى، ومنهم من قال: إنهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون للقبلة ويصلون الخمس، وقال آخرون: إن الصابئين قوم يؤمنون بالنبيين كلهم، كما قال بعضهم إن الصابئين قوم ليست لهم شريعة أو إنهم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم يأتون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم.[١٦]

وجاء في كتاب (في ظلال القرآن للسيد قطب م١ ص ٩٥) في تفسيره لما جاء في سورة البقرة عن الصابئين قوله: - (والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفة الأولى ملة إبراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون: إنهم (صبأوا) أي مالوا عن دين آبائهم، كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة. وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير. والآية تقرر أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعاً وعمل صالحاً فإن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم).

يفهم مما كتبه الباحثون والفقهاء والمفسرون المسلمون عن الصابئين أنهم ليسوا على اتفاق فيما كتبوا عنهم، وإنما هي روايات وأقوال واجتهادات تختلف عن بعضها البعض كل الاختلاف ونحن نؤيد أن يكون هناك أقوام تسموا بالصابئين كما فعل الحرانيون وأن هناك فئات أطلق عليها هذا الاسم فسموا بالصابئة وهم الأحناف وأوائل المسلمين في بدء البعثة النبوية الشريفة ولكننا نميل إلى أن الذي قصده القرآن الكريم من كلمة صابئين إنما هو هذه الطائفة المغتسلة التي كانت تعيش في جنوب العراق منذ آلاف السنين والتي لا تزال تعيش هنالك إلى يومنا هذا. إن باطنية الدين الصابئ وجهل مؤرخي العرب باللغة المندائية ومشاهدتهم بعض طقوس وشعائر الصابئين وهي غريبة عليهم حقاً وتلقيهم كثيراً من المعلومات عن طريق المارقين عن الدين الصابئ الذين يحاولون تبرير مروقهم بشتى النعوت، ثم ظهور الحرانيين باسم الصابئين وبروزهم في مقر الخلافة العباسية منذ القرن الثالث للهجرة وحقيقة كون الحرانيين الصابئين عبدة كواكب ونجوم، كل ذلك أدى إلى هذا الخلط الكبير فيما يخص ديانة الصابئين الحقيقيين، أي (الصابئين المندايي) [١٧] أو صابئة البطائح أو المغتسلة. وقد فطن الدكتور جواد علي إلى كون الصابئين طائفة خاصة لها دين خاص مثل اليهود والنصارى. وقال في رده على المفسرين بصورة عامة (ولكن الذي يفهم من القرآن الكريم أن الصابئين جماعة كانت على دين خاص وأنها طائفة مثل اليهود والنصارى أي أن الكلمة مصطلح ولها مدلول مفهوم). [١٨]

وفي الحقيقة فإن بعض المؤرخين والمفسرين الذين تصدوا للبحث في دين الصابئين أو لتفسير كلمة صابئين التي جاءت في القرآن الكريم قد تأثروا إلى حد كبير بصابئة حران الذين كان منهم ومن الصابئين الحقيقيين المندائيين المترجمون والأطباء والفلكيون في بلاد الخلافة العباسية. وقد كان الحرانيون الذين تسموا بالصابئين عبدة كواكب ونجوم فعلاً كما جاء عنهم في كثير من الكتب التأريخية.

وليست العلاقة بين الحرانيين الصابئين وبين الصابئين المندائيين مجرد تسمية تجمع بينهما، بل إن هناك علاقة تتصل بهجرة الصابئين الحقيقيين المندائيين من موطنهم في فلسطين بعد الميلاد إلى مدينة حران ومجاورتهم للحرانيين هناك ثم من تشابه بعض الأزياء التي كانت تتماثل إلى درجة كبيرة بينهما. إن أدلة واضحة حول تاريخ

الصابئين الأصليين المندائي توجد في كتاب (حران كويثا) [١٩] أي حران السفلى أو الداخلية، وهو كتاب المفروض فيه أنه تاريخي غير أن الحكاية فيه مزيج من التأريخ والأسطورة والنبوءة حول كيفية هرب الناصورائي [٢٠] من اضطهاد اليهود لهم في أورشليم وكيف بحثوا عن مأوى لهم في جبال ميديا (طورا اد مداي) ومدينة حران في تلك الجبال. وكيف أن مضطهديهم قد عوقبوا بتخريب أورشليم مما يجعل نزوحهم وهروبهم بعد عام ٧٠ بعد الميلاد [٢١]. ويستمر كتاب حران كويثا فيقول: ـ وفي حران وجدوا اخواناً لهم في الدين ثم من هناك بدأت هجرتهم الثانية تحت رعاية الملك البارثي الصديق (أرطبانوس) ويسمونه (أردوان ملكه) إلى القسم الأدنى من بلاد ما بين النهرين حيث أقاموا لهم مركزاً في محل يدعى الطيب (طيب ماثه) [٢٢] بين واسط وخوزستان ويتطرق الكتاب بعد ذلك إلى ذكر الفتح العربي لتلك الأصقاع ويذكر أن وفداً من الصابئين (المندائي) هؤلاء برئاسة أحد كبار كهنتهم المدعو (دانقا) قد ذهب لمقابلة القائد العربي وعرض عليه أمر الصابئين هؤلاء وأن القائد العربي أقرهم على دينهم فأكسبهم ذلك التسامح الديني كأصحاب كتاب وبقوا بين المسلمين يؤدون الجزية.

وتكمن أهمية هذه الوثيقة التاريخية في تأكيدهم للروايات الشفوية التي يتناقلها الصابئون اليوم وهي أنهم هاجروا إلى موطنهم الحالي في العراق من حران وكانوا قبل ذلك في فلسطين. [٢٣]

نخلص من هذا إلى أن حران كانت من مواطن الصابئين المندائيين كما كانت موطناً لأقوام آخرين غيرهم، ومن المحتمل أن يكون قد اختلط هؤلاء الصابئون المهاجرون بأولئك الأقوام المستوطنين في حران فتأثروا بهم وأثروا عليهم كما تحتم ذلك طبيعة الجيرة والتعايش.

كما أن أسماء بعض الصابئين أيام العباسيين من علماء وأطباء وفلاسفة كانت تدل على صفتها الصابئية الأصلية مثل (أبو الفتح المندائي) وإبراهيم بن زهرون [٢٤]. واسم زهرون لا يزال يستعمل لدى الصابئين إلى يومنا هذا وهو اسم مقدس لديهم، كما أن لقب المندائي دليل لا يقبل الشك في أنه يعود إلى الصابئين الأصليين الذين يطلقون على أنفسهم اسم المندائي كما مر معنا.

ومن هنا يتبين لدينا أن الصابئين كانوا في حران في الوقت الذي كان يقطنها قوم

وثنيون متفلسفون فارون من اضطهاد الكنيسة تسموا باسم الصابئين لاكتساب التسامح الديني باعتبارهم كتابيين وليسوا هم كذلك.

إن معرفتنا بالدين القديم في حران متأتية من ملاحظات الدمشقي المتوفى في عام ١٣٢٧ ميلادية أي بزمن طويل بعد خراب مدينة حران[٢٥] التي لم يبق من دينها إذ ذاك غير معلومات متناقلة نعلم منها أنه كان للحرانيين خمسة هياكل عظمية، وكان لهم سبعة أخرى منسوبة إلى الكواكب السبعة.

إن استيطان الصابئين الحقيقيين لهذه المدينة وتعايشهم مع الوثنيين فيها جعل الدين الصابئي معروفاً للقوم هناك، كما تعرف الصابئون بطبيعة الحال على دين وفلسفة القوم هناك، وبخاصة الأفلاطونية الحديثة [٢٦]التي كانت فلسفة شائعة إذذاك.
ثم إن الكثيرين من الحرانيين الصابئين والصابئين الحقيقيين قد عملوا في مقر الخلافة العباسية كمترجمين [٢٧] وأطباء وفلكيين فليس بغريب والحالة هذه أن يخلط المؤرخون العرب المسلمون حين يتحدثون عن دين الصابئين بين صابئة حران الوثنيين وبين الصابئة الحقيقيين ذوي الدين التوحيدي.

إن هناك فرقاً في الدين كبيراً بين صابئة حران وبين الصابئين الأصليين أو ما يسميهم ابن النديم صابئة البطائح أو المغتسلة وقد فطن بعض فقهاء المسلمين لهذا الفرق، فذكر ابن القفطي في كتابه تاريخ الحكماء ص ٣١١ .

إن أبا حنيفة وصاحبيه أبا يوسف ومحمداً قد اختلفوا في نكاح الصابئة وأكل ذبائحهم فحرمهما أبو حنيفة وحللهما صاحباه فقال أصحابه: إنه ليس بخلاف على الحقيقة إنما هو اختلاف في الفتوى لأن أبا حنيفة سئل عن الصابئة الحرانيين وهم معروفون بعبادة الكواكب فأجراهم مجرى عبدة الأوثان على تحريم المناكحة والذباحة وصاحباه سئلا عن الصابئين الساكنين في البطحة وهم فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح عليه السلام فأجابا بجواز أكل ذبائحهم ومناكحتهم.

كما جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٤٥ قوله: ـ

(والجزية واجبة على جميع أهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة).

يفهم مما تقدم أن الصابئين الساكنين في البطائح هم المقصودون في القرآن الكريم

وأنهم هم الذين خضعوا للجزية شأنهم في ذلك شأن جميع أهل الذمة من الكتابيين، وأن الحرانيين إنما استفادوا من هذا التسامح المفروض لصابئة البطائح فاتخذوا اسم الصابئة واحتموا به. وقد يعترض هنا معترض على أن الصابئين الحاليين ليسوا هم صابئة البطائح الذين جاءت بحقهم الفتوى آنفة الذكر، إلا أن جميع الأدلة تثبت أنهم هم المقصودون بذلك فهم:

١- قد سكنوا هذه المناطق قبل الفتح الإسلامي لها وإن المسلمين وجدوهم هناك حين فتحوا تلك الأصقاع ثم إنهم لا يزالون في تلك الأصقاع إلى يومنا هذا. وقد وجدت في منطقة البطائح أوان فخارية [٢٨] يعود تاريخها إلى ما قبل الفتح الإسلامي للعراق، عليها كتابات باللغة المندائية وهي لغة الصابئين وهي عبارة عن أدعية دينية يكتبها الكهان الصابئون على مثل تلك الأواني ويضعها الفرد الصابئي تحت عتبة داره وقاية له من الوباء ومن الشرور بصورة عامة ولا يزال الصابئون يتبعون هذا التقليد وبنفس الأدعية ونفس الكتابة التي وجدت على تلك الأواني.

٢- إن نعت صابئة البطائح بالمغتسلة للدلالة على شعائرهم التطهيرية بالماء يصدق اليوم أيضاً على الصابئين المعاصرين الذين يمارسون الاغتسال والتطهير في الماء في شعائرهم كما كان يمارسه صابئة البطائح الأوائل.

٣- إن دين الصابئين المعاصرين ليس ديناً وثنياً بأي حال من الأحوال، بل هو دين يؤمن بالله الحي الأزلي وباليوم الآخر. وقد فطن إلى ذلك الأستاذ الباحث السيد عبد الرزاق الحسني في أبحاثه الأخيرة عنهم بعد تدقيق ودراسة واطلاع ما كانت لتتيسر له أول ما كتب عنهم واتهمهم بأنهم عبدة كواكب. فقد جاء في مقال له نشره عن اعتقادهم بالله في مجلة العربي العدد ١١٢ عام ١٩٦٨ قوله "الخالق جل شأنه واحد أزلي أبدي لا أول لوجوده ولا نهاية له منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد وهو علة وجود الأشياء ومكونها. ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين به".

إن اعتقاد الصابئين بالله يشبه إلى حد كبير اعتقاد الفئات الغنوصية (المعرفيين) حيث إنهم يدركونه عن طريق الفيض الإلهي، ومن مظاهر الخليقة التي أبدعها، وهم لا يعبرون عنه إلا بصفة الجمع، ويقولون عنه: إنه انبعث من ذاته (إله اد من نافشي

أفريش) أي (الإله الذي قام من ذاته) وهذه حقيقة مدونة في كتبهم الدينية وبخاصة في كتابهم الرئيسي المعتمد "كنزه ربه" أي (الكنز العظيم). أما من حيث اعتقادهم باليوم الآخر فقد يكونون من أكثر الأديان وضوحاً وتشدداً في هذا الشأن. فالعالم الدنيوي في عقيدتهم ما هو إلا منفى وسجن مؤقت للروح التي ستنبعث بعد الموت متحررة من سجنها المادي لتلتحق بالملأ الأعلى، وفق حساب عسير يعد لها، ووفق وزن توزن به، فإما إلى الجنة كما ينبغي لجميع الأرواح التقية الطاهرة، أو إلى "المطهر" (المطراثة) حيث تعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها فتلتحق بالملأ الأعلى هي أيضاً؛ فالروح في عقيدتهم خالدة والجسم فان.

وسيطلع القارئ على تفاصيل عقيدتهم بالله واليوم الآخر في الكتاب الذي نضعه بين يديه.

من كل ما تقدم يظهر لنا أن اتهام الصابئين بالكفر وبأنهم عبدة كواكب ونجوم إنما جاء بالدرجة الأولى من الخلط بينهم وبين الصابئين الحرانيين وقد كان هؤلاء وثنيين فعلاً، ثم من انطوائهم المتزمت على أنفسهم وعدم قبولهم أي فرد من أديان أخرى من الدخول في دينهم، ثم من ممارستهم التنجيم، ومن قبلتهم إلى الشمال حيث النجم القطبي، بالإضافة إلى أنهم كانوا لا يردون على الاتهامات التي تقال عنهم تجنباً للصدام الجدلي.

إن الدين الصابئي دين قديم(٢٩) يعتقد معتنقوه أنه من أقدم الأديان إن لم يكن أقدمها، فهم ينسبون كتابهم "كنزه ربه" إلى آدم عليه السلام، كما يعتقدون أن "سام" هو جدهم الأعلى ونبيهم بعد آدم ونوح؛ وهم ليسوا فرقة من النصارى كما ورد ذلك لدى كثير من الكتاب وبخاصة الإفرنج منهم، وقد جاء هذا الوهم من تعظيم الصابئين للنبي يحيى عليه السلام واعتباره نبياً لهم أنقذهم من ضلال اليهود وقام بالمعمودية، كما أنهم يعظمون يوم الأحد كما يفعل النصارى.

وهم ليسوا بمجوس لعدم تقديمهم وتعظيمهم للنار، فهم يعتقدون أن السجود للنار أمر محرم كل التحريم "نوره واسغادي مبطل باطلي" أي (النار والسجود لها باطل ومبطّل.

إن تشابه بعض شعائرهم مع بعض شعائر المسيحية واليهودية أو المجوسية أو

بعض الشعائر الإسلامية أمر طبيعي لتجاورهم وتعايشهم مع هذه الأديان فمن المحتمل أن يكونوا قد تأثروا بها كما يحتمل أن تكون قد تأثرت هي بهم أيضاً [٣٠].

وعلى كل فالجميع يستقون من مصدر واحد والجميع قد نشؤوا في هذه المنطقة من العالم المسماة بالشرق الأدنى وهي مهبط جميع الأديان.

والخلاصة فإن دين الصابئين كما هو مدون في كتبهم الدينية يتلخص في أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر [٣١] ويؤمنون بالحساب والعقاب، وأن الأبرار منهم يذهبون بعد الوفاة إلى عالم النور وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام، ولا يفرض عليهم الصوم بمعناه المعروف، وهم ينزهون الله غاية التنزيه ويعتقدون أن مقر الملائكة (ملكي) هو في الكواكب ولذلك فهم إنما يعظمون هؤلاء الملائكة لا الكواكب نفسها، وليست لهم هياكل ولا أصنام، ولابد عندهم في عقيدتهم من مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس إلى الحق، فالروحانيات لديهم مخلوقة من كلام الله جل وعلا دعاها بأسمائها فوجدت، وإن كلام الله إلى الناس لا يصل إلا بوساطة مخلوق بين النور والتراب [٣٢].

إن دراسة دين الصابئين مهمة جداً للبحث في العقائد الدينية الأخرى، فهي مهمة من حيث المكان والزمان والموضوع لأنها قديمة العلاقة بكل مكان تتعلق به سيرة الأديان الأخرى وبخاصة سيرة الخليل عليه السلام، ثم لأن لغتها المقدسة "تشير إلى زمان متوسط بين اللغات القديمة المهجورة واللغة السريانية الحديثة، كما أنها ترينا ملتقى التوحيد القديم والوثنية القديمة وقد نجد فيها الاصطدام بين هاتين العقيدتين فهي ليست ديانة وثنية ولا إيمان لها بالكواكب من جهة ثم لا خلاص مطلقاً فيها من بقايا الوثنية القديمة وتعظيم الكواكب على صورة من الصور" [٣٣]. وإن كان من هذه الصورة علم دراسة الفلك وممارسة التنجيم.

"ومن هنا كانت دراسة نحلة الصابئين مهمة في دراسة الأديان على العموم ودراسة دين إبراهيم على وجه الخصوص وكان لها في ذلك شأن لا يتناسب وعددها القليل وعزلتها التي فرضتها على نفسها وفرضتها عليها أحداث الأيام [٣٤].

و أخيراً فقد توخينا من ترجمتنا لهذا الكتاب ومن تعليقاتنا عليه تكوين فكرة أقرب إلى الحقيقة عن الصابئين لدى الباحثين والدارسين وبخاصة في العراق.

فالصابئون طائفة عراقيـة قبل أن تكون أي شيء آخر، بل إنها كما تشير طقوسها صلة الحـاضر بالماضي البابلي والأكـادي والنبطي في العراق. وأملنا كبير بأن يعمد المؤرخون والمعنيون بـوضع الكتب وبخاصـة المدرسيـة منهـا إلى تصحيح ما كـانـوا قد نشروه عن الصابئين نقلاً عن الكتب القديمة دونما تمحيص أو تعمق؛ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فلعل هذا الكتاب يدفع إلى تكوين مجموعة كاملة من كتب الصابئين المخطوطة بلغتهم المندائية وإلحاقها بمكتبة المتحف العراقي لتكون مرجعاً يرجع إليه الباحثون في البحث عن العقـائد الدينيـة ومقـارنتـها إذ لا يوجد في العـالم كله الآن مكتبـة تضم مجمـوعـة كاملة من هذه المخطوطات.

إن الصـابئين في العـراق اليـوم هم بقـايا طائفـة دينيـة عـاشت في هذه البـقعـة من العالم منذ آلاف السنين وهي الآن في طريقها إلى تطور ديني لابد أن يبعدها كثيراً عن طقوسهـا وشعـائرها الأولى، فـقد كـانت نفـوس الصـابئين في القرن السـابع عشر حسب روايات بعض المؤرخين ما يقارب "مائة ألف نسمة" أما الآن وبالرغم من العناية الصحية والظروف المواتيـة من الناحيـة الاجتماعيـة والصحيـة فإن تعدادهم لا يتعدى عشرين ألف نسمة (٣٥).

إن الصـابئين الذين سكنوا الحـواضر وابتـعدوا عن شواطئ الأنـهار وتفرقـوا في المدن طلبـاً للرزق ودخلوا الوظائف الحكوميـة، قد ابتـعدوا كـثيـراً عن الصـابئين الذين كـانوا يمارسون شعائرهم الدينيـة بصورة بدائيـة كما كان يمارسها الأسلاف، فاستعاضوا في كثير من شعـائرهم بالماء المعقم بدلاً من مـاء النـهر الجـاري، وحلقـوا شعـور رؤوسهم وذقـونهم، واتخذوا الزي العصري لباساً لهم كسائر الأقوام من حولهم تمشياً مع ظروف العصر. لقد أقبل الصابئون منذ تشكيل الحكم الوطني في العراق على المدارس ومعاهد العلم، وبهذا امتزجوا مع المجتمع من حولهم امتزاجاً كاملاً لم يعودوا يميزون فيه عمن حولهم بأي شيء.
من كل مـا سبق نعتـقـد أن طائفـة الصـابئين في طريقـهـا إلى تطور كبيـر في شعـائرها وطقوسهـا سيبعدها كل البعد عن شعائرها الأولى، ومن هذا كان اهتمام الباحثين بأمر هذا الدين، ومن هنا أيضاً كان بعض اهتمامنا بترجمة هذا الكتاب كمرجع عنهم.

نرجو أن نكون بعـملنا هذا قد سددنا فـراغـاً في مكتـبتنا العـربيـة ومـا توخينا في تعليقاتنا وشروحنا إلا الحقيقة.

الهوامش

١- كتاب الخراج لأبي يوسف ص٧٠ .
٢- آ . تافازنييه . العراق في القرن السابع عشر
ب . هنري لايارد . نينوى وأطلالها ١٨٤٩
جـ . بيترمان
د . جسني . ارساليات وقصص
هـ . روبرت تيلور الوكيل السياسي البريطاني في بغداد خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر
٣- آ . أحمد أمين . فجر الإسلام وضحى الإسلام
ب . عبد الرزاق الحسني . الصابئون في حاضرهم وماضيهم .
جـ . الأب انستاس ماري الكرملي . مجلة المشرق م٤٠ ص ٥٥١ بيروت
د . عباس محمود العقاد . أبو الأنبياء
هـ . عبد الحميد عباده . المندائي
و . سيوفي . دراسات في دين الصابئة باريس ١٨٨٠
ز . أوليري . كيف انتقل العلم الإغريقي إلى العرب
ح . ليدزبارسكي
ط . براندت . الدين المندائي
ي . نولدكه . قواعد اللغة المندائية
ك . جي . ودنكرين . المندائيون ١٩٤٦
ل . سيكلبرج . المصبته .
م . الليدي دراوور . المندائيون في العراق وإيران وكتب وأبحاث عديدة
ن . الدكتور ماتسوخ . اللغة المندائية القديمة والحديثة . وقاموس في الإنجليزية إلى المندائية بالاشتراك مع الليدي دراوور
س . الدكتور رودولف كورت . المندائيون ، وأبحاث أخرى
٤- ترجم من كتبهم إلى اللغة الإنكليزية من قبل الليدي دراوور .
١- كتاب حران كويثا . حران السفلى .
٢- كتاب النياني . التراتيل والصلوات .
٣- سيدرهاد نشماثا (المصبتا) كتاب التعميد .
٤- اسفر ملواشه . تفسير الملواشه (الاسم الديني) .
٥- دراشه إد يهيا . دروس يحيى عليه السلام .
٦- ترسر الف شياله . اثنا عشر ألف سؤال .
٧- القلستا . كتاب عقد الزواج .
٨- المه ريشايا والمه زوطا . العالم الرئيسي والعالم الصغير .
٩- مصبته اد هيبل زيوا . عماد جبريل .

١٠- اقماهي وزرسته . كتب الأحراز
١١- ديوان اباثر . ديوان محاسبة الأرواح ووزنها .
١٢- كتاب كنزه ربه . ترجم إلى اللغة الألمانية وهو الكتاب الرئيس وقد ترجمه البروفسور ليدز باريسكي .

٥- الدكتور رودلف ماتسوخ رئيس قسم اللغات السامية في جامعة برلين الغربية وهو أحد العلماء الأعلام الذين قاموا بتحقيقات ودراسات قيمة في ميدان الدراسات السامية ، وعدته في أبحاثه اطلاع شامل عميق في اللغات السامية من عربية وعبرية وسريانية ومندائية (صابئية) وغيرها ، ومعرفة راقية بلغات حية كثيرة كالجيكية لغته الأم والألمانية والإنكليزية والروسية والفرنسية وغيرها . وقد ألف أخيراً كتاباً فريداً حول اللغة المندائية بدراسة مباشرة للتلفظ في وجهيه المتواتر القديم والعامي المتداول بالإضافة إلى دراسة اللغة المندائية في صرفها ونحوها .

ويقع كتابه (دليل اللغة المندائية الكلاسيكية والمعاصرة) في ٦٤٩ صحيفة من القطع المتوسط منها ١٨٥ صحيفة اشتملت على مصادر ونماذج من اللغة المندائية المحلية مع ثبت بمفرداتها وفهرست فيلولوجي . هذا فضلاً عن مقدمة في شؤون دراسة المندائية ودارسيها استغرقت ٦٨ صحيفة واسم الكتاب بالإنكليزية هو :

Hand Book of Classical and Modern Mandaic Berlin 1965

٦- ابن النديم صحيفة ٤٩١ .

٧- جاء في كتاب الجاحظ للدكتور شارل بلات أستاذ جامعة الصوربون ترجمة الدكتور الكيلاني صحيفة ٣٠٦ و٣٠٧ قوله (إن المغتسلة كانوا كثيرين بنواحي البطائح ويقومون بشعائر دينهم حتى زمن ابن النديم فكان من الطبيعي والحالة هذه أن يعرف البصريون فلول المغتسلة والمانوية) .

٨- تعني كلمة مندايي باللغة الآرامية (العارف) من الفعل (مدَعا) أي عرف أو علم (الدكتور مراد كامل . تأريخ الأدب السرياني) .

٩- كتاب المندائيون في العراق وإيران طالع الفصل الأول من هذا الكتاب .

١٠- كلمة غنوسطي أو غنوصي يونانية معناها في الأصل المعرفة ولكن معناها الإصطلاحي هو النزعة إلى إدراك كنه الأسرار الربانية بوساطة هذا النوع السامي من المعرفة الذي يقابل ما يسمى عند الصوفية باسم الكشف أو هو هذا الكشف نفسه .

١١- البروفيسور أوليري .Greek Science, How it Passed to The Arabs

١٢- أبو الأنبياء .

١٣- دست ميسان : اقليم يقع بين الأهوار وواسط وهو يشمل لواء العمارة تقريباً .

١٤- الفهرست لابن النديم صحيفة ٤٧٧ .

١٥- الصابئة اسم عام في اللغات السامية يطلق على من صبأ من دين الجماعة إلى دين آخر أي خرج على دين قومه فانحرف عنهم وتنعت به طوائف عديدة . غير أن الصابئة الحقيقية اسم خاص بفئة من الموحدين ينسبون إلى يوحنا المعمدان . وقد عرفهم القرآن وسلكهم في مسلك الموحدين . مجلة المسرة العدد ٥٠٧ تموز عام ١٩٦٥ .

١٦- تفسير ابن كثير ج١ ص١٠٤ .

١٧- يصدق هذا حتى في الوقت الحاضر على الكثير من الباحثين في العربية الذين تصدوا للكتابة عن دين وشعائر هذه الطائفة بعد أن تفتحت لهم آفاق المعرفة مما كتبه وترجمه المستشرقون وما تحقق لديهم عن طريق الاطلاع والدراسة عن أحوال الصابئين وعباداتهم .

١٨- كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام للمؤلف ج٥ ص ٣٦٨و ٣٦٩ .
١٩- كتاب صابئي في اللغة المندائية ترجم إلى اللغة الانكليزية ونسخة منه موجودة في مكتبة المتحف العراقي .
٢٠- الناصوراني : كلمة تعني أولئك الكهان الصابئين الذين يملكون المعرفة الحقيقية الدينية (الناصيروثه) وتتلخص معتقداتهم وهي معتقدات الدين الصابئي بصورة عامة بما يأتي :.

آ. الاعتقاد بكينونة عليا سامية لا هيأة لها يكون التعبير عنها عادة في خلق العوالم الروحية والأثيرية والمادية وإن خلق مثل تلك العوالم قد أنيط بمخلوقات نجمت عن الخالق وبإرادة منه .

ب . الاعتقاد بثنائية الكون وازدواج الشيء وضده وتلازمهما كالنور والظلام والخير والشر ووجود كون منظور وكون غير منظور شبيه له .

جـ . اعتبار الروح منفية أسيرة في الجسم وإن موطن وأصل تكوينها هو الكينونة العليا فهي تعود إليها بعد تحررها من الجسم .

د . الاعتقاد بتأثير النجوم والكواكب على مصائر جميع مظاهر الحياة ومن جملتها البشر ، إضافة إلى أنها أماكن للمطهر بعد الموت .

هـ . الاعتقاد بوجود أرواح غير مرئية منقذة تساعد الروح البشرية في رحلتها إلى العالم الآخر .

و . وجود لغة طقسية مملوءة بالرموز والاستعارات تمثل أفكاراً وصفات قابلة للتجسيد .

ز . الاعتقاد بوجود أسرار دينية لمساعدة الروح أو ضمان بعثها من جديد في جسم أثيري ثم صعودها من عالم المادة إلى عالم الأنوار .

ح . الالتزام بسرية عظمى والاعتقاد بأن هناك أسراراً دينية لا تباح معرفتها إلا للقلة من المكرسين دينياً . . . وعلى هذا فالصابئون المندائيون ينقسمون إلى قسمين متميزين :

القسم الأول : وهم فئة الناصورايين ويكونون مسؤولين عن حفظ الدين وإقامة شعائره .

القسم الثاني : وهم المندائيون أي العامة .

٢١- بعد خراب أورشليم حين سكن اليهود المتنصرون شرق الأردن فإن الناصوراني (كهنة الصابئين) المتمرسين في أمور الدين الذين كانوا يبغضون اليهود واليهود المتنصرين والذين كان هؤلاء يبغضونهم بدورهم أيضاً قد بحثوا عن ملجأ لهم في أنحاء بارثيا الصديقة وفي تلال ميديا تماماً كما جاء في كتاب حران كويثا وطبقا لتلك الوثيقة فإن عدداً منهم قد هاجر أيضاً تحت حماية الملك البارثي إلى بابل وخوزستان وربما قد وجدوا عقائد تشبه عقيدتهم في تلك النواحي (مقدمة كتاب آدم كسيا لليدي دراوور) نسخة منه في مكتبة المتحف العراقي .
٢٢- الطيب : مدينة أثرية في الجنوب الشرقي من مدينة العمارة .
٢٣- ذكر الدكتوران مراد كامل ومحمد حمدي البكري في بحثهما (تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي) ما يأتي : "واللهجة المندعية (المندائية) واسمها مشتق من الكلمة الآرامية" مدعا) ومعناها المعرفة ويسمى أصحابها بالصابئين أو المندعيين (المندائيين) وهم طائفة من القبائل الآرامية كانت تسكن منطقة الأردن ثم هاجرت منها إلى العراق (المقتطف ج١ م ١١٥ لسنة ١٩٤٩م) .
٢٤- زهرون : اسم أحد الملائكة المقدسين لدى الصابئين .
٢٥- مدينة حران : تقع في الوسط بين أوديسا والرُّها على نهر بلياس أحد روافد الفرات الأعلى وكانت مشهورة بنقاوة نطقها الآرامي ، وهذا يعزى إلى تحررها من النفوذ اليهودي والمسيحي ، وقد خربت عام ٩٣٢ ميلادية

ثم خربت مرة أخرى عام ١٠٣٢ ميلادية حيث لم يبق منها غير الهيكل العظيم للقمر وزارها ابن جبير عام ١١٨٤ميلادية ووجد أبو الفداء عام ١٣٣٢ ميلادية في محلها قرية مهدمة . (كتاب كيف انتقل العلم اليوناني إلى العرب بقلم البروفسور أوليري) .

٢٦- الأفلاطونية الحديثة : فلسفة تصوفية نشأت في عصر انحطاط الامبراطورية الرومانية بين القرن الثالث والسادس للميلاد وقد اتخذت النظرية المثالية والأفلاطونية عن الفكر شكل الاعتقاد بالفيض الروحي على العالم المادي . فالمادة في نظرهم هي أدنى حلقة في سلسلة الأشياء ويمكن الحصول على درجات الفلسفة لا من خلال التجارب والعقل بل من خلال النشوة الصوفية . لاحظ ما جاء عن معتقدات الناصورائيين .

وأول ما نشأت الأفلاطونية الحديثة في مصر في الاسكندرية ثم في روما وقد ترعرعت بعد ذلك في سورية وكان لها تأثير كبير على تطور الفلسفة وعلى المسيحية نفسها .

٢٧-ثابت بن قره : كان أبرز المترجمين وهو من صابئة حرّان . اشتهر بترجمته للكتب اليونانية وبتنقيحه لترجمات سابقة . وقد جاء في كتاب (الهفوات النادرة) تأليف غرس النعمة الصابئي الحراني وهو من أحفاد آل زهرون (وهم صابئة مندائيون على الأرجح) إن آل زهرون كانوا أصهاراً لآل قره أجداد ثابت بن قره .

٢٨-آنية رقم ٨٩٥ مطبوعة في دليل المتحف البريطاني للآثار البابلية والآشورية .

٢٩- (والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم لأن استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية لم ينشأ في عصر حديث) أبو الأنبياء (عباس محمود العقاد) .

٣٠- ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر . العقاد (أبو الأنبياء)

٣١- نفس المصدر .

٣٢- نفس المصدر .

٣٣- العقاد في كتاب أبو الأنبياء .

٣٤- نفس المصدر .

٣٥- يذكر الرحالة الفرنسي تافارنيه أنه حين مرّ بمدينة البصرة سنة ١٦٥٢ م قيل له إن أتباع يوحنا المعمدان (الصابئين) في البصرة وأطرافها نحو (٢٥) ألف أسرة (العراق في القرن السابع عشر) .

مقدمة المؤلفة

لقد بذلت في الصفحات التالية محاولة لسرد ما شاهدته وما سمعته وما لاحظته عن الصابئين (المندائيين) في العراق وإيران. وقد استمرت هذه الملاحظات بضعة أعوام أنجزت خلالها قدراً معتبراً من بينات جديدة تتناول العقائد والعادات والطقوس وعمل الرقي. وليست البينات التي أضعها هنا ذات فائدة لطلاب الأنثروبولوجي (علم الأجناس) أو لطلاب الفولوكلور (الأدب الشعبي) وطلاب الأنثولوجي (علم السلالات) فقط، بل ولطلاب تأريخ الأديان أيضاً، لأن الحالة مع الصابئين هي حالة ما يدعوه الطبيب بـ "توقف التطور". لقد تمسك الصابئون بتشبث بطقوسهم التي يعتبرونها أكثر قدسية من كتبهم وأقدم، كما اعتنى بحفظ تراثهم كهنوت يعتبر أن أية زلة في الإجراءات والشعائر خطيئة مميتة. وهم بانفرادهم عن سائر الأقوام منذ ظهور الإسلام، بطقوسهم الخاصة وبعاداتهم ولغتهم ودينهم قد تجنبوا الامتزاج وصانوا التراث الذي ورثوه عن أسلافهم.

لقد كانت البينات المطروحة أمام العلماء منذ أزمان بعيدة، مقتصرة على كتب الصابئين الدينية، وقد أثار ذلك نقاشاً مبتسراً بين علماء الدين حول قيمة التقاليد الصابئية لدارسي العهد الجديد وبصورة خاصة حين يكون الإنجيل الرابع موضع البحث.

وأومل أن تذهب المعلومات المطروحة هنا بعيداً في حل مشاكل كهذه. أما بالنسبة لدارسي الصابئين مشاهدة، فإن ملاحظات الرحالة العابرة والملاحظات التي تأتي عرضاً، غالباً ما تكون سطحية، لأن الصابئين طائفة دينية حييّة كتومة، لا يكشف الأفراد فيها عن عقائدهم بسهولة ولا يوضحون طقوسهم بيسر؛ إن "ثلاثة أشهر في الأهوار جنوبي العراق" لمؤلفه بترمان Pettermann. تمثل المحاولة العلمية الوحيدة في حقل المشاهدة، بينما لم ير سيوفي Siouffi طقساً واحداً بأم عينيه، بالرغم من أن مساهمته تعتبر

أعظم ما عرف عن هذه الطائفة خارج محيط كتبهم. لقد كان معتمداً بصورة تامة على بيانات النابذين من الصابئين؛ ولذا ظل هذان الكاتبان في القشر ولم ينفذا عميقاً في روح هذه الطائفة أو يصلا إلى جوهر تعاليمها.

بالنسبة للمؤلفين العرب فقد كانوا منذ أقدم الأزمان يعتمدون على الرواية، ولذا لا يمكن قبول بيناتهم أو تقاريرهم إلا على هذه الصورة؛ كما يمكن أن يقال نفس الشيء حول ما لدينا من معلومات عن الصابئين دونها الكاتب السرياني "برخوني" فقد كان يدون معلوماته كمجادل يريد الحط من شأن فئة مارقة؛ ولكن كتابه على كل حال يعطينا أدلة على نقض كل ما قرره عن الصابئين كما سأفعل في كتابي هذا.

تتعلق البينات التي دونها المؤلفون العرب بصابئة حران الذين، كما يظهر، ظلت العادات الوثنية الأولى تعيش بينهم إلى زمن متأخر من العصر الإسلامي، وقد قيل إنهم اتخذوا اسم الصابئين اسماً لهم للاستفادة من التسامح الذي قدمه الإسلام لأهل الكتاب. أما الصابئون الحقيقيون فهم سكنة أهوار جنوبي العراق. وعلى كل حال ففي جملة ما أورده المؤلفون العرب من روايات يوجد قدر لا بأس به يشير إلى أن لدى الحرانيين ما يشتركون به مع الصابئين الحقيقيين، وأن المثقفين منهم في البلاد العباسي قد اختاروا ادعاء التعابير الفلسفية الأفلاطونية الحديثة حين كانوا يتحدثون عن دينهم لإضفاء جو من العلمانية والفلسفة على مذهبهم. وكانت المجوسية لا تزال حية وكريهة، فكان يجب تجنب أي تشابه أو أية علاقة مع المعتقدات الفارسية. إن وجود اسم زهرون من بين أسماء فلاسفة البلاط العباسي يمكن أن يقوم دليلاً على صلة الحرانيين بالصابئين الحقيقيين (المندائيين) فزهرون هو أحد ملائكة النور لدى "المندائيين" وهو يستقل مع الشمس (شامش) فلك الشمس عبر السماء. وكان من السهل عليهم تغطية لفظة "هرموز" (١) أو "هرمز" أو "هرمش" (أهورا - مازدا) إلى لفظ هيرميس وإلى أن يذيعوا بأن هيرميس المصري كان أحد أنبيائهم. وحين يقتبس البيروني وهو نفسه فارسي من المؤلفين العرب ما كتبوا عن الحرانيين يقدم تقريراً عادلاً عن معتقداتهم (ص١٦٧) فيقول:

"كل ما نعرفه عنهم، على كل حال، إنهم يعتقدون بالوحدانية ويصفون الله منزها عن أي باطل مستعملين في وصفهم صيغة النفي لا الإيجاب أي أنهم يقولون: "هو غير

محدود، غير مرئي، لا يخطئ ليس ظالماً"، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً فقط، لأن الوصف الحقيقي له غير مسموح به من قبلهم. وهم يعزون حكم العالم للكون السماوي وأجرامه اللاتي يعتبرونها كائنات حية تتكلم وتسمع وترى. كما أن للنار عندهم اعتباراً عظيماً".

ويقول أيضاً: "إن زردشت ينتسب إلى طائفة الحرانيين"، ويذكر لهم ثلاث صلوات عند الشروق وفي الظهيرة وعند الغروب فيقول: "إن صلاتهم يسبقها الوضوء والاغتسال، كما يغتسلون أيضاً بعد الجنابة ولا يختتنون ولم يؤمروا بذلك كما يؤكدون. وأكثر تعاليمهم عن المرأة والعقوبات شبيهة بتعاليم المسلمين أما تعاليمهم الأخرى التي تتعلق بالنجاسة لدى التماس مع الميت، فشبيهة بتعليم التوراة".

وكان البيروني (وقد كتب في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي) إيجابياً فيما يخص الصابئين الحقيقيين (المندائيين) فهم كما يقول "بقايا القبائل اليهودية التي ظلت في بابل حين غادرتها القبائل الأخرى إلى أورشليم أيام كورش وأردشير، واتخذت هذه البقايا لها أسلوباً مزيجاً من المجوسية واليهودية. أما جولسون في مؤلفه التذكاري عن الصابئين فقد كان متأملاً من أن يظهر له بأن الحرانيين لم تكن لهم وحدة دينية حقيقية مع "المندائيين" لأن الحرانيين عبدة كواكب صراحة بينما يبغض "المندائيون" عبادة الكواكب وسأناقش هذا القرار.

لقد نشر في الآونة الأخيرة، أحد المؤلفين العرب(*) الذي كان يدرس هذا الموضوع لبعض الوقت جنوبي العراق، مقالة في مجلة مصرية حول الصابئة أو المندائيين، وصورهم فيها بأنهم عبدة كواكب مما أثار حفيظة كهنتهم، لأن هذا هو نفس الاتهام القديم بالوثنية والذي لا يتسامح معه الإسلام، ولهذا اتخذت الإجراءات القانونية ضد المؤلف. وقدم أحد رؤساء الكهان (كنزفره) إلى بغداد يحمل معهم كتابهم الكنز العظيم (كنزه ربه) ليترجم أمام الشهود من السفر المقدس نصاً يرفض عبادة الكواكب ومن المحتمل أنه لو جلب معه كتباً مقدسة أخرى مثل (ديوان أباثر) أو بعض الفقرات من كتاب تعاليم يحيى "دراشه إديهيا" لما كان الأمر من الوضوح بالقدر الذي هوعليه في كتاب الكنزه.

(*) الأستاذ عبد الرزاق الحسني المؤلف العراقي المعروف ومؤلف كتاب "الصابئون في ماضيهم وحاضرهم".

وفي الحقيقة فإن الصابئين لا يعبدون الأجرام السماوية غير أنهم يعتقدون بأن النجوم والكواكب تحتوي على مخلوقات حية هي أرواح ثانوية تابعة لأمر ملك النور (ملكاد نهورا) وأنها تتحكم بمصائر البشر، ويصاحب هذه الأرواح الخيرة أضدادها من الأرواح الشريرة؛ ففي فلك الشمس (شامش) ينتصب شامش الخير النافع رمز الخصب والخضرة ومعه الروح الشريرة المهلك "أدوناي" (٢) مع أرواح نورانية حارسة أخرى. فالصابئون إنما يوجهون دعاءهم للأرواح الخيرة النورانية فقط وليس لتلك التي تخص عالم الظلام.

وحقيقة كون جميع الكهان هم في نفس الوقت منجمون يقودنا حتماً إلى متناقضات، والذين سيقرؤون هذا الكتاب سيرون كم هو سهل الحكم الخاطئ في هذا الشأن. ففي وحدة الطقوس يرث الصابئون تقاليد القطر، فكهنة "بارو" و "اشيبو" في بابل القديمة كانت لهم وظائف وطقوس تشابه تلك التي يمارسها كهان الصابئين في الوقت الحاضر (٣)، وإن أسماء الكهان البابليين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمهارتهم في كتابة التعاويذ والتنجيم إلى درجة أن أسماءهم قد أصبحت عالمية بالنسبة لدنيا السحر".

وكذلك كهان الصابئين، فهم بالرغم من تحريم "الكنزه" لمثل هذه الأعمال فإن الكثيرين منهم يكسبون رزقهم عن طريق كتابة التعاويذ وعمل الرقي خاصة حين يكون دخلهم غير كاف لسد احتياجاتهم.

وأهم ما ينبغي الالتفات إليه فيما تجمع لدينا من بينات هو، كما أتصور، وجبات الطعام الطقسية المتنوعة، فأنا بعد أن كنتُ أميل لأن أرى في هذا التراث آثار الطقوس المسيحية Marcionite أو آثار الطقوس الغنوصية للبارديسانيين، تيقنت أخيراً بأن طقوسهم تقترب من المنابع المزدكية إلى درجة أكثر مما هو متوقع، فالتشابه بين الطقوس الصابئية والمسيحية النسطورية والبارسية قوي غير أن المبادئ التي تشخص الطقوس الصابئية والبارسية متطابقة، بينما تبعد عنها كثيراً تلك التي تخص الطقوس المسيحية. هذا يحملني على الاعتقاد بأن الشعائر الصابئية هي أقرب في جوهرها إلى الأصول الإيرانية منها إلى المسيحية الأولى. ولو أن لهذه أيضاً، بدون شك، ارتباطاً بالنماذج الإيرانية في بدء ظهورها في الجليل وفي أرض الميعاد.

إن شعائر تناول الطعام على روح الميت أو الاعتقاد بأن الموتى يستفيدون من

الطعام الذي يؤكل بأسمائهم هو بالطبع اعتقاد يرجع إلى العصور البدائية ولا يوجد فقط لدى السومريين والبابليين، بل ولدى معظم الشعوب البسيطة، وعلى كل حال فأنا قد تقيدت في تدوين ملاحظاتي بالإشارة إلى الشعائر والطقوس في الشرق الأوسط في الماضي والحاضر.

إن السهول الغرينية العظمى ما بين النهرين تقع بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى وهي على اتصال مستمر بكليهما؛ ومنذ أقدم العصور كانت الطرق تتفرع من هضبات إيران ومرتفعات آسيا وصحارى العرب وسهول الهند وتمر بما يسمى العراق اليوم، في طريقها إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط. ومنذ البدء كان سكان هذه المنطقة يخضعون لتأثيرات جميع أطراف الكرة الأرضية المتحضرة، ويحكمهم جنس بعد جنس فليس هنالك بقعة أكثر منها خصباً لنمو الأفكار السنسكريتية، وقد قدمت بابل ومملكة فارس وميديا ظروفاً طبيعية ملائمة لنمو عقائد دينية توفق بين التقاليد والشعائر القديمة وبين الأفكار القادمة من الحضارة الصينية القديمة بوساطة فلاسفة الهند الفيديين، تلك الأفكار التي جددت عقائد الناس و بعثت فيهم الروحانية وألهمتهم خلود الروح وإن مصدرها الكائن الآلهي، كما ألهمتهم بوجود أرواح الأسلاف النافعة. وأكثر من ذلك فقد كان في القرون الخمسة التي سبقت ظهور المسيح تأثير تسرب مستمر لليهودية والمصرية والفينيقية والإغريقية على بابل، فقبل السبي كان جماعات التجار والصرافين اليهود قد ركزوا أنفسهم فيما بين النهرين. بينما كان التجار والمرتزقة الآخرون يمرون من وإلى الشرق الأقصى وسواحل مصر وفينيقيا وبلاد الإغريق.

وبالرغم من كون التاجر والجندي وسيطين لتبادل الأفكار فهما في أحسن الأحوال لا يكونان أكثر من ناقلين سلبيين للأفكار الدينية، ففي الأساطير الصابئية وهو أيضاً في أساطير الهند وفارس، يجد المرء إشارات متكررة للدراويش الرحالة الجوابين المتدينين الذين كما جاء في أسطورة "هرمز شاه" الصابئية وأسطورة "كاوتامابوذي" الهندية وكما جاء في أساطير القرون الوسطى كأسطورة "كوروناناك"، كانوا يرحلون طلباً للراحة العقلية والروحية؛ فالتأملات في الغرب تنبعث من مفكر يجلس فوق أريكته، والعاملون في حقل الفكر هناك لا يذهبون إلى أبعد من المختبر والمكتب، أما في الشرق فالباحثون عن الحقيقة جوالون لهم اعتباران عقلي وجسمي. ومن المحقق أنه

حينما ينفذ التاجر يتبعه الجوالون الدينيون، فالفلاسفة الجوالون كانت تمتد ساحة عملهم من الصين إلى الهند وبلوجستان وفارس، ومن فارس والعراق إلى البحر الأبيض المتوسط، سالكين ممرات كردستان والممرات المائية في العراق.

والشرقيون يحبون الجدل الميتافيزي ويبحثون عنه، وبمقدار ما تسمو منزلة المرء يكون انصرافه لهذه الممارسة وإنصاته لآراء الضيوف؛ وتكون النتيجة خميرة من الشكوك لدى المثقفين، تنتشر بعد ذلك بين الجماهير بشكل هرطقة سرية أولاً ثم على شكل دين جديد.

هنا تكمن أهمية الصابئين، فهم بسبب تماسكهم المتطرف حين اختاروا "هذا الدين الجديد" في فترة سنسكريتية بعيدة، قد احتفظوا أيضاً بالقديم بأمانة وإخلاص، حتى ليستطيع المرء أن يزيح الإبهام من هنا وهناك وأن يشير إلى "هذا" بأنه بابلي وإلى "ذاك" بأنه مزدكي وإلى ما يمكن أن يعود إلى زمن حرمّ فيه لحم الحيوان أو إلى ما يشير إلى مرحلة كان الإصلاحيون المتحمسون فيها يسعون لتطهير بعض العقائد القديمة الموروثة.

في فترة كهذه جمعت الكتابات الصابئية الدينية ونسخت وللمرء أن يحدس بأن الجامعين كانوا لاجئين وسوفسطائيين عادوا إلى الجماعات المطمئنة في جنوبي العراق تشينهم وثنية غير قابلة للإصلاح وكانت الكتابات المصححة تفوح برائحة الإصلاح والتحذير.

إن لب أو جوهر الدين الصابئي خلال جميع التقلبات والتغيرات هو عبادة قوانين الحياة والخصب القديمة، فالحياة العظمى لديهم تجسيد لقوة كونية خلاقة نافعة، غير أنه تجسيد سطحي يكون الحديث عنه دائماً بصيغة الجمع المبهمة ويظل تجريداً غامضاً؛ ورمز الحياة العظمى هو "الماء الحي" أو الجاري أو ما يسمونه "يردنه" (٤). وهو أمر طبيعي تماماً في بلاد تلتصق فيها حياة البشر والحيوان والنبات بضفاف النهرين الكبيرين دجلة والفرات، ومن هذا يأتي أن أحد الطقوس الرئيسية لديهم هو الاغتسال في الماء الجاري. والقوة الجوهرية الثانية في دينهم تتمثل في تجسيد النور "ملكا دنهورا" وفي مجموعة الملائكة النورانيين أو الأرواح النورانية الذين يمنحون الكون نعم النور والصحة والقوة والفضيلة والعدل. وفي الدستور الأخلاقي للصابئين، كما هو لدى

الزردشتيين أيضاً، يجب أن يصاحب النظافة وصحة الجسم والطاعة الطقسية، سلامة العقل والضمير وإطاعة القواعد الأخلاقية. وهذا الازدواج كان مما يميز شعائر "أنو" و"أيا" في زمن السومريين، وشعائر "بيل" و "أيا" أيام البابليين. نفهم من هذا أنه إذا كان الفكر الصابئي قد نشأ ونضج تحت التأثير الإيراني أو الشرقي فإن جذوره تمتد إلى تربة مألوف فيها تشابه المثل، وحيث كان يمارس الاغتسال وطقوس الخصب منذ أقدم الأزمان.

والأمر الجوهري الثالث في الدين الصابئي هو الاعتقاد بخلود الروح وبصلتها الوثقى بأرواح أسلافها، صلة إلهية مباشرة، فوجبات الطعام تؤكل نيابة من أجل روح الميت، وتمنح أرواح الموتى التي أعينت العون هي بدورها للأحياء.

بقي في هذه المقدمة أن أقول شيئاً ما عن أسلوبي في جمع المواد المدونة هنا. فأنا أولاً قد اتصلت مباشرة بالصابئين عام ١٩٢٣ م إلا أنني لم أكن قد قرأت آنذاك ما ترجم من كتبهم المقدسة حتى عام ١٩٣١ . وقد أدى بي هذا إلى تعلم اللغة المندائية وإلى دراسه المخطوطات غير المترجمة، وأنا في هذا المجال أقدم اعتذاري عن عدم الدقة المحتملة فيما نقلت، فقد كانت لي سابقة عظيمة للوقوع بالخطأ لأن ليدزبارسكي نفسه، الذي هيأ لنا أحسن الترجمات لأكثر كتبهم المقدسة، كان قد وقع في أغلاط هنا وهناك حين كان ينقل فقرات تتعلق بالشعائر. إن معرفته باللغات السامية لم توضح له من الطقوس ما توضح مشاهدتها عياناً.

ولم أجد من الضروري مشاهدة الطقوس والمراسم عدة مرات فقط قبل الشروع بتدوين تقدير خاص أو ملاحظة دقيقة عنها بل وجدت من الضروري تعلم الطقوس ذاتها على يد الكهنة الذين يقومون بأدائها. ولم أكن قادرة على مشاهدة بعض المراسم، وفي مثل هذه الحالات كنت أسأل أشخاصاً عديدين عن الإجراءات فيها لأحصل على قدر كاف جيد من الانطباع الصحيح. إن عدم الكمال ووجود بعض الأخطاء خير من لاشيء في أغلب الأحوال، آخذة بنظر الاعتبار الظروف التي قد تحول دون المكوث في هذا القطر لذلك أقدم هذا الكتاب كما هو.

كنت لدى قيامي بجمع المعلومات أعتمد بأقل ما يمكن على ذاكرتي. فقد كنت أدون الملاحظات في لحظات المشاهدة العيانية كما كنت أقوم بتدوين جمل وعبارات كما

أسمعها. أما الأساطير والحكايات الشعبية فقد رويت لي شفاها، فإذا كنت فيها قد خلطت بين التعابير الإنجليزية والعربية فسبب ذلك ما ذكرت. وكنت في الحالات التي أعجز فيها عن إيجاد الكلمة المناسبة أدون الكلمة كما تنطق بالعربية، وإن قصرت عن تتبع الراوي كنت أطلب إليه التوقف عن الحديث لأفهم ما قال. وأنا لست عالمة باللغة العربية، غير أن اللغة العامية في العراق محدودة المفردات وقد اكتسبت بعد إقامة خمس أو ست عشرة سنة في هذه البلاد معرفة كافية فيها. وقد رويت لي جميع الأساطير باللغة العربية العامية تتخللها بعض الكلمات المندائية، لأن لغة تخاطب الصابئين المندائيين العامة (رطنة) ليست مستعملة لدى صابئة العراق، وهم لا يتحدثون في جميع أنحاء القطر إلا باللغة العربية العامية.

لقد قمت بزيارات كثيرة لمراكز صابئية مختلفة في العراق فزرت العمارة وقلعة صالح والناصرية وسوق الشيوخ والحلفاية وزرت في إيران المحمرة والأهواز، لأن مشاهدة الطقوس بسهولة أمر صعب في المجتمعات كثيرة العدد، وكانت جميع تلك المواقع تستغرق يوماً أو اثنين للسفر إليها من بغداد بالقطار أو السيارة.

ولو كنت أقرب محلاً إلى تلك المراكز لكان هذا الكتاب أجود مما هو عليه الآن.

ملاحظات عن المقدمة

١- لا يزال اسم هرمز شائعاً بين الصابئين واسم هرمزد بين النسطوريين والكلدانيين .

٢- أدونا : في تصوير في كتاب "ديوان أباثر" يطابق أدونا "شامش" (إله الشمس لدى البابليين) . إن صارية فلك الشمس بعلمها المضيء يمسك بها من اليمين شخص مع أغصان تمثل الشعر مكتوب تحتها : هذا شبيه شامش ، واسمه أدونا ، وفي كتابي "حرّان كويثا ، ودراشة اد يهيا" ، يستعمل "أدوناي (إلهي) الخاطئ" . وقد استعمل هذه الصيغة أحد الرواة وهو يصف فلك الشمس .

٣- كهان بارو وأشيبو : انظر مؤلف كامبل تومسون "السحر لدى الساميين" وبالنسبة للصابئين فإن التعرض للمرض والنجاسة والتجاوز على الطقوس وعدم التقيد بالقوانين الاجتماعية ، يفرض عليهم التطهر على أيدي الكهان . وكهان "بارو" و "أشيبو" في بابل وفي بابل المتأخرة كانوا يرتدون البياض مثل كهنة الصابئين ؛ وكان على كاهن "بارو" أن يكرس نفسه ويرتدي ملابس نظيفة ويهيئ قداساً من خبز حلو ، من قمح مطحون وملح وماء ، متبعاً نظاماً ليس بعيد الشبه في جوهره عما يتبعه الكاهن الصابئي حين يهيئ الخبز المقدس "بهثه" . ويترجم زمرمان قطعة يوصي بها كاهن "اشيبو" أحد الملوك :

سيصب الملك . . . . في الإناء

ويقول هكذا ، لعل هذه . . . .

ولعل أعمالي السيئة و . . . . تزال عني

لأكون نظيفاً وأعيش أمام شامش

وحالما يفعل هذا ، فسيغتسل الملك في النهر

ويرتدي ملابس نظيفة ويغسل يديه نظيفتين . . . . إلخ .

ومثل كاهن الصابئين كان لكاهن "بارو" دراسة ومنح درجة . وكان شامش راعيه الخاص ، وقد تطلبت شعائر إله الشمس ، طهارة ووضوءاً دقيقين بحيث أن كهان بارو "كالترميذي" قد شكلوا فئة خاصة .

ويقول زيمرن إن هؤلاء الكهان يعزون أصلهم إلى "أين - مي - در - أن - كي" ملك شيبار الذي كان في مدينته شعاراً خاصاً بإله - الشمس ، ويطابق زيمرن هذا الملك بـ "أنوش" الجد السابع للإنسان في السلالات ذات الفروع السبعة في سفر التوراة . وبالمثل تماماً فإن الكهان الصابئين يعدون "أنوش" الكاهن الأول .

وأكثر من ذلك فإن أعمال "أشيبو" فيما ندعوه بالسحر الأبيض يشبه ما يقوم به الكاهن الصابئي الذي لا تزال وظائفه تتضمن التعويذ من الأرواح الشريرة والأمراض وكتابة الفأل والتعاويذ والأحراز .

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى "أنوش" (الكلمة تعني "رجلاً" ويظهر أنه كآدم ، تجسيد لفكرة الإنسان) فالعلاقة المحتفظ بها اليوم ذات حال غريب ، فالعرب قد سموا "أنوش" أدريس (إشارة إلى وصفه معلماً ، من أصل درس) ، ومن المعتاد في بغداد زيارة قبر معروف يسمى "سيد إدريس" يقع في قرية غرب بغداد في أيام الآحاد وبخاصة في عيد الفصح ، والزوار مسلمون لا نصارى .

٤- يردنه : يقول الصابئون بأنها تعني "نهرا" أو "ماء جارياً" وليس لها علاقة بنهر الأردن في فلسطين ، فالأردن والنيل كلاهما يسمى عند الصابئين "اردنه" أو "اردن" . وقد سمعت لفظة "اردن" تسمية للنيل من أحد يهود العراق ، وفي "الرطنة" تطلق الكلمة على أي نهر ، وتتصل بكلمة "نهرا" المستعارة ربما من اللغة العربية نهر . ويرينا الأصل "نهر" كم هي وثيقة العلاقة بين معنى "النور" و "الماء" في الفكر السامي . ففي اللغة المندائية

لدينا كلمة "نهرا" أي نهرو "نهورا" أي نور . وفي العربية لدينا نهر ونهار . وفي العبرية "نهار" أي نهر , "نهارا" أي نهار . وفي البابلية "نا - آ - رو" أي نهر . و "نو - أو - رو" أي نهار .

و يقول أحد المندائيين في حواره الاعتيادي "يردنه طوفانه إهفت" . أو "يردنه برهاطي" أي النهر بالفيضان ، ومن المحقق أن الكلمة "يردنا" تستعمل في غير معناها الطقسي أيضاً .

وقد كتب هيرودتس (الكتاب الثالث ص ٤١٦-١٧ ترجمة راولنسن) : "إنني لا أقر بوجود أي نهر يطلق عليه البرابرة اسم إيرادانوس ويصب في بحر الشمال حيث (كما تقص الأسطورة) يستخرج الكهرمان لأن من الواضح أن كلمة إيرادانوس ليست قط بكلمة بربرية بل هي اسم إغريقي ، ابتدعه شاعر ما" .

وقد علق راولنسن على هذا بتعليق حول مسألة "الأردن" فقال : "هنا يحتفظ هيرودوتس كل التحفظ . ويعتبر خرافة ما نراه حقيقة . فمنطقة الكهرمان في البحر الشمال هي سواحل البلطيق حوالي خليج الدانزج . . وهناك يتردد اسم إيرادانوس بالضبط باسم رودون ، النهر الصغير الذي يغسل الجانب الغربي لمدينة دانزج . ومن المحتمل أن يكون هذا الاسم قد أطلق في الأزمنة الأولى بالأحرى على نهر الفستولا لا على نهر رودون . أما بالنسبة لكلمة إيرادانوس (رودانوس) فيظهر أنها أطلقت من قبل مستوطني أوروبا الأوائل ، على أنها كبيرة سريعة الجريان . فاسم إيرادانوس الإيطالي (البو) ورودانوس عبر الألب (الرون) ونهر الشمال رينوس (الراين) وهو اسم تلمح فيه تخفيفاً لما قد قلب من رودانوس إلى رون ؛ تلك الأنهار جميعاً هي أنهار ذات صفة متشابهة . ثم يستمر ليدخل الأردن تحت إمكانية هذا الاشتقاق .

وتظهر لفظة "ارد" بتوافق عجيب مغرٍ في اسم نهر آلهي ، أو نهر "أردوفيشورا" الذي يصب نظراً للتقاليد البارسية . في بحر "فورد كاشا" إلا أن "اردفي" تعني "المنفرد" . ولدى السرمودي ملاحظة هامة في بحثه عن الصابئين (المندائيين) في "جورنال كي . آر . معهد كاما الشرقي" .

Journal of the K.R. Coma Orient Institute.

حيث يقول : "بعض العلماء يطابق "ارديفيشورا" بـ "الأوكسز" و "فورد كاشا" ببحر قزوين . ويقوم الأردن لدى الصابئين مقام أردفيشورا لدى البارسيين . فقد اعتقد الصابئون بأن الأردن ، نهر دنيوي لكنه ينبع من عالم سماوي عن طريق الجبال . ونفس الشيء من نهر اردیفیشورا . وقد ارتبط أخيراً بالسماوات العلى واعتقد بأنه يأتي عن طريق جبال حكارى . واسم أرديفيشورا بالرغم من أنه بالأصل اسم لنهر معين ، فقد أصبح يستعمل لكل مجموعة طبيعية من المياه الجارية أو النابعة . ومن المعتاد أن تسمع البارسيين يقولون لدى ذهابهم إلى شاطئ نهر أو ساحل بحر إنهم ذاهبون إلى "أدفان ارديفيشورا" . . . ويبدأ البارسي يتلفظ "ارديفيشور نيائش" أو "ارديفيشوا ياشت" أمام أي تجمع مائي طبيعي أو ماء جار ، سواء أكان المحيط الهندي أم البحر العربي ، وسواء أكان ذلك نهرا أم بحيرة . جدولاً أم عين ماء" .

وفي السريانية "ارد" تعني ينبوعاً أوعيناً و "ورد" في العربية تعني "جاء إلى الماء" وبمعناها هذا لابد أن تكون لها علاقة بهذا الأصل .

ومن المهم أن نلاحظ أن الصابئين يرجعون مصدر جميع الأنهار والمياه إلى مصدر أصلي واحد ، هو نهر أبيض نقي في جبال تدعى "كريمله" . وهذا المصدر الأصلي هو "فراش زيوا" أو "فرات زيوا" أي نهر الفرات وليس الأردن .

الفصل الأول

المندائيون (الصبّة) في العراق وإيران

من خصائص مختلف المجتمعات والأديان المجتمعة حول بعضها البعض كأقليات في العراق الحديث، انعزاليتها وعدم امتزاجها إلا بالذين على دينها من الناس، ونادراً ما تتزوج من خارج هذا المحيط. ويصدق هذا بصورة خاصة على اليهود واليزيديين والصابئيين، وبالرغم من قلة عدد الصابئين وإحاطتهم من قبل أديان أخرى مجاورة، فهم لا يمتزجون معها مطلقاً ولا يصاهرونها، بينما يعتبر الصابئي الذي يتزوج من غير جنسه خارجا على الدين بصورة تلقائية.

إن تسمية "صبّة" (مفردها صبي) [١] تعبير عامي يرتضيه الصابئون دليلاً على طقسهم الرئيس ـ الاغتسال ـ، إلا أن التسمية الأكثر رسمية لجنسهم ودينهم والتي يستعملونها فيما بينهم هي "مندايي" أو المندائيون.

ويظهرون في الكتب العربية باسم صابئة وصابئين، ولا شك بأنهم مطابقون للمغتسلة [٢] الذين ولد بينهم ماني مؤسس المانوية كما جاء في كتاب الفهرست؛ وغالباً ما خلط المؤلفون العرب بين الصابئين والمجوس، وليس ذلك بدون مبرر ما دامت بعض الشعائر متشابهة. وقد اعتاد الرحالة الغربيون في الشرق أن يشيروا إليهم بنصارى القديس يوحنا، ويعرفهم الأوروبيون الذين قدموا إلى العراق في الحرب العالمية الأولى باسم "صاغة الفضة العماريين".

ونظراً لقلة عدد أفراد هذه الطائفة وحبها للسلام، دون أن يكون لديها أي طموح سياسي، فليس لها مقام في التاريخ أكثر من الذكر العابر لوجودها، ومن تسجيل لذكر بعض العلماء اللامعين في بلاط الخلفاء العباسيين، الذين كانوا على طريقة الصابئين في الفكر. واليوم فإن مراكزالصابئين الرئيسية هي في جنوب العراق في منطقة الأهوار

وعلى الضفاف الدنيا من نهري دجلة والفرات، في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوخ؛ ويوجد جماعات منهم بأعداد مختلفة إلى الشمال من المناطق المذكورة كبغداد والكوت والديوانية وكركوك والموصل. وقد حملتهم مهارتهم في الصنعة إلى بلاد بعيدة، حيث نجد حوانيت الصاغة منهم في بيروت ودمشق والإسكندرية (*)، أما في إيران فقد كان عدد الصابئين كبيراً في إقليم عربستان، غير أن عددهم آخذ بالتناقص، والساكنون منهم في المحمرة والأهواز على ضفاف نهر كارون ليسوا بنعمة وصحة كما هي عليه الحال مع الصابئين في العراق(**).

إن السمات المميزة لهذه الطائفة، إذا كانت الطبقة العليا موضع البحث، يمكن تمييزها بسماتهم البدنية غير الاعتيادية؛ وقد قلت "الطبقة العليا" وأعني بذلك الصابئين الذين تحدروا من أسر كهنوتية تتشدد كثيراً في نقاوة النسب وتبحث عن السلامة التامة لدى الزواج. وللأسر الكهنوتية نوعان متميزان، الأول قوي أسمر اللون ذو عيون سود، والآخر طويل أبيض البشرة أو برونزيها قليلاً، بنسبة من العيون الزرق المائلة إلى السواد تبلغ ثلاثاً في كل اثنتي عشرة. أما الصابئون الفقراء سكان الأهوار في العراق وفي جنوبي إيران فهم أقتم بشرة وأضأل أجساماً من الفئة الكهنوتية، ذات الأجسام السليمة بصورة عامة. وعلى العموم فإن القوة والجمال والأنف الكبير الطويل الأقنى هي السمات المميزة للفرد الصابئي.

وكان المتجول بين حوانيت الصاغة الصابئين أيام الاحتلال البريطاني وأثناء فترة الانتداب يشاهد على باب الحانوت لوحة تعلن أنه "مسيحي من أتباع يوحنا المعمدان"، وقد اختفى هذا بتأسيس الحكم الوطني. والصابئون كغيرهم من ذوي الأديان الباطنية، يجسمون نقاط التشابه الصغيرة بينهم وبين المتحدثين إليهم من الأديان الأخرى، فهم يجيبون السائل بأن "يحيى نبينا كما أن نبيكم عيسى أو محمد"، حسبما يتطلب الحال. وقد وجدت حالاً بأن يوحنا المعمدان (يوحنا أو يهيا يهانا) لا يمكن أن يوصف كنبي لهم بالمعنى الدقيق، وفي الحقيقة فقد ملت مرة للاعتقاد بأنه كان استيراداً من

(*) يوجد بعض منهم الآن في إيطاليا وفرنسا وأمريكا كصاغة أو كمهاجرين .

(**) الصابئون في إيران لا يختلفون من الناحية الصحية والدينية عن الصابئين في العراق إلا أنهم أقل تقدماً من الناحيتين الاجتماعية والثقافية العصريتين بسبب تمسكهم المتزمت بشعائر الدين الذي يفرض انعزاليتهم عن سائر الأقوام بعكس ما جرى عليه الحال في العراق .

المسيحيين، إلا أنني اقتنعت بالتدريج بأنه ليس مجرد إقحام، بل قد كانت له علاقة حقيقية "بالناصورائي" الأصليين، الاسم الذي كان يطلق على أصحاب هذه العقيدة في الأيام الأولى، فالصابئون لا يدعون بأن دينهم أو شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا بل إن كل ما ينسب إليه هو أنه كان معلماً عظيماً (*)، وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن، وأن تغييرات دينية معينة تنسب إليه، كتقليل أوقات الصلاة، من خمس إلى ثلاث يومياً، فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئين "ناصورائياً" أي ضليعاً في العقيدة، ذا معجزات تعالج بصورة رئيسة شفاء أبدان الناس وأرواحهم (٣). فهو بفضل علمه (ناصيروثه) لا يفله الحديد ولا تحرقه النار ولا يغرقه الماء، تلك الأشياء التي يدعيها اليوم الدراويش الرفاعيون.

وعيسى بالنسبة للاهوتيين الصابئين "ناصورائي" أيضاً، إلا أنه خرج على الدين وقاد الناس إلى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين أكثر يسراً (أي أنه سخر بالصعب وأنشأ قواعد جديدة حول التطهير).

والإشارات إلى المسيح (يشومشيهه) هي في الحقيقة عبارات جدالية تشير بالدرجة الأولى إلى أعمال المسيحية البيزنطية التي أثارت الرعب في قلوب الصابئين (المندائيين) باتخاذها الماء (غير الجاري) للتعميد، وبعزوبة الرهبان (٤) والراهبات. فديوان "حران كويثه" يذكر تأسيس الجماعات المسيحية في جبل سيناء؛ وفي الطقوس لا يذكر اسم يسوع أو اسم يوحنا (٥) (**). أما ما ذكره سيوفي من أن اسم يوحنا يذكر في التعميد فهو مجرد تصور (***). فهو لا يذكر أو يستدعى في أي طقس عدا ذكره في "الذخرانا" (****) حيث تذكر أسماء الأرواح الدورانية والرجال المقدسين والموتى

(*) جاء في كتابيْ "حرّان كويثه" و "دراشه اد يهيا" أن يوحنا كان نبياً و رسولاً ويقصد الصابئون من كلمة رسول (شليهه) أنه جاء إلى الدنيا بأمر من الرب وبمهمة خاصة، لا بمعنى الرسول الذي يأتي بدين جديد.

(**) يذكر اسم يوحنا في الصلاة اليومية (براخه) وتقام ثلاث مرات يومياً صباحاً قبل الشروق وضحىً وقبل غروب الشمس.

(***) يذكر اسم يحيى في التعميد عند تلاوة صلاة (بهاثن قد مايى) أي صلاة الأسلاف وهي جزء متمم لإجراءات التعميد.

(****) (الذخرانا) أي الذكرى أو التذكر صلاة ووجبة طقسية تقام على أرواح الأسلاف ومن ضمنها تتلى صلاة (بهاثن قد مايى) التي يأتي فيها ذكرى يحيى.

الصالحين منذ أول الأيام إلى الوقت الحاضر، ولكنه لا ينفرد بأي امتياز خاص في هذه القائمة من الأسماء.

إن تعبير "مسيحي من أتباع يوحنا" يكمن إذن ليس في علاقة الدين بالمسيح أو بيحيى، بل لأن يوحنا اسم نافع أمام المسيحيين من جهة، وقد ذكر للحصول على تسامحهم، ولوجود علاقة بين اللفظ "ناصورائي" واللفظ العربي الذي يطلق على المسيحيين ـ نصارى ـ من جهة أخرى. ولست أريد الدخول هنا في النقاش الذي ثار حين أشار ليدزبارسكي إلى الصعوبات اللغوية التي تمنع لفظة (ناصورايي) من أن تكون بمعنى "رجل من الناصرة" وكان اعتقاده هذا من القوة بحيث قال بأن الإنجيليين قد أشاروا إلى أن طفولة المسيح كانت في الناصرة ليوضحوا التقليد القائل بأنه كان "ناصورائي" وقد أثبت ليدزبارسكي نقاشه هذا في كتابه "الطقوس الدينية المندائية". وفي مقدمة ترجمته لكتاب "كنزه ربه". فإليهما أشير للقارئ.

وفي مخطوطات الصابئين وفي أساطيرهم تستعمل كلمة ناصورائي بالمعنى الذي أشرنا إليه في أعلاه أي "الشخص الحاذق في الأمور الدينية وفي الرقية" بينما يسمون المسيحيين "مشيهيه" أي أتباع المسيح أو "كريستيانيا". وتحمل الدواوين الطلسمية

تدويناً يقول "هذا مأخوذ من الناصروثا" (حرفة الكهانة) عن فلان وفلان. وقد جاء عن يوحنا في "حرّان كويثا" ما يأتي: ـ

حين كان في السابعة من العمر جاء "أنوش أثرا" (٦) وكتب له الأبجدية (آ ـ با ـ كا ـ دا) وفي الثانية والعشرين من عمره كان قد تعلم كل حرفة الكهنوت (ناصروثه).

ويشار في المخطوطات المتأخرة إلى الناصورائي بوصفهم أعلى من طبقة العامة فيقال "الناصورائي والمندائي" في حين اسمعها في هذه الأيام تطلق على الروحاني العالم المعروف بمهارته في الرقية، فيقال: "يا له من ناصورائي حقيقي".

فما هو أصل هذه الكلمة؟ يظن ليدزبارسكي بأنها تنتسب لكلمة "يلاحظ" ومن هذا يستنتج بأن الناصورائي كانوا "ملاحظين". ويفترض مستشرق آخر أنها قد تكون مشابهة لأصل كلمة "نصر" السريانية ومعناها "الزقزقة والتغريد (كالطيور)، والنطق بأصوات مبهمة (كالساحر) والتغني وترتيل الأدعية". وكلا هذين الفرضين، في أصل المعنى يتفقان ورأي الصابئين، فالناصورائي عندهم كان مراقباً للنجوم والبروج

والعلامات. وقد فاخر أحد كهنتهم بهذه المعرفة، حين كان يتحدث عن العلم الباطني المنقول كاهناً عن كاهن قال:

"لو أن غراباً نعب في برج فأنا أفهم ما يقول، كذلك أفهم معنى الحريق حين يشب، والباب حين يفرقع، والجو حين يغيم وتتخذ السحب أشكال الحيوانات، وحين يخسف القمر فأنا أفهم دلالته وحين يثور الغبار أسود، أو أحمر، أو أبيض، فأنا أفهم هذه العلامات حسب الساعة وحسب الاتجاه".

والمعنى الثاني لأصل الكلمة يستجيب لوظائف وطبيعة الناصورائي، إذ ليست هناك من رقية أو أي عمل ديني، يمكن أن يعتبر فاعلاً ما لم يجر حسب صيغة معينة، إذ إن للكلمات قوة سحرية، وأن مجرد نطق اسم كاف لإلزام صاحبه لأن يكون في عون الناطق، أو سيدعو على الأقل إلى حضوره. وجميع الصلوات والأدعية تتلى بصوت مسموع عدا ما يكون منها في غاية السرية حيث لا يمكن تلاوته إلا بصمت عن طريق القلب. وبالاختصار فإن الفرد الصابئي اليوم يؤمن بالرقية، كما كان يفعل الأسلاف في أرض سومر منذ القدم.

ويقودنا الاسم الأخير (ماندايي أو المندائيون) إلى مسألة أصل هؤلاء الناس. لقد بحثت ذلك في مقالة حول المندى (بيت العبادة) في مجلة مصر والشرق (حزيران عام ١٩٣٤) وقد تأيد ما ذهبت إليه إذ ذاك بشواهد وأدلة من ديوان "حرّان كويثه" المخطوط الهام الذي أفلحت في الحصول عليه بعد جهد سنين؛ لقد وجدت فيه ما كنت أبحث عنه، وهي معلومات محددة عن جبل ماداي (طوراد ماداي) أو جبل المندايي، الذي كثيراً ما يذكر في الأساطير والحكايات الصابئية.

والمخطوط ناقص والبداية فيه مفقودة، وهو يحتوي على إشارات وتعليقات قاسية، ولهذا تصعب معرفة تاريخه بوساطة مضمونة. فهو بعكس كتاب "كنزه ربه" (*) يجعل لحكم العرب (٤٠٠٠) أربعة آلاف سنة قبل ظهور المسيح الكذاب، ولكنه يطابقه في قوله "بأن اللبنة في الجدار ستنادي به" ويعيد الكاتب برخوني في مؤلفه "شوليون ٧٩٢م" نفس هذه الأسطورة.

(*) كتاب الصابئين الرئيسي المقدس ويدعى أيضاً كتاب آدم ومعناه (الكنز العظيم).

وتستعمل فيه لفظة "ترميده" بمعناها القديم "حواريّ". وقد كتب الكتاب بعد الفتح الإسلامي، غير أن الحديث فيه عن الإسلام لا يتسم بالعنف، كما اتسم الحديث عن اليهود (يهوطايي) اللفظة التي تطلق على الكلدانيين وعلى اليهود.

ويحتوي المخطوط على تأريخ ونبوءة ممتزجين؛ والصابئون ينظرون إليه باحترام كبير، وقد احتفظوا به مكتوماً لصفته الجدالية.

يبدأ المخطوط هكذا:

"واستقبلتهم حران (حرّان) المدينة التي كان فيها الناصورائي. ولهذا فليس من سبيل لملوك اليهوطايي (الكلدانيين). وكان على رأسهم (الناصورائي) ملك أردوان، وقد عزلوا أنفسهم عن العلامات السبع ودخلوا في جبل ماداي حيث أصبحوا أحراراً من تسلط جميع الأجناس وأقاموا المندى (مفردها مندى) وسكنوا هناك بأمر الحياة (*) وبقوة ملك النور السامي".

ويشير المخطوط إلى ولادة يسوع باختصار فيقول:

"لقد حرّف كلمات النور وأبدلها بالظلام وغير دين أولئك الذين كانوا على ديني وبدل جميع الشعائر (أبيداثا) وأقام هو وأخوه(**) في جبل سيناء ودعوا لأنفسهم جميع الناس وجلبوهم لدينهم وأطلقوا عليهم اسم كريستيانا وسموا على اسم مدينة الناصرة (نزرته مدنتا).

وبعد ذلك تأتي ولادة يحيى (يهيا يهانا) المعجزة؟: (وهنا اختلاف في القصة بينها وبين قصة ولادة يحيى في كتاب تعاليم يحيى دراشه يهيا) وقصة تنشئته في "الجبل الأبيض" (باروان) وتعميده وتعليمه وإدخاله الكهنوتية في جبل ماداي. وأخيراً يحدد في هذه الوثيقة محل "جبل ماداي" بأنه يدعى "بحران الداخلية" (متقريا حران كويثا) وهناك حاشية دخيلة أقحمت تعترض مجرى الرواية لتقول:

(*) الحياة والحي في لغة الصابئين يعبر عنها بلفظ واحد هو (هيّي) ونحن نميل إلى ترجمة الكلمة هنا بمعنى (حي) بدلاً من حياة.

(**) النص المندائي يذكر (المسيح وإخوانه) أي أصحابه والعبارة في النص هي (هو و آهى) أي هو وأخوانه.

"إن المادي لا يحسبون من أتباع (الروهه) [٧] وأبنائها السبعة لأن بينهم أتباع هيبل زيوا".

ثم يؤتى بيحيى إلى أورشليم حيث توجد مجموعة من سكان جبل مادي:

"ثم جاء به (أنوش أوثرا) إلى مدينة أورشليم حيث الجماعة التي أوجدتها الروهة. وكلهم كان من أتباع أبنائها عدا أولئك الذين هم من جبل مادي".

وليس هنالك ذكر لتعميد يحيى للمسيح (كما هي الحال في دراشه ديهيا) أو تعميد يحيى لمنداد هيي؛ والواقع أن تعبير "منداد هيي" لا يستعمل في كل الكتاب.

ويظهر المخطوط يحيى بأنه معلمٌ ومعمِّدٌ وشافٍ: "لقد علم حواريين (ترمد ترميدي) وجعل الكسيحين يسيرون على أرجلهم".

وبعد ستين عاماً من وفاته، كما ينص المخطوط، حصل اضطهاد للناصورائي في أورشليم "إلى حد لم ينج أحد من الحواريين ومن الناصورائي". وذكرت نجاة بقية من الناس. ثم إن اليهود بدورهم قد سيقوا و إن كثيراً منهم قد أخذ بالسوط إلى محل يدعى "سوف زابا" (نهير ذو قصب) قيل أخيراً إنه البصرة. وقد زوّق المؤرخ هذه الهجرة بتفاصيل اقتبسها من الهروب القديم من مصر، إذ يصفها بأنها اجتياز معجز للمياه (مياه الأهوار)؟ (وسوف زابا واضح هنا بأنه منطقة الأهوار القصبية في منطقة البصرة) ولا يذكر بعد ذلك أية جملة تعقيبية.

وبمساعدة "الروهة" بنى اليهوطايي (هنا الكلدانيون) مدينة جديدة منيعة ذات سبعة أسوار "كل سور أفخم من السور الذي يليه" وهذه المدينة (بغداد) خربتها تماماً قوى النور يؤيدهم المادي والحراس (ناطرى) السبعة من "جبل باروان". ونصب أحد أحفاد ملك أردوان على بغداد وامتد حكمه إلى الزوايا الأربع من العالم، وعين الولاة على المقاطعات وكانت لها أسماء صابئية، وقد اعترفت قوى النور بهذا السلطان. ثم يأتي وصف خراب أورشليم من قبل قوى النور.

"ذهب (أنش أثرا) وأحرق مدينة أورشليم وخربها، وقتل بني إسرائيل وكهان أورشليم وجعلها أكواماً من الخرائب (أكواث تلياد هبرواثه). ويتلو فترة الازدهار في

بابل التبلبل أجناساً وألسنةً وحروباً. ثم يأخذ السلطة (الهردبايا) (أوهر بابايا ـ دعاة الحرب) من أحفاد أردوان ويستمر حكمهم ٣٦٠ عاماً حتى الفتح العربي".

ولا يهتم الكاتب بالغزاة والحكام اهتمامه بالانشقاق الذي حصل في صفوف "الناصورائي" أنفسهم فهو يؤرخ استيطان "الناصورائي" للطيب (الأرض المنخفضة ذات الآبار الواقعة بين أهوار لواء العمارة وجبال حمرين)، ويصف كيف حدث قبل الفتح الإسلامي بست وثمانين سنة أن خُدِع أحد رؤساء الأمة "قيقل ريش أمّه" من قبل الروهة متنكرة بزي نوراني، بحيث أنه هو وكهانه وأناس آخرون كثيرون انحرفوا عن العقيدة الحقة وكتبوا كتابات مستوحاة من قوى الظلام. ويظهر أن ذلك المروق أو الانحراف كان لا يزال قوياً إذ ذاك لأن الكاتب ينصح الناس بتجنب الاتصال بهؤلاء الخوارج وبحرق كتبهم وتدميرها.

ثم يأتي بعد ذلك مجيء العرب ويعبر عن محمد (ص) تارة "العربي ابن الحَرَم" وأحياناً "محمد بن عبد الله".

ويقص الكاتب كيف أن "انوش بن دنقا" من جبل "أرسايي" قد قدم على الملك العربي وأوضح له بأن لدى الصابئين كتباً مقدسة ثمينة وديناً قديماً "وهكذا حصل على الأمان لأتباع دينه" (*).

هنا ينتهي سرد الحوادث في الماضي وتبدأ التنبؤات للمستقبل منتهياً بخليط بين العرب وحكم المسيح الدجال وعودة أنوش أثرا المنتظر ثم الكارثة الأخيرة قبل نهاية العالم أيام حكم "أمامت ابنة قن". وتكمن أهمية هذه الوثيقة في تضمنها لفظة ناصورائي مطابقة للبارثيين "الذين ينسجمون إلى حد كبير مع أبناء أبناء أردوان ملكا" الذين جاؤوا من "طوراد ماداي". والإشارة إلى كون هذا المكان، مكاناً جبلياً يمتد إلى حران، واضحة جداً، كما تظهر أهميتها أيضاً في الإشارة إلى أن "المادي" لم يكونوا

(*) أما البلاد المفتوحة فلما جاء المسلمون لفتحها فأول من لقيهم في حدودها العرب أبناء لغتهم وأهل عصبيتهم ، ولما توغلوا في الشام والعراق استأنس أهلها باللسان العربي لقربه من لسانهم الآرامي أو السرياني مع بعد لسان حكامهم يومئذ الرومي أو الفارسي عنهم فكان ذلك في جملة ما مهد لهم أسباب الفتح (تاريخ التمدن الإسلامي ج٥ ص١٨) .

جميعاً ناصورائي. ومما يستحق الذكر أيضاً حقيقة عدم ذكر تعبير "منداد هيّى" أو تعبير "ماندائيين". ويمكن أن يقال هنا بأن لفظ ماداي هو إشارة للفظ مندائيين، ولكن في هذه الحالة لا يمكن أن تعني لفظة المندائيين معنى المعرفيين بل تشير إلى قومية [٨].

لقد كنت مهتمة بمسألة الأصل منذ زمن بعيد وحين كنت أسأل الكهنة وأسمع منهم بأننا جئنا من الشمال لم أكن لأمنح هذا القول أية قيمة لأن سكان الشرق الأوسط لا يمكن أن يميزوا بين الدين والجنس ثم إن الأسلاف الإلهيين (عندهم) يسكنون في الشمال[٩] موطن الآلهة.

ولكن ظهر أن هناك شيئاً أكثر من ذلك في رفضهم الاعتراف بأن موطنهم الأصلي هو جنوبي العراق، أن هناك عجرفة وتغطرساً يشابهان إلى حد ما الادعاء النوردي في الوقت الحاضر.

ففي المقتطف التالي من كتاب الكنزه جاء مايلي: "العالم جميعه يسمي الشمال الأرض المرتفعة والجنوب الأرض المنخفضة لأن عوالم الظلام تقع في الأراضي المنخفضة في الجنوب.. وأولئك الذين يسكنون في الشمال هم بيض البشرة أما أولئك الذين يسكنون في الجنوب فهم سود ومظهرهم قبيح كالشياطين". ولدى الصابئين خليط من الأساطير والتقاليد، غير أن جبل ماداي يذكر دائماً فيما يقصون، وحين سألت عن محله اختلفت الإجابات، فقسم قال إنه مطابق لـ "مشوني كشطة"، العالم المثالي لعالمنا، وكان آخر أكثر دقة حين قال "أظن أنه في إيران لان ماديا في إيران" وقال كاهن آخر دون مبالاة "إن بعضهم يقول أن طورد ماداي في تركستان وإنني سمعت بأن العرب يسمونه جبل طي". وهناك أهمية في قول أحد الصابئين حين كان يتحدث عن التعميد: "كان صابئو الزمن القديم يسكنون مع الفرس في محل حيث الينابيع الساخنة في الشتاء والباردة في الصيف" وقد وصف جبل الماداي في إحدى الأساطير بأن له جواً معتدلاً وينابيع حارة. ويوجد في المراجع قليل من الأدلة المباشرة وهي عامة في جميع النصوص وتشير إلى "ماء أسود يحترق كالنار". وليس هذا إلا السائل الناز وإلا اندفاع الزيت المحترق المعروفان في جميع هذه الأصقاع النفطية.

ومن الغريب تماماً ألا يجعل الكهنة محل خلق الإنسان الأول في الشمال فهم

يقولون بأن الإنسان الأول كان في سرنديب (سيلان)، ومن الغامض أيضاً الادعاء بأن المصريين كانوا على دينهم (*) وبأن جنس أسلاف الصابئين الأوائل قد انحدروا من مصر إلى جبل ماداي، لهذا تؤكل كل عام وجبة طقسية في ذكرى الحملة المصرية التي غرقت في الماء وهي تتبع اليهود "الخبثاء" ولابد أن تكون هذه القصة قد جاءت عن مصادر إسرائيلية؛ ويميل المرء إلى الدهشة ما إذا كانت تلك المقتطفات من الإسرائيليات قد أخذت عن أسرى سرجون وأنهم حقاً قد سكنوا قرب بحر الخزر وتحولوا إلى دين المزدية وامتزجوا مع أقوام تلك البلاد كما افترض بعضهم.

ومهما كان الأمر فالأسطورة والتقليد وحران كويثا كلها تذهب باتجاه واحد وهو أنه في زمن ما كانت جماعة لها نفس عقائد الصابئين تقريباً قد استوطنت بلاداً جبلية شمالية، وأن هذه البلاد لها ما يربطها بحرّان، وأن فئة دينية من أورشليم هاجرت بعد ذلك إلى الجنوب وكان لها نفس المعتقدات وأن لفظ الماداي أو المندائي لا علاقة له بالدين. ويظهر أكثر من ذلك، ليس فقط عن طريق الراوي في حرّان كويثا بل كما سأوضح في هذا الكتاب، من جميع الشعائر والأفكار التي تميزهم، أنّ هذه العقيدة التي عليها جميع هؤلاء الناس لها في الحقيقة نسب وثيق بالمزدية أو الزردشتية الأولى كما أن لها صلة أيضاً ببعض الشعائر البابلية القديمة. (**)

(*) لا يزال الصابئون يقيمون وجبة طقسية سنوية على أرواح المصريين الذين غرقوا في البحر الأحمر وهم يتتبعون النبي موسى واليهود . في قصة خروج اليهود من مصر المعروفة . وهم يعتقدون بأن بين أولئك الذين غرقوا قسماً كان يدين بالديانة الصابئية . وقد جاء في صحيفة روز اليوسف في عددها ٢٠٣٧ بقلم الأستاذ عبد الحميد جوده السحار ما يشير إلى هذه العلاقة حيث قال :

وبعث الله ادريس إلى الناس يدعوهم إلى عبادة الله الذي له السموات والأرض ويحدثهم عن البعث والحساب والميزان والجحيم والخيرات التي أعدّت للمتقين فآمن المصريون بالله قبل فجر التاريخ وقبل أن يوحد مينا الوجه البحري والوجه القبلي بآلاف السنين .

وعرف أتباع إدريس بالصابئين وعرف الكتاب الذي جاءهم به (كنزه) ولم تقم دعوة ادريس داخل حدود مصر بل ذهب إلى بلاد العرب يدعو إلى عبادة الله وحده .

ثم يستمر الأستاذ السحار فيقول (وكان إدريس يعرف قبل أن يدون البشر تاريخهم أن الأرض التي بين الفرات والنيل أمة واحدة فذهب إلى العراق يدعو أهلها إلى عبادة الله الواحد القهار فانتشر الصابئون في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات وفي أرض الشام وفي الجزيرة العربية وفي وادي النيل) .

(**) تقصد المؤلفة كما سيأتي في سياق حديثنا في فصل ١٤ بالنسب الوثيق بين الصابئين والزردشتيين التشابه في بعض الطقوس بينهما تشابها كلياً وبخاصة طقوس الوجبة الطقسية على روح الميت .

والآن سأتناول بحذر سلسلة من التطابقات اللغوية والتاريخية. فماذا يعني "ماداي" أو ماندائي؟ في المقتبسات من حران كويثا التي أشرنا إليها سابقاً، يوجد تعبير: بنوا مانديا (جمع مندى) وسكنوا هناك، وبيت العبادة العادي يسمى في لغة الكتابة "مشكنه" (مسكن) ويعرف بلغتهم العامية (الرطنة) بـ "مندى". وفي ديوان "شرح بروانيا" يسمى بيت الشعائر "مندا" ويوضح الكهنة أن الكلمة فارسية ومعناها "المسكن". وتأتي الكلمة بشكل مركب في اسم "ماندلتا" وهو اسم يطلق على نصب قصبي ثلاثي الشكل يقام في ساحة الدار التي يموت فيها أحد أفراد الأسرة ويعني ذلك هنا بوضوح "مسكن الروح" أو "مسكن الآلهة".

والآن وبقوة التشابه في التعابير الدينية في السريانية والآرامية فإن "منداد ـ هي" قد ترجم إلى "معرفة الحياة" أي غنوصية (*) وبالقياس ترجمت لفظة المندائي إلى الغنوصيين ـ المعرفيين ـ وكما أشار البروفيسور بالس Pallis سابقاً فقد تكون هذه اللفظة مستوردة؛ فكلمة المعرفة في آداب المندائيين هي "ماديثا ويادوثا ومادا أومادهثا" ثم ألحقت بكيفية ما النون للفعل "ادا" (يعرف) ولا يعرف سبب ذلك. وأكثر من هذا حين نأخذ من اسم "منداد هيي" لفظاً بمعنى "معرفة" أو غنوسطي لا نذهب بعيداً في تقييم هذه الجملة:

"أنتم (منداد هيي)... الشجرة العظمى التي هي جميع المندايي" والشجرة في كتب الصابئين رمز ديني للحياة الإلهية وليس من النادر أن تمثل أرواح الصابئين بالطيور ملتجئة إلى مأوى في كرمة أو شجرة ضد عواتي الزمن، وهنا من المعقول ترجمة كلمة "ماندا" إلى "مسكن" أو "مأوى".

وكان يوجد في الواقع منطقة تعرف بماندا في أيام البابليين المتأخرين، ويضع فنكلر هذه الماندا غربي بحر قزوين، وعلى كل حال فموقع المنطقة ليس محققاً، وحوالي ٥٥٣ قبل الميلاد (انظر:

(Cambridge Ancient History Volume 3,p.220)

(*) الغنوصيون المعرفيون أتباع مدرسة دينية فلسفية نشأت في القرون الأولى للمسيحية ومزجت في اعتقاداتها بين اللاهوت المسيحي وأديان الشرق القديمة والأفلاطونية الحديثة وفلسفة فيثاغورث . وكان الغنوصيون يعتقدون بسبب روحي غير مدرج يظهر ذاته بالفيض الإلهي وهو عكس العالم المادي مصدر الشر .

أمر الإله مردوخ الملك نابونيدس وهو يظهر له في المنام أن يسترجع هيكل القمر القديم الشهير في حران وقال الملك إنه لا يزال في أيدي (عمان ماندا) وسأل كيف يصح لملك بابلي أن يتدخل في حصتهم في الغنائم التي حصل عليها شيشاريس؟ وقد أجابه الإله بأن عمان مندا قد ماتوا وتفرقوا لأنه في السنة الثالثة من حكم نابونيدس كان كورش ملك أنزان قد هزمهم وحمل أشتوميكو (استياجيس) أسيراً ونهب مدينتهم (ايكباتانا).

وايكباتانا هي مدينة همدان الآن ويخمن فنكلر أن من المحتمل أن عمان مندا كانت قبيلة ميدية. ويجرأ ر.و. روجرز في مؤلفه "تاريخ فارس القديمة" على أن يقول أن مندا هم الماداي أو الميديون ويقول دي لاتر (شعب وامبراطورية الميديين):

"كان كورش في المخطوطات البابلية التي تحمل اسمه سيدا لجميع آسيا الشرقية، وتقسم الشعوب التي خضعت لسلطته إلى ثلاث مجموعات، شعوب كوتي أو گوتي، وشعوب سالمات كاكادي، وشعوب الماندا، وشعوب كوتي هم سكان أرمينيا، وشعوب سالمات كاكادي هم مجموعة الشعوب الخاضعة تماماً لسيطرة الإمبراطورية الآشورية والبابلية. وكانت شعوب الماندا خاضعة لملوك الميديين. وتطلق عبارة "رجال ماندا" من قبل أسرحدون على الكيمريين سكان كومر المجاورين للبحر الأسود والذين يعتبرهم الإنجيل ذوي علاقة بالميديين ومن الذين ساعدوهم على تخريب إمبراطورية نينوى. فهل هذا التشابه يسمح باستنتاج أن اسم "شعوب ماندا" كانت صفة عنصرية تشير إلى الشعوب الآرية قرب القفقاس كالكيمريين (السيمريين) وهم بهذا سكان إيران؟".

إن لفظة "ماندا" تأتي في عدة لهجات إيرانية وفي لغات فيها كلمات إيرانية فـ "ماندا" تعني مثلاً في شمال العراق سوقاً داخلية مسقفة أو بازاراً وفي الكوجوراتي توجد كلمة مندى أو مندافا وتعني الظل أو الهيكل وهي مأخوذة من مانديا السنسكريتية بنفس المعنى. والتوديون في جنوب الهند الذين لهم تقاليد في الهجرة من القزوين يسمون قريتهم أو مجموعة أكواخهم من القش مع طينية للأبقار المقدسة "ماند" وتأتي "ما - دا" في السومرية بمعنى الأرض أو السكن. واللغويون لا يجزمون بنسبة كلمة "ماتو" السامية إليها. فهل تقودنا كلمة "مادا" إلى الميديين؟

إن اللغة كثيب من الرمل لغير علماء اللغة وأنا لا أجرؤ على أكثر من أن أسأل

أولئك الذين يتصفون بهذه الصفة إذا كان من الممكن أن يكون أصل كلمة مادا أو ماندا "موطناً" "أو محلاً سكنياً" أو "ملجأ" أو أنه يشير إلى بناء أو مجموعة من الأبنية على عكس ما تقيمه العشائر الرحالة من مبانٍ موقتة.

فإذا كان ذلك ما ذكرت فإن معنى "ماندا دهيي" سيكون مساوياً لـ "بيت الحياة" أو "موطن الحياة" ويكون تجسيداً (مرة أخرى) للروح الجماعية للإنسان الذي يمثل جسمه موطن الروح أو كما افترض ليدز بارسكي بأنه تجسيد لجنس المانداثيين. سأترك ذلك للآخرين لفك العقد والرموز التي طرحتها أمامهم.

ولغة الصابئين ضد نظرية انحدارهم من الشمال كما أشار إلى ذلك البروفيسور (بركيت Burkitt) وهي لدى نولدكه لهجة بابلية فقد قال:

تنتسب اللغة المندائية انتساباً وثيقاً إلى لغة التلمود البابلية، فكلا اللغتين متجاورتان من الناحية الجغرافية وفي الواقع يمكننا أن ندعي بأن لغة التلمود البابلي كانت تستعمل في بابل العليا وأن المندائية كانت تستعمل في بابل السفلى. N.P.P.XXVFF

ثم كتب في محل آخر يقول:

"هناك علاقة وثيقة واضحة بين اللغة المندائية ولغة التلمود خلال النحو فيهما ويظهر أن المندائية شكل متأخر عن التلمودية في الظهور ولكن ليس بكليتها، لأن النصوص المندائية أنقى لغوياً وليست مختلطة بعناصر غريبة وهي تمثل الكلام الآرامي في بابل خيراً مما يمثله التلمود. ولو حفظ العرب لنا شيئاً أكثر بقليل من الكلمات التي نعرفها في الوقت الحاضر من لغة النبطيين (١٠) العراقيين (سكان بابل المتحدثين بالآرامية) لوجدنا الخصائص الرئيسية للغتين المندائية والتلمودية أكثر مما تقدر عليه الآن" (*). N.P.P.XXVI

(*) جاء في بحث (تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي) المنشور في المقتطف الجزء الأول والمجلد الخامس عشر بعد المائة سنة ١٩٤٩ لمؤلفيه الدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدي البكري ما يأتي :

(ونستطيع بعد ذلك أن نقسم اللهجات الآرامية إلى شرقية وغربية أما الشعبة الشرقية فتضم لهجة "الرها" الآرامية وكان موطنها ما بين النهرين وسميت بعد ظهور المسيحية بالسريانية . ولهجة آرامية يهودية بابلية هي لهجة (التلمود البابلي) وكان موطنها شمالي العراق . ولهجة الصابئين الآرامية وهي اللهجة (المندعية) (المندائية) وموطنها جنوب العراق . ثم يقولون عن اللهجة المندائية (واسمها مشتق من الكلمة الآرامية . مدعا .) ومعناها المعرفة ويسمى أصحابها بالصابئين أو المندعيين (المندانيين ؟) وهم طائفة من القبائل الآرامية كانت تسكن منطقة الأردن ثم هاجرت منها إلى العراق .

إن عدم وجود الأصوات الحلقية في المندائية والخلط المستمر بين السين والصاد والزاي وبين الكاف والقاف توازي إلى حد ما ما هو موجود في اللغة البابلية، ولكن حقيقة كون الهاء وحدها جعلت لتؤدي وظيفتي الهاء والحاء الساميتين يشير إلى أن اللسان كان في وقت ما غريباً على القوم الذين تحدثوا به، أو أن فيه قدراً معتبراً من العناصر الآرية أو غير السامية؛ وفي الحقيقة توجد "آه" ولكنها تستعمل بصورة خاصة موصولة بالشخص الثالث المفرد فقط، وتلفظ "أي" أو "آ" حسب الجنس والعدد فلا اعتبار لها بين الحروف.

وإذا نحن تركنا مسألة الأصول ورجعنا إلى تأريخ هذا العنصر في العراق، فالصابئون يذكرون ثلاث مرات في القرآن مقترنين باليهود و النصارى كشعب ذي دين معترف به(*)، وقد أشرت سابقاً إلى المصادر العربية التي جمعها جولسون في مؤلفه التذكاري الذي يعطي فيه اعتباراً خاصاً للعلماء الصابئين اللامعين في بلاط بغداد العباسي فقد أصبحت المعرفة اليونانية ميسورة لأوروبا بفضل ترجمتها إلى العربية وكان بين المترجمين إلى العربية صابئون حرانيون في عاصمة الخلافة. لقد كان الفيزياويون والفلكيون والفلاسفة والشعراء الصابئون زينة الحضارة العربية وقد ساعدوا على تأسيس شهرتها.

ويمكن أن يكون هؤلاء الصابئون الحرانيون قد كسبوا لإخوتهم في أهوار الجنوب الذين هم أكثر بدائية وبساطة، درجة من التسامح والمعاملة العادلة. ومهما كان الأمر فإن الصابئين في القرون الوسطى يظهرون وقد قهرهم الاضطهاد، فقد تركت إحدى الكوارث في القرن الرابع عشر طابعها في ذكرياتهم حتى أنهم يتحدثون عنها حتى في هذه الأيام. وقد عثرت على تسجيل لها في نهاية أحد الأحراز الطلسمية التي تفحصتها أخيراً، كما وجدت نفس الشيء مسجلاً في "التأريخ" وهو مخطوط يمتلكه الشيخ دخيل(**). يحكي

(*) ورد ذكر الصابئين في الآيات القرآنية الكريمة الآتية :

آ - إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة البقرة) .

ب - إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة المائدة) .

جـ - إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (سورة الحج) .

(**) أحد روحانيي الصابئين وقد توفي عام ١٩٦٥ .

المخطوط عن مذبحة رهيبة تعرض لها الصابئون في الجزيرة حين كان سلطان محسن ابن مهدي حاكماً في العمارة وكان ابنه فياض حاكماً في ششتر. وكان السبب امرأة صابئية خرجت من دارها إلى النهر في اليوم الأول من السنة الجديدة في الوقت الذي ينبغي أن يكون فيه جميع أفراد الصابئة داخل بيوتهم فتعرض لها أعراب كانوا في أسطول من الزوارق راسٍ هناك، ونشب القتال وأعلنت الحرب على الصابئين فذبح الكهان والرجال والنساء والأطفال وبقيت الطائفة مهيضة وبلا كهان لعدة سنين.

"إذا اضطهِدتْم فقولوا: نحن منكم ولكن لا يمكن ذلك قلبياً، ولا تنكروا صوت سيدكم ملك النور الأعلى، فالسر لا يمكن أن يفشى إلى ظهور المسيح الدجال". قد تكون هذه العبارة المأخوذة من كتاب "كنزه ربه" هي التي عملت على اعتبار الصابئين هراطقة ضارين من قبل البرتغاليين الذين كانت لهم محطة تجارية في البصرة، فقد أقنعت السلطات البرتغالية الباشا بتشجيع من رجال الدين على إجبار نصارى القديس يوحنا للعودة إلى الكنيسة، واتخذت الوسائل لتحويلهم إلى المسيحية بالقوة، وقد جند قسم منهم في الجيش البرتغالي؛ وفي أوائل القرن السابع عشر كان عدد من الصابئين مرتزقة برتغاليين. وقد أظهر الأتراك في الزمن الأخير تسامحاً أكثر حيالهم، فقد سمح لهم بدفع البدل بدلاً من الانخراط في الجيش العثماني لأن الحرب وسفك الدماء ضد العقائد الصابئية. وسنرى ما سيحدث حين يدخل العراق التجنيد الإجباري. إن الوضع ليس كما كان بطبيعة الحال فالتمسك بالدين أصبح واهياً وقد لقيت أخيراً ضابطاً صابئياً شارك في الحرب ضد الأثوريين، ووجدت بضعة شبان منهم طلاباً في المدارس العسكرية.

وفي الحقيقة فإن الأساليب الحديثة والطرق العصرية والتربية الوطنية والسينمات والسيارات وكل ما يجعل العراق حديثاً، كل ذلك يهدد وجود هذه الطائفة الآخذة بالاضمحلال، ففي المدارس الحديثة يرتدي الطلاب الزي العصري المطلوب ويمارسون العادات والأفكار الحديثة، وقد اتخذ الطلاب الصابئون (بمن فيهم أولاد الروحانيين) الزي الأوروبي ولبسوا السدارة وحين يعودون إلى بيوتهم يرفضون تعاليم الكهان ويسفهون آراءهم. وتحت ضغط المدارس أو العمل في الدوائر، فنادراً ما تقام طقوس التطهير بينما أخذ أبناء الكهنة يحلقون شعور رؤوسهم ولحاهم وبهذا أصبحوا غير

لائقين لحياة الكهنوت (انظر فصل٩). وهكذا كلما قلت أجور الكهان وتضاءل الدخل كان الإقبال على الكهنوتية ضعيفاً، وإذا ما ألحت هذه الظروف فستموت الكهنوتية تدريجياً وسيختفي الصابئون كملّة تظل بدون كهنة للتعميد وللزواج وللدفن. وهناك نزيف آخر لدى هذه الطائفة على شكل ارتداد عن العقيدة، فالنساء الصابئيات يتزوجن من خارج عقيدتهن ويتدين بدين أزواجهن ويبحث الشبان الصابئون عن دين لا يتعارض والمتطلبات الدنيوية العصرية وحياة المدن. إن عمومية الشواطئ في المدن الكبيرة تجعل عمليات الطهارة والاغتسال والعماد مستحيلة تقريباً. وحسب الإحصاء الأخير (نيسان ١٩٣٢) كان عدد نفوس الصابئين هو (٤٨٠٥) نسمات وأنا أميل إلى أن هذا أقل من العدد الصحيح الذي سيتقرر حين نحصل على نتائج الإحصاء الجديد الذي قامت به الحكومة العراقية(*). وقد ازدهرت الجماعات الصابئية أيام الاحتلال في مدينة العمارة وقلعة صالح، ويعد العراق المستقل بالمحافظة عليهم والتسامح معهم. إن الخطر على القطيع يكمن فيه لا في الذئاب من حوله.

(*) بلغ عدد نفوس الصابئين حسب إحصاء ١٩٥٧ (١١٩١٢) نسمة .

ملاحظات حول الفصل الأول

١- صبُه أو صبّه مفردها صبي أو صابي . كلمة عامية عربية مأخوذة من الكلمة المندائية (صْبَا) ومعناها يرتمس أو يغتسل . ويوجد في اللغة المندائية ميل في حالة وجود حرف لين ثالث في الكلمة لإحلال الحرف الثاني مشدداً محله . وعلى كل فلا يوجد كلمة (صب) في المندائية . ويحدث مثل هذا في كلمة (طبَّ) العامية العراقية ومعناها دخل أو ولج وهي ذات نسب بكلمة (طْبَا) المندائية وهي بنفس المعنى . وتستعمل كلمة (صبا) المندائية أيضاً بمعنى الارتماس في حمام الصبغ . ويعكس هذا المعنى المزدوج اعتقاد الصابئين أن "المصبُته" أو طقس الارتماس يحدث تبدلاً في اللون . فالشخص ، مجازاً ، يدخل أسود ويخرج أبيض . يأتي نجساً ويذهب طاهراً . ويستعمل الصابئون الناطقون بالعربية كلمة "اصطبغ" العربية حين يتحدثون عن التعميد لا عن المعمودية المسيحية . عماد . . و تنطق كلمة "مصبته" المندائية "مصفته" . وقد بحث المعنى الحقيقي لصيغة الفعل (صبا) الذي ورد في الكتب العربية "جولسون" والبروفيسور بالس في كتابه "المكتبة المندائية" .

٢- المغتسلة : . الذين يغسلون أنفسهم ، وكان موطن هذه الملة مناطق الأهوار الجنوبية في العراق . ولا أكاد أجد شيئاً مما ذكره "الفهرست" مما لا ينطبق في كثير من الوجوه على المندائيين . الصابئين . .

٣- جاء في الإنجيل : "وحين سمع يوحنا وهو في السجن بأفعال المسيح أرسل اثنين من حواريه ليقولا له أأنت من يجب أن يأتي أم ننتظر آخر ؟ وأجابهما يسوع اذهبا واعرضا على يوحنا مرة أخرى تلك الأشياء التي سمعتماه وشاهدتماها : لقد أبصر العمي ومشى العرج وشفي البرص وسمع الصم وقام الموتى . وللفقراء وعظ الإنجيل" .

٤- الناصوراني والرهبنة : . الأساطير الصابئية على عكس عقيدتهم تصور الناصوراني جماعات مترهبنة يشبهون إلى حد كبير الاسينيين المترهبين كما وصفهم جوزيفوس وفيلو . يقول جوزيفوس "يوجد مذهب آخر لدى الاسينيين يتفق وسائرهم بأسلوب العيش والعادات والقوانين ويختلف معهم في مسألة الزواج إذ إنهم يعتقدون أن الذين لا يتزوجون إنما يقطعون القسم الرئيس في الحياة البشرية وهو استمرار النوع" . وبالمثل فإن الصديقيين المانويين كانوا مذهباً نباتياً رهبانياً من حيث كهنوتهم . بينما كان يسمح للعامة بالزواج وأكل اللحوم . وفي تلك الديانتين . السامية والإيرانية ، يوجد صراع داخلي في الأفكار ، فبينما يجلب الاتصال الجنسي ولمس المرأة الحائض النجاسة من جهة ، فإن الغريزة القبلية وعبادة قانون الحياة تأمر الناس بأن يكونوا خصبين وأن يتكاثروا . ويهود الشرق والصابئون أيضاً يعتبرون الأعزب خاطئاً وضد الحياة ، فالمفروض بالأعزب لدى كلا المذهبين الاتصال بالجنيات والشياطين ، ومن هذا الاتحاد المحرم تتولد الأرواح الشريرة الضارة بالجنس البشري . وهي فكرة منتشرة في بابل القديمة .

جاء في كتاب "كنزه ربه" عن المسيحيين : . يصيرون رهباناً وراهبات ، ويمنعون بذورهم الواحد عن الآخر ، يحرمون النساء من الرجال والرجال من النساء . ويكممون أفواههم . ولا يرتدون الملابس البيضاء . . حينئذ تذهب إليهم الجنيات . ليلث . وتأخذ بذرتهم ، وهكذا تظهر من بينهم الأرواح الشريرة والجن لتنتشر في العالم الطاعون (انظر أيضاً الدكتور كامبل تومسن . السحر لدى الساميين صفحة ٦٨) . والزردشتيون يوصون بالزواج وإنجاب الأطفال . يقول أهورا مزدا في فنديداد : "أيها الزردشتيون ، حقاً أنصحكم هنا . بأن الرجل المتزوج أسمى من الرجل الأعزب والذي يستمر على عزوبته وأن الرجل ذا الأسرة أفضل من الرجل بلا أسرة . والرجل ذا الأولاد أسمى من الرجل الأبتر" .

ويتحدث سيوفي صفحة ٩٧ عن نوع من الرهبنة الصابئية فيقول : "إذا أراد المرء أن يكون كاملاً ويطلق الدنيا

كلية فعليه أن يخضع لصلوات الموت وأن تقرأ عليه وأن يعيش كرجل ميت في بيته الخاص بعيداً عن زوجته" . وربما اختلط الأمر على سيوفي في حالة الترهبن الموقت لـ "الشوليه" المرشح لدرجة الكهانة أو للكاهن المرشح لدرجة "كنزفره" . وهذا نموذج للأفكار الخطرة المسبقة في معالجتي الأولى لشؤون الصابئين فقد اتبعت أغلاطه خلال قراءتي لكتابه .

إن الصابئين ينكرون بشدة أية ممارسة من هذا النوع ويؤكدون على أنه فقط أثناء التهيؤ للكهانة ، وإلى درجة "الكنزفره" على الرجل أن يعتزل زوجه ، وفي أثناء مدة أيام الحيض أيضاً . إن جميع أنواع الرهبنة والزهد محرمة لديهم ، ويظهر أن براندت وليدزبارسكي قد أخذا برأي سيوفي دونما تحقيق .

٥- عدا عن إشارة مجاملة جدلية إلى المسيح في صلاة الطهارة الصغرى ـ الرشامة ـ .

٦- إنش أثرا ـ روح من أرواح الحياة وهي تجسيد للقانون الإلهي في الإنسان . وإنش يعني رجلاً وأثر يعني كائناً سماوياً كالحالة في اسم "كبرانيل" فكبرا معناها رجل . وايل إلحاق يشير إلى أصل سماوي .

٧- الروهة وأبناؤها السبعة ـ هي نفس الحياة المادية وأبناؤها السبعة هم الكواكب السبعة .

٨- غيران "مداي" لا تعني بالضرورة "الميديين" . فالميديون يكتبون (مادايي) ويوجد في إحدى دواوين الرقي إشارة أولى عن الميديين والفرس والرومان وبعبارات عدائية ، وترجمتها (احتضن شامش . واتمسك به . ملك جميع الآلهة . والذي يغمر نوره جميع المدن . تعال واسحق مملكة الفرس والميديين باسم أسوار أبيهم السبعة الخفية . . احتضن واتمسك بـ "سين" رب النور والظل الشامخ . اقهر قبلهما أولئك الذين يجلبون سلطة الرومان . احتضنهما بقوة وأثبتهما . اسحق الرومان والميديين باسم بلاطينا بيلاط ورويبل" (بلاط=موصد) . وكلا النصين اللذين معي محرفان ومشوهان .

٩- الشمال : ـ هو مصدر النور والمعرفة والشفاء . ففي الصلاة كما في الموت . يستقبل الصابئي النجم القطبي . وهو يستقبل الشمال إذا أراد أن يتأمل بعمق . كما ينام ورأسه نحو الجنوب بحيث إذا نهض كان بالاتجاه الصحيح . والظواهر الطبيعية تدعم هذا الاعتقاد ، فالريح الشمالية في العراق صحية بينما تكون الريح الجنوبية ثقيلة موهنة . والنهران اللذان يجلبان الحياة إلى السهول الترابية في العراق ينبعان من الشمال . فإذا كانت الظروف المناخية مسؤولة عن اتخاذ الشمال قبلة . فإن البابليين الذين كانوا يستوطنون نفس الأصقاع كانت لهم نفس الأسباب للتوجه بصلاتهم نحو الشمال .

٩- ويستقبل الزردشتيون والبارسيون المعاصرون الجنوب في صلواتهم .

يقول مودي : "وهذا يعود إلى حقيقة أن الإيرانيين القدماء أسلاف البارسيين كانوا يبغضون الشمال بغضاً طبيعياً ، فمن جهته كانت تأتي كل أنواع المخاطر والشرور سواءً أكانت مناخية أم بدنية أم عقلية . . لقد كانت الرياح التي تهب من المناطق الشمالية تجلب معها المرض والموت لفارس ، كذلك كان قطاع الطرق من مازندران وجيلان وأصقاع شمالية مجاورة أخرى يجلبون الدمار والموت . . . وكان الجنوب من الناحية الثانية يعتبر جهة ميمونة ، فقد كانت الرياح الجنوبية صحية ومنعشة" .

ومع ذلك فالبارسيون يضعون جثة الميت بحيث يكون الرأس نحو الجنوب وبمواجهة الشمال تماماً كما يفعل الصابئون .

والصابئون الحرانيون كالفرس القدماء كانوا يستقبلون الجنوب أثناء إجراء تعبداتهم . ويوجد في العهد القديم إشارات إلى أن أصل قبلة اليهود كانت الشمال وحدث في الأزمان المتأخرة وربما تحت التأثير الإيراني ، أن اعتبر كهانهم الشمال موطناً للأرواح الشريرة .

وكان الأسينيون يستقبلون الشمس في صلواتهم ربما لأن الفجر كان رمزاً للبعث . وقد يكون هذا سبب اتجاه المسيحيين للشرق في صلاتهم .

والفلاحون في العراق لا يزالون يعتبرون الشمال موقع الجنة ، وقد قال تابع لي ما مشيراً إلى الراحة التي سببتها ريح شمالية هابة : (الجنة في الشمال وجهنم في الجنوب) .

١٠- النبط : سكان العراق من الفلاحين قبل الإسلام .

١١-خمن ثفنو Thevnot عام ١٦٦٣ م نفوس الصابئين بـ ٣٢٧٩ نسمة وفي عام ١٦٧٢م ذكر أغناطيوس الجزويتي من البعثة الجزويتية أن عددهم كان ٢٥٠٠ عائلة ما بين النهرين وأن لهم مستعمرات في مسقط وغوا وسيلان . وذكر بترمان بعد إقامة له في سوق الشيوخ عام ١٨٦٠ م إن عددهم كان يقارب أربعة آلاف نسمة منهم ١٥٠٠ رجالاً وأولاداً . وإحصاء النفوس في العراق ١٩٣٢م أعطى الأرقام التالية : الموصل ١٥ ، كركوك٧ ، بغداد ٢٤٤ ، الكوت ٥١ ، الديوانية ٣٩ ، الدليم٨ ، البصرة ٧٣٨ ، العمارة ١٩٧٢ ، المنتفك ١٧٣١ .

ويعطي إحصاء حزيران ١٩٣٥م الأرقام التالية : البصرة ٧٣٨ ، بغداد ١٢٥ ، الدليم٥ ، ديالى١٣ ، الديوانية ٣١ ، العمارة ٣٠١٤ ، كركوك ٢٦ ، الكوت ٨٤ ، المنتفك ١٣٢٩ ، الموصل ٣٢ ويكون المجموع ٥٤٣٢ .

وقد أخبرني أحد الكهان في الأهوار أن مجموع نفوس الصابئين في تلك المدينة كان ٢٠٠ نسمة .

ملاحظة :

يعطي كتاب المستر هنري فيلد (الأنثروبولوجي في العراق) مسحاً إحصائياً وجسمياً وجنسياً للصابئين في العراق .

الفصل الثاني

كتب الصابئين

الكتب المقدسة المندائية ليست مطبوعة، وقد قام بنسخها باليد، الكتاب الكهنوتيون، طيلة قرون عديدة؛ وكانوا يحصلون على قسم من دخلهم بالقيام بهذا العمل للمتدينين من أفراد الطائفة الذين يعتقدون بأن امتلاكهم للكتب المقدسة يحفظهم من الشرور في الدنيا والآخرة. وقليل من العامة من يستطيع أن يقرأ أو يكتب هذه اللغة فتعلمها مقصور في الأغلب على الطبقة الكهنوتية، وقد شكا لي هؤلاء العامة "أن الكهان لا يعلموننا قراءة وكتابة اللغة المندائية". والسبب عمليٌ بحت فإذا عرف العامة هذه الفنون فسيتأثر نفوذ الروحانيين، وسوف لا تكون عندئذٍ كتابة الطلسم احتكاراً كهنوتياً.

إن تاريخ جمع ونسخ القواعد والطقوس وعلم نظام الكون و الأدعية والتراتيل مسألة ليست سهلة الحل وإن أصالة الكتب والزمن الذي ذكرت فيه كل فقرة بشكلها الأصلي ثم كتبت مسألة أكثر تعقيداً. فحتى كتاب كـ "الكنزه ربه" لا يمكن اعتباره كتاباً متجانساً فهو مجموعة فقرات غالباً ما تتناقض فتعود إلى مراتب مختلفة من التعاليم الصلبة. ويظهر أن أغلب هذه الكتب قد دوّن إما في أيام الساسانيين أو بعد الفتح العربي. والمراجع التاريخية قليلة والشيء الوحيد التاريخي بهذا الشأن موجود في الكتاب الثامن عشر من "الكنزه" حيث يدون قائمة بملوك البارثيين [١] والساسانيين وتنتهي القائمة بخسرو بن هرمز وبهذه النبوءة: ـ "سيخلف ملوك العرب ملوك الفرس وسيحكمون إحدى وسبعين سنة".

ويشير هذا إلى أن هذه الفقرات قد كتبت في القرن الأول للفتح العربي كما يظهر من النبوءة غير الصحيحة عن مدة الحكم العربي. ويشير نولد كه إلى أن الكلمات

الإغريقية المستعارة كثيرة في اللغات السورية والفلسطينية إلا أنها قليلة في الكتب الصابئية التي بدورها تستعير كثيراً من التعابير الآرامية ـ العبرية بصورة خاصة.

وتتنوع الفقرات في كتابي "كنزه ربه" و "دراشه أديهيا" لدرجة أن الدليل على زمن فقرة ما لا يمكن أن يتخذ دليلاً على زمن فقرة أخرى؛ فليس لدى الصابئين مايمكن مقارنته بالأناجيل التي تسرد حياة وتعاليم المسيح، ولا ما يمكن مقارنته بالكتب المانوية التي تتضمن تعاليم ماني الحقيقية. وليس للدين الصابئي مؤسس. وفي الحقيقة فهناك من وجهة النظر النقدية أديان قليلة يمكن أن يقال شيء عن مؤسسيها أو أنها أديان جديدة. وخلال الفترة من ٥٠٠ ق.م إلى ٥٠٠ ب.م حين كانت الاتجاهات السنسكريتية مؤثرة وحين كان كثير من المصلحين الدينيين يميلون للتوفيق بين الصيغ والطقوس القديمة وبين الأفكار الجديدة التي عجلت بها الفتوحات، والانتقال، وتبادل السكان، يتوقع المرء أن يجد لدى الناس الذين يتكلمون الآرامية والذين امتزجوا بشكل واسع، رصيداً عاماً لا في مجال الأفكار الدينية فحسب بل وفي التعابير الدينية أيضاً.

ويصبح من الصعب تقرير الأولوية حين نجد فقرات متطابقة في الأدبيات الدينية لتلك الأحقاب أو استنتاج نتيجة دقيقة من دليل كهذا فقط.

ومهما كان زمن تدوين الفقرات المختلفة فإن النساخ قد قاموا باستمرار بحذف أو إضافة العبارات التي رأوها ضارة أو مارقة. والأثر الذي تتركه قراءة كتب الصابئين المقدسة هو الاعتقاد أنه قد كان حتى في الزمن الذي جمعت فيه فقرات أولية، دين مرن، كان قد بلغ مرحلة أصبحت فيها التعاليم الأولى غامضة وغير مفهومة تقريباً؛ وقد أدخلت شروح وتعليقات على النص. والتنقيحات والحشو واضحان. ونتيجة لذلك فإن بناء نظريات عن أصل الصابئين عن طريق الكتب فقط يكون كمن يبني داراً على أساس من الرمل المنهار.

وحقيقة السماح لي تدريجياً من قبل الصابئين أنفسهم بمشاهدة كتبهم وتدارسها، ما هو إلا دليل على تسامح أصدقائي من بينهم؛ وقد حصلت أولاً على كتاب "سدره ربه" ثم على كتاب "دراشه أديهيا" ثم تبع ذلك الحصول على مخطوطات وكراريس أخرى ولكن بعد فوات وقت طويل وبعد صداقة سنين، ليس لأنها أكثر قدسية لديهم بل

لاحتوائها على أسرار ينبغي عدم اطلاع الغرباء عليها. وقد تأخر الاطلاع على كتابي "ديوان اباثر" و "ديوان ألف ترسر شياله" (١٠١٢ سؤالاً)، وعلى الكراسة الفلكية "اسفر ملواشه". وحين تكون المسألة ابتياع الوثائق أو نسخها فالحوائل تكون كثيرة، لأن أفراد الطائفة يرون في مثل هذه الصفقة كل العار وغاية الاحتيال، وبذلك تحصل المراوغة لعدم تمكين المشتري من غايته حتى ولو كان المشتري صديقاً مقبولاً كما هي الحال معي. وأنا أتجنب شراء النسخ الجديدة والسبيل إلى النسخ القديمة في غاية الصعوبة.

وأغلب النسخ التي تدارستها في العراق ليست قديمة بالرغم من امتلاكي لنسخة من كتاب "تفسير بغره" تعود إلى القرن السادس عشر. فقد علمت بعدم وجود أية مخطوطة صابئية في مكاتب أوروبا يعود تاريخها إلى أقدم من القرن السادس عشر. وفي الحقيقة فليس في أية مكتبة أوروبية مجموعة كاملة من كتب الصابئين.

لقد كان الصابئون يقومون بطمر الكتب أثناء حدوث الأزمات وفي أوقات الخطر، وقد فعلوا ذلك مرات عديدة. وأحد أسباب ندرة النسخ القديمة يعود إلى حقيقة أن أكثر أفراد هذه الطائفة كانوا يعيشون في أكواخ من القصب توقد فيها النار شتاءً وتنشب فيها الحرائق بشكل عام؛ وقد شاهدت نسخاً ذات حواش محترقة أكد لي أصحابها بأن أكواخهم قد دمرتها النار إلا أن الكتب المقدسة "بمعجزة" لم تمس بأي ضرر.

وهذا أمر ممكن فالكوخ يشتعل وينطفئ في لحظات بينما يمكن إنقاذ الأدراج والكتب المغلقة بالقماش والمحفوظة عادة داخل صندوق معدني. وتقول التقاليد بأن الكتب المقدسة لم تدون على الجلد مطلقاً (لأن ذبح الحيوانات تدمير للحياة ولهذا فالجلد غير طاهر) بل إنها دونت على ورق البردى وعلى المعادن والحجر. وقد رأيت كتاب "سدره إدنشماثه" - "كتاب الأرواح" مكتوباً على ألواح من الرصاص. ويمكن أن يكون هذا التقليد قديماً أو لا يكون، لأن استعمال الصفائح المعدنية يعود إلى أماكن تطهيرها بغمسها في الماء الجاري قبل استعمالها. وقديماً، كما يقول كهانهم، كانت جميع الكتب التي تستعمل في الطقوس تطهر بهذا الشكل. وفي الوقت الحاضر يقوم أحد الكهان المتعبدين بكتابة كتاب "سدره ادنشماثه" على صفائح نحاسية مطعمة بالفضة.

وتغلف الكتب تغليفاً تاماً بالخام الأبيض أو الموزلين، وتربط الدواوين بأشرطة من الخام أيضاً؛ وقد كانت فضيحة كبرى أن أشاهد وقد ربطت نسخة من كتاب "دراشه أديهيا" بالجلد؛ الخطيئة التي ما اقترفتها مطلقاً منذ ذلك الحين. ويصنع الكهان الحبر بأنفسهم وينبغي أن يكون أسود لماعاً، ولكل كاهن تقريباً تركيبه الخاص لعمل الحبر (ديوثا) الذي يحفظ على شكل بلورات تذاب في الماء حين يراد استعمالها. وإليك نموذج لتركيب نوع واحد منها: -

"امزج الغراء بماء النهر واتركه إلى أن يذوب ثم اغله إلى درجة التبخر لمدة ستة أيام. اسحقه في اليوم السابع واخلط بمسحوق الفحم بنسبة مثقال واحد من الفحم إلى خمسة وعشرين مثقالاً من الغراء لمدة أربعة إلى خمسة أيام. امزجه بالماء إلى أن يصبح عجينة ناعمة ثم بعد غليانه يصير على شكل بلورات تمزج بماء النهر (يردنه) لعمل الحبر. وينبغي أن يتلى عليه دعاء "أسوثه ملكه" (صلاة التسليم).

وقد أغفلت الاستفسار عما إذا كان الغراء مأخوذاً من السمك، فإذا كان الأمر كذلك فهو ليس طاهراً لأن الأسماك مخلوقات تمت إلى عنصر الطهارة والحياة ولم يستعمل أي طقس في صيدها أو قتلها. ويستعمل كهان آخرون بندق العفص أو السخام المأخوذ من زيت السمك أي دهن السمك المذاب، وتضاف إليه بعض الأعشاب من النوع الجيد مما يمكن الحصول عليه. وتبلغ كلفة كتابة "كنزه" حوالي ٤,٥٠٠ دينارات إذا أرادها مشترٍ جديد (*).

والكتابة بحد ذاتها عمل طلسمي يجلب الخير للذين يقومون به. وتمثل الكتب أحياناً كما لو كانت أشخاصاً ذوي أرواح يمكن إقحامها في الطلسم.

وأكبر هذه المخطوطات هو كتاب "كنزه ربه" (الكنز العظيم) ويسمى أيضاً "سدره ربه" (الكتاب العظيم) أو كتاب آدم. وقد ترجم هذا الكتاب منذ عام ١٨١٣ م من قبل ماثيو نوربيرغ السويدي Matthew Norberg وظهرت له ترجمات وتعليقات في فترات مختلفة بلغت ذروتها في ترجمة المرحوم البروفيسور ليدزبارسكي النفيسة إلى اللغة الألمانية وقد طبعت عام ١٩٢٥ . وسبق هذه الترجمة كتاب "دراشه أديهيا" عام ١٩١٥م، وترجمة بعض التراتيل والطقوس عام ١٩٢٠م، ومن بينها كتاب "سدره

(*) تبلغ كلفة استنساخها الآن حوالي (١٠٠) دينار .

أدنشماثا" (كتاب الأرواح: طقس التعميد) وترجمة صلوات "المسخثه" وبعض أدعية وطقوس الزواج. وترجمة أحد الدواوين في مكتبة بودليان Bodleien مؤرخة في ٩٣٦ هجرية، إن بعض الأدعية في كتابي هذا مأخوذة عن مخطوطات في باريس وبالأخص عن مجموعة دي مورجان De Morgan.

إن طقوس تكريس الكهان (شرح دطراسه تاغه أد ششلام ربه) التي يوجد منها نسخة في المتحف البريطاني، وطقوس تكريس "المندى" ليست مترجمة على ما أعتقد ولا توجد من الأخيرة نسخة في أية مجموعة أوروبية. ويوجد من بين المخطوطات في مجموعتي أول قسم من كتاب "الف ترسر شياله" وكتاب "تفسير پغره" وديوان "حران كويثا" وديوان "نهرواثه" وعدد من الدواوين الطلسمية، وأدعية وطقوس في مخطوطة تحتوي على مجموعة من نفس النوع، وبعض الأدراج الطقسية.

وكتب الصابئين المقدسة هي:

١- كنزه ربه: وهو مخطوط كبير يحتوي على فقرات كثيرة وموضوعها نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وحكايات... إلخ. والقسم الثاني من الكتاب (قسم الشمال) يعالج فقط شؤون الميت، وهو مكتوب بالعكس أي من اليمين إلى اليسار أيضاً ولكن من الطرف المقابل من الكتاب.

٢- دراشه اد يهيا: وهو مجموعة أخرى من فقرات تتناول شؤون النبي يحيى.

٣- سيدره إد نشماثه: أي طقس التعميد وسر المعمودية المقدس.

٤- اسر ملواشه: وهو مخطوط لأغراض التنجيم والفلك.

٥- تفسير پغره: وهو ديوان يعالج المعنى الداخلي للوجبات الطقسية.

٦- الف ترسر شياله (١٠١٢) سؤالاً (*) والمفروض أنه من خمسة أجزاء يتناول الجزء الأول الأخطاء في الطقوس وطريقة غفرانها وإيضاح الشعائر... إلخ.

٧- انياني: ويتضمن هذا الكتاب الطهارة الصغرى أي الوضوء ـ الرشامه ـ وبعض الأدعية "للمسخثه".

٨- ديوان طقوس التطهر (طراسه) والتكريس بأنواعه، كتكريس الكاهن وتكريس المندى وتكريس الأستاذ "كنزفره" وكلها على شكل دواوين.

(*) (الف ترسسر شياله) ليس هذا هو عنوان الكتاب وإنما عنوانه "ترسسر الف شياله" (أي اثنا عشر ألف سؤال) .

٩- دواوين متنوعة: وأشير إليها فيما بعد، ويقال إن عددها أربعة وعشرون ديواناً.

١٠- دواوين الرقى والتعاويذ وتدعى "قماهى" و "زرستي" (قما باللغة المندائية تعني يقمط، وزرس تعني يقي أو يصون).

في رأيي إن كتابات الرقى الصابئية لم تحظ بالاهتمام الذي تستحقه ما عدا الكتابات المنقوشة على القحوف فقد اعتاد الصابئون منذ القدم وفي أوقات تفشي الأوبئة أن يدفنوا في عتبة الدار أو مع المتوفى في قبره قحفين الواحد مقلوب فوق الثاني تنقش عليها تعاويذ لتصد أرواح الظلام والجن. كما تتضمن اللعنات أولئك الذين يجلبون الشر والبلوى، وتضرعاً لأرواح النور والحياة.

إن الدواوين الطلسمية كلها في نفس الروحية والأسلوب، وقد استنسخت وأعيد استنساخها منذ قرون (وغالباً دونما إدراك، لأن بعض الأسماء والأرواح الطلسمية التي لا تزال تذكر فيها قد اختفت من الدين الأصلي وهي غير موجودة في أي كتاب من كتبهم المقدسة). وتعتبر هذه الأحراز الصغيرة واقياً ضد الأمراض وسوء الطالع والعين الشريرة، ولا يكلف استنساخها مايكلفه استنساخ الكتب المقدسة، وهي على الأغلب عادة وثنية روحية ويجد الإنسان فيها عرضاً، كائنات تعامل في الكتب المقدسة كشياطين وكإثم، ولكنها تظهر في الأحراز ككائنات نافعة؛ فمثلاً إن الكواكب السبعة وعلامات البروج الاثنتي عشرة، تلعن في أكثر الكتب المقدسة، إلا أنها تعامل في الأحراز معاملة الحليف والصديق. وأنا أمتلك حرزاً هو تعويذة حب مرفوعة إلى "ليبات - دلبات - عشتار" تبدأ هكذا بصراحة: "باسم ليبات سيدة الآلهة والناس" وتظهر مع ذلك إشارات عدائية للكواكب ولعلامات البروج أحياناً في نفس الحرز. وفي الحقيقة فإن التقاليد الدينية الأصلية والتعاويذ والأحراز قد اختلطت اختلاطاً كلياً.

والحرز الطلسمي نوعان، فالكبير لا يمكن للإنسان أن يحمله ويدعى "قماهة" أما الصغير والذي يطلق عليه اسم "زرستا" فهو الحرز المعتاد، وهو ثابت لا يتغير ويكتب للتو على قصاصة طويلة من الورق عرضها من عقدتين إلى ثلاث تلف بإحكام وتدلج في صندوق صغير من الذهب أو الفضة بحيث يمكن تعليقها في عنق الإنسان بوساطة سلسلة أو خيط. وهذا النوع من الأحراز طويل عادة حتى ليبلغ السبعة أو الثمانية

أقدام طولاً ولهذا يستعمل له ورق رقيق جداً. إن الوثائق الطلسمية تكشف عن مزاج حاملها التهيبي وتخوفه من الضغينة والمرض والنكد، وفيها تصب أقسى وأطول اللعنات على رؤوس الأعداء والوشاة والمارقين عن الدين، بينما تجسد فيها الأمراض عادة كما لو كانت كائنات شيطانية. والاسم الفلكي لمن تصنع من أجله هذه الأحراز يذكر في الحرز عدة مرات مع التضرع لقوى النور والحياة من أجله ومن أجل عائلته وممتلكاته ومهنته. والأسطر الأولى القليلة والأسطر الأخيرة أيضاً تكون عادة الحروف الأبجدية، ولها قوة وقائية كما مر معنا، ثم يتبع ذلك صيغة قصيرة: "حمداً لإلهي طاهر القلب طاهر الفم" وكلها تبدأ بجملة "باسم الحياة العظمى لتكن الصحة والطهارة والقوة والثبات والنطق والسمع وسرور القلب وغفران الخطايا لفلان أو فلانة ابن أو ابنة فلانة" (الأسماء الفلكية) (٢).

وفي الكتب المقدسة والطقوس يذكر اسم الأم لا اسم الأب، وتعبير "والنصر للحياة" يستعمل عادة في نهاية المقاطع والفقرات في جميع الكتب ثم يتبع ذلك كتابة الحرفين (س ـ أ) يفصل بينهما خط مستقيم طويل ويكون في بعض النهايات بمعنى "أمين ـ سالا" وقد يكون الحرفان "س و آ" يمثلان كلمة "سالا".

ولا يذكر يوحنا المعمدان في الدواوين الطلسمية. وتظهر أسماء "أنوش وهيبل وشيتل" ولكن نادراً ما يذكر اسم "انوش اثرا". ويتضرع باستمرار إلى "ياورزيوا (٣) وسيمات هيي" مقترنين. وسمات هيي روح أنثوية تعتبر أماً لكل متنفس، ويتحدث عنها أحياناً باعتبارها انثى لأحد أرواح النور العظمى؛ وأحياناً يكون ذلك الروح "شامش" مما يوحي بمطابقة "ياورزيوا" لذلك الكوكب.

وتذكر في كتاب "ديوان أباثر" مع "بهرام وهيبل" ويشار إليها بأنها "ابنة يوشامن وزوج ابثاهيل"، وبما أن ابثاهيل مقترن بالموت ويعود إلى روح أدنى منزلة ويعرف عادة بعصيانه على عالم النور، فالأمر هنا غريب تماماً. فهي إلهة الخصب وعرشها معلوم يشار إليه في نفس الديوان فيقال (هذا عرشها مورق اسمها). ويعني اسمها "كنز الحياة". ويظهر اسم "هيبل زيوا" وأقل منه اسم "مندا دهيي" في دور المحارب والمنقذ والمعلم. ويجد المرء في بعض النصوص الطلسمية أحد هذين الروحين النورانيين غير مسمى ويتكلم بصيغة الشخص الأول ويصف كيف ترك رفاقه النورانيين واقتحم مواطن

الآلهة (الاهيا) والملائكة (ملاكيا) وعشتروت وقوى ظلامية أخرى واستولى على أسرارهم وعرف أسماءهم. وينبغي ملاحظة التمييز بين "ملكه" الذي هو روح خيرة وبين "ملاكيا" الذي هو روح ضارة. وأحيل القارئ لأجل التعرف أكثر على هذه الأحراز التي تكشف عن جمال التعبير وعن الحس الشعوري الذي يندهش له المرء حين يتذكر ضيق محيط هذا العنصر القليل من الحرفيين والكهان إلى مقالتي عن كتب المندائين في "العراق". (Vol.1, Part 2, Nov. 1934).

وقد قيل إن عدد الدواوين يبلغ أربعة وعشرين ديواناً، وهي أدراج كبيرة ومصورة أحياناً، ولا أستطيع أن أجزم ما إذا كان هذا العدد موجوداً فعلاً، فهو يشير إلى عدد فلكي بصرف النظرعن حقيقته. ولا يظهر الكهان هذه الدواوين إلا بتهيب وبخاصة الديوانين المصورين اللذين يحتويان على مواد غير دينية. إنهما مهمان للغاية لأنهما يلقيان ضوءاً على الشعائر والعقيدة واللغة. وأنا الآن أمتلك كليهما.

فالأول ديوان نهرواثا (ست ياردات طولاً وثلاث عشرة عقدة تقريباً عرضاً) وهو خارطة مزخرفة ونص إيضاحي لأنهار العالم حيث يجعلها جميعاً تتغذى من "فرات زيوا" - الفرات النوراني - الذي ينبع من طور كارملا [٤] كما يصف الأشجار والنباتات والقصب في الأرض وبعض الكائنات السماوية.

ولا يذكر نهر الأردن في هذا الديوان ولكن يأتي ذكر "يردنى ورهاطى" أي الأنهار الجارية والسيول. والثاني ديوان "اباثر" وهو درج مصور طوله ٩ ياردات وعرضه ١٣ عقدة. وقبل حصولي عليه حملت صاحبه على كتابة نسخة منه لأحد الأصدقاء وقد استنسخت الصورة بدقة تامة ولو أن هنالك أخطاء في نقل النص. وتظهر بعض الصور في هذا الديوان. أما عن الدواوين الأخرى وعن إيضاح النص الذي يعالج مسيرة الروح بعد الموت خلال المطهر (مطراثه) أو بيوت الطهارة ثم وصولها إلى "اباثر موزانيا" - موازين اباثر - ثم نقلها بسفينة من النور إلى عوالم النور فإني أحيل القارئ المهتم إلى مقالتي في "العراق".

وأنا أمتلك من الدواوين غير المصورة ديوان "حران كويثا" وقد تحدثت عنه في فصل سابق. وذكر لي الصابئون اسم ديوان "ملكوثا" وديوان "آلما إلايا". إلا أنني لم أفلح حتى الآن بتفحص نسخ منهما فهما يعتبران مقدسين للغاية إذ لو فقد هذان الاثنان من "الانديرونا" في تكريس أحد الكهان لكان التكريس باطلاً.

وهناك مخطوطات أعرف أنها موجودة وعليّ أن أشاهدها مثل مخطوط "آلمه ريشايا ربه" و "آلمه ريشايا زوطه" (*) و "زهرون رازاكسيه" و "قداهة ربه" و "دموثه كشطه". وقد تتأخر مشاهدتها ولا يمكن أن تكون مشاهدتها عديمة الفائدة فالمرء لا يعلم متى يمكن أن يعثر على كنز.

لقد قيل ما فيه الكفاية للتدليل على أن الوثائق غير المترجمة يجب الاطلاع عليها قبل أن نصل إلى نتيجة أكثر تحديداً عن الصابئين. والكتب على أي حال سوف لا تكون إلا عاملاً مساعداً وليس شيئاً نهائياً.

(*) المه ريشاياربه والمه ريشازوطه ترجمتها المؤلفة أخيراً إلى اللغة الإنكليزية وهما مطبوعان وموجودان في مكتبة المتحف العراقي .

ملاحظات حول الفصل الثاني

١- نجد ضمن هذه الأسماء اسم اردوان أيضاً . انظر الملوك المسمين بهذا الاسم في "تاريخ البارثيين" لمؤلفه De Bevoises .

٢- يستعمل الصابئون الاسم الفلكي في الحالتين الدينية والطلسمية . كما أن للفرد منهم اسمه الدنيوي المعروف به .

٣- ياور زيوا . يعتقد ليدزبارسكي أن الكلمة مأخذوة من الفارسية بمعنى معين أو مساعد ، وأنا أميل إلى أنها ذات علاقة بالكلمة المندائية "يور" أي السطوع إلى حد خطف الأبصار .

٤- طور اد كارملا . يترجمها ليدزبارسكي في جملة "جبل كارملا قد تسلقته" في الدعاء التمهيدي ليوم الأربعاء ، بمعنى "جبل الكرمل" والمندائيون ينكرون أن يكون معناها كذلك .

الفصل الثالث

الشعار وملابس الطقوس

"الرستـه"[١] ومـا يسـمى في النصوص "أوسطليـا" يجب أن ترتدى في جـميع المناسبات الدينية كالتعميد والزواج والوفاة، وسنقوم بوصفها في أول هذا الفصل لأن الإشارة إليها ستكثر وتتكرر.

إنهـا رداء أبيض يرمز إلى كسـاء النور الذي ترتديه الروح الطاهرة، وعلى جميع أفراد الطائفة، عـامة وروحـانيين، اقتناء هذا الكسـاء. و "الرستـه" الكاملة للفرد من العـامة تحتوي على خمس قطع، أما رستة الكاهن فتتألف من سبع كما قال لي كهنة قلعة صالح. وصابئون العمارة يعتبرون كساء العامة يتألف من سبع قطع ويتألف كساء الروحاني من تسع؛ والمسألة مسألة حساب، فالصابئون في العمارة يعتبرون القميص والجيب فوقه "دشه" والسراويلات والتكه معه أربع قطع، في حين يعتبرها الصابئون في قلعة صالح اثنتين. وسأتبع في حسابي مدرسة العمارة وأعد القطع كما يلي:

١- القميص: ويسمى "كسويا" أو "سدره" ويجب أن يكون مقداره حوالي ستة أذرع للرجل الحي، وبين سبعة أذرع إلى ثمانية للميت، وهو من قماش قطني أبيض، يعمل أو يشترى حسب القياسات المطلوبة.

٢- "الدشة" أو "دشا" وهي رقعة من نفس القماش تخاط من الخارج من أعلى الناحية اليمنى من فتحة الصدر.

٣- "الشروال". أي السراويلات وهي طويلة ومرتخية وتشبه السراويل الهندية.

٤- "التكته" أي "تكة" وهي الخيط الذي يشد السراويل إلى البطن ويترك أحد طرفي التكة دون خياطة ولدى الشد يجب أن يوضع الطرف غير المخيط فوق الطرف المخيط وحين يربطان يتدلى الطرف المخيط إلى الجهة اليمنى.

٥- "برزنكا"، أي العمامة وهي عبارة عن قطعة من الموزلين الأبيض عرضها حوالي الذراع تلف ثلاث لفات حول الرأس وتترك احدى النهايتين مدلاة فوق الكتف الأيسر. وتدعى هذه النهاية "رغزه"، وتسمى "بندامة" حين تلف "الرغزه" حول الحنك بحيث تغطي المنخرين والفم ثم تصعد إلى قمة الرأس وتدس في الجهة اليمنى من العمامة. ولا تستعمل "البندامه" إلا من قبل الكهان أو من قبل "الحلالية" (*) (سامرايي) حملة الجنازة. والغاية منها منع البصاق أو النفس من تلويث المواد المقدسة والأشياء الأخرى، كما أنها تمنع من الجهة الثانية روائح الميت من النفاذ إلى الفم أو الأنف. "والرسته" للمرأة كالرسته للرجل عدا عن سحب "البرزنكا" وشاحاً فوق الرأس وتدعى "شياله" (**).

٦- "النصيفة" أو "القبوعة" وهي قطعة طويلة ضيقة من الخام أو الموزلين تلقى على الكتفين كما يرتدى الطبرشيل المسيحي ولكن بطريقة يكون فيها الجانب الأيسر أقصر بصورة ملحوظة من الجانب الأيمن (***). وأثناء إجراء "الرهمى" (أدعية تمهيدية للتكريس) توضع "النصيفة" فوق الرأس ويمسك بها من الجهتين تحت الحنك (****) وتدعى حينذاك "كنزاله". وبعد ذلك تعاد إلى وضعها الأصلي. واستعمالها العملي يكون حين تشد "البندامه" وأثناء التعميد، وسيوضح فيما يلي. وتكون للكاهن بعرض ذراع تقريباً وللعامة يمكن أن تكون أضيق من ذلك.

٧- "الهميانه" أو "الزنار". وهي نسيج مجوف من (٦٠) خيطاً صوفياً (*****) وربطها ذو معنى طقسي خاص، حيث يمسك بالزنار أمام الجسم ثم يلف إلى الخلف ويتقاطع ثم إلى الأمام حيث يعقد عقدتين وتدس النهايتان في الخاصرتين وتحت الزنار نفسه. واحدى نهايتي الزنار مشرشبة غير مخيطة تسمى "كركوشة" والنهاية الأخرى

(*) "الحلالية" مفردها "حلالى" وهو شخص من عامة الصابئين طاهر طقسيا ومؤهل لحمل جثمان الميت وإجراء مراسم الذبح والقيام بوظيفة المساعد (شكنده) ويمكن أن يحل محل الكاهن الأصغر (ترميذه) في عقد الزواج إذا لم يتيسر وجود العدد الكافي من الكهان.

(**) لعل كلمة شيلة العامية والمستعملة في جنوب العراق مأخوذة من هذا اللفظ الآرامي.

(***) ليس هذا شرطاً.

(****) من قبل الكاهن فقط.

(*****) تحاك الهميانه بطريقة خاصة.

مخيطة ومعقودة وتسمى "اروه" "العروه". وهذه يجب أن تكون فوق الكركوشة أثناء الربط. وحين يكمل العقد تتدلى الكركوشة إلى الجهة اليسرى والعروة إلى الجهة اليمنى ويقول العامي أثناء عملية عقد الزنار هذه الكلمات:

"هميانه اترس"

"بترين طابي"

"بترين كطري"

ومعناها: ارسم الزنار

بطهارتين

وعقدتين

٨- "التاغه" (للكاهن فقط) أي التاج وهي حلقة مجوفة من الحرير الأبيض أو القطن.

٩- "شوم ياور" (للكاهن فقط). وهو عبارة عن حلقة من ذهب تلبس في خنصر اليد اليمنى مكتوب عليها "شوم ياور زيوا". وقبل التحدث عن الحلقة الحديد الأخرى وعن باقي أدوات الكاهن "كالمركنة" (الصولجان) يجب أن أقول شيئاً أكثر عن "الرسته" وعن كيفية ارتدائها واستعمالاتها فإذا اضطرب أو تلوث أو عطب أي جزء من كساء الكاهن (أو من شعائره) فيجب أن يمر بطهارة مفروضة، فإذا ارتخت البندامة مثلاً أو انزلقت إلى الجانب أثناء التعميد فيعتبر عمله غير مشروع ولا يمكنه الاستمرار في وظائفه الكهنوتية مرة أخرى إلا بعد أن يقام له "زدقا بريخا" أي وجبة الطعام الطقسية من أجل الميت (انظر الفصل ١٢) وإلا بعد أن يقوم بتعميده سبعة كهان ولمدة سبعة أيام. كما يلزم عليه أن يقوم بتلاوة ٨١ "رهمى" إضافة إلى ذلك. وحالما ينتهي الكاهن من ارتداء "الرسته" يجب عليه أن يمس كل جزء فيها راسماً إياه ومتأكداً من أنه في وضعه الصحيح. وينال التاج "تاغا" و "الاكليل" "كليلة" رسماً منفرداً وهما لا يلبسان في البدء. ويقول الكاهن في تفقده لملابسه ما يلي:

"شروالى اترس"

"هيمانى اترس"

"بترين طابى"

"بترين كطرى"

"دشه بيمينى"

"قام قمي"

"رغزى نصيفى"

"مركنه بسمالى"

"تاغه بيمينى"

"اساكتا بيمينى"

"كشطه اسيخ واترصي"

وترجمتها: "ارسم سراويلي"

"ارسم الزنار"

"بطهارتين"

"وعقدتين"

"الدشه في يميني وتقف منتصبة"

"رغزتي وطبرشيلي. عصاي بيساري"

وتاجي بيميني (*)

وخاتمي بيميني

ليكن الصلاح نصيبكم ككل (يخاطب الرسته) والثبات لي.

ومع أن الرسته تعتبر نظيفة من الناحية الطقسية فهي ما عدا الجديدة منها نادراً ما تظهر بيضاء، لتلونها بماء النهر الموحل، أو لعدم إمكان غسلها بالصابون (**). ومن سوء الحظ كثيراً، أن يموت المرء بملابسه الاعتيادية لأن روحه لا تستطيع حينذاك بلوغ "اباثر". وسأصف في فصل قادم الوسائل التي تعالج هذا النقص.

وتكون (النصيفه) نافعة للفرد العامي أثناء الموت فقط ـ فصل ١١ ـ. أما للكاهن فلها استعمال محدد. لقد أوضحت سابقاً أنها حين ترتدى فيجب أن يكون الطرف الأيمن

(*) تزلق (التاغه) على الذراع اليمنى إلى أن يتم رسمها وتلبس فوق الرأس .

(**) كان ذلك في وقت يتعذر فيه الحصول على الصابون وكانت تغسل بنبات الشنان أما الآن فيجوز غسلها بالصابون الزيتي لا الشحمي على أن تطهر بعد ذلك بالماء الجاري (يردنه) .

مدلى أكثر من الطرف الأيسر وحين يبدأ "الرهمي" فإن الطرف الأيمن الذي يمكن أن تمسه مواد ملوثة من الأرض يدس قليلاً عند الخصر وهذه الطية التي تشبه العروة تدس في الزنار. وحين تطبق "البندامه" أي توضع حول الحنك يلف طرف النصيفة الأيسر مرتين حول الرقبة لدعم الحافة السفلى للبندامة وبهذا يمنعها من الانزلاق. ويؤمن على نهايتها بكبسها ثلاث مرات داخل وخارج ذاتها. والطرف الأيمن الطويل من النصيفة يطرح إلى الخلف من فوق الكتف الأيمن مشكلاً بذلك انشوطة تصل إلى الخصر وتمر النهاية من وراء الرأس ومن فوق الكتف الأيسر ثم تدور مرة أخرى لتلتقي بالأنشوطة وتربط بها بعقدة مزدوجة. وحين يدخل الكاهن لأول مرة إلى الماء يغمس عصاه بوضع أفقي مرتين تحت الماء ثم يضعها خلال العلاقة التي شكلتها نهاية النصيفة الطويلة اليمنى مع الأنشوطة ويترك عصاه دون أن يمسك بها تدعمها النصيفة ومغروسة في الطين على شاطئ النهر منتصبة دون خشية السقوط. وهذا يساعد الكاهن على غسل كلتا يديه في النهر وبعد ذلك يعيد العصا إلى وضعها في خطاف الذراع اليسرى. وهناك استعمال آخر للنصيفة أثناء عملية "الكشطه" - تصافح اليدين اليمنيين - أو في التصافح اليدوي الثالث بعد شرب الماء المقدس (الممبوهه). يأخذ الكاهن يد الشخص المتعمد من خلال الموزلين في الجزء المزدوج من النصيفة في الجهة اليمنى من الجسم. ويعطي بعض المهملين من الكهان "الكشطة" الثالثة باليد عارية. وقد شاهدتها تعطى بكلتا الطريقتين الصحيحة والخطأ. ومرة أخرى حين ينقل الكاهن العصا من اليسار إلى اليمين بعد التصافح اليدوي المذكور في أعلاه يمسكها بكلتا يديه من خلال موزلين النصيفة. ولدى الوفاة تكون النصيفة، سواء أكانت للكاهن أم للفرد من العامة، جديدة وأطول من المعتاد وتخاط بها قطعة أو خيط رقيق من الذهب والفضة في الجهتين اليمنى واليسرى على التوالي. (انظر الفصل ١١).

وفي الزواج يقبض العريس على طرف نصيفة الكاهن الأكبر (الكنزفره). وهذا الوضع يمثل دليل الفضيلة وطهر الوقاية [٢].

وقبل أن ينزل الكاهن في الماء يجب أن يشمرّ القميص (سدره) في الزنار وتبقى "سدرة" الفرد العامي مرخاة: ترفع الحاشية اليسرى منها أولاً وتدس في الزنار ثم ترفع الحاشية اليمنى فالوسطى من الأمام وأخيراً الوسطى من الخلف (يجرى هذا قبل وضع

النصيفة على الرأس وقبل أن تطبق البندامة) وينبغي أن ترتدى "الهميانه" نهاراً من قبل المتدينين من الصابئين ولكن ليس في الليل، ولو أنهم كانوا سابقاً يرتدونها بعد أن يحل الظلام إذا رغب أحدهم في مضاجعة زوجه، إذ عليه في هذه الحالة أن يعقد زناره ويتفوه بهذه الكلمات: ـ (اسم الحياة واسم منداد هيي منطوق عليّ) وقد أهملت هذه الشعائر في الوقت الحاضر. وحين تقترب المنية من الإنسان ويلبّس "رستته" الجديدة تعقد "الهميانه" جزئياً ولا تعقد العقدة النهائية إلا بعد الوفاة.

و "التاغه" أكثر الأجزاء أهمية في مراسم الكاهن ويجب أن تلبس أثناء إجراء "الرهمى" قبل القيام بالوظيفة الدينية وبتلاوة أربعة أدعية (طراسه). إنها تمثل تاج النور وتلبس في الرأس تحت العمامة فهي رمز عمله الديني والدنيوي كزعيم. "التاج ـ تاغه ـ والملك يوضعان على رأسه وهو أهل لهما" هكذا يقول كتاب "الف ترسر شياله". ويتحدث في تكريس الكاهن عن "وضع التاج عليه"؛ وإذا ما سقطت "التاغه" بحادث ما من على رأس الكاهن أو انزلقت من يده خلال قيامه بوظيفته يصبح حينئذ تلميذاً يلزم عليه أن يجتاز نوعاً من إعادة التكريس.

ويغمس الـ (شومياور) في الزيت ـ مشه ـ أثناء إجراء "المسخثه" ولكنه لا يستعمل للختم كما تستعمل الحلقة الحديد إلا في مراسم الـ "الانكرته". (انظر فصل تكريس الكاهن).

وعند قيام الكاهن بالعمل الديني عليه أن يحمل دائماً عصا من الزيتون ويمكن حسب رأي بعض الكهان أن تكون من خشب الصفصاف عند الضرورة، وبينما تكون "الرستـه" رمزاً للنور فالعصا (مركنه) (٣) ترتبط عادة بالماء ويقال عنها غالباً إنها "عصا الماء الحي". وحين يتوفى الكاهن تدفن عصاه معه كما تدفن معه حلقته (شوم ياور).

والإكليل (كليله) يشكل إضافة هامة في الملابس الطقسية فهو يلبس من قبل الكاهن في أغلب وظائفه لا جميعها ويلبسها العامة بعد الغطس الثالث في العماد الكامل. وحين يقوم الكاهن بإجراء "الرهمى" قبل التعميد يبدأ بعمل اكليلين من الآس واحد لرأسه والثاني لعصاه. ولصنع الإكليل يؤخذ غصن طري من الآس ويعرى من أوراقه السفلى ثم يشق على أن يصل الشق إلى الطرف المورق ثم يلف الشقان حول

بعضهما بحيث يلف الشق الأيسر مرتين والشق الأيمن ثلاث مرات ويحنى الغصن الملفوف ويطوى حول نفسه تحت القسم المورق مشكلاً حلقة صغيرة بقطر الإصبع أو أقل وأثناء اللف يجب أن يمسك الإكليل عالياً في مستوى الرأس وبطريقة يكون معها الطرف العاري من الورق بعد الانتهاء وحين يقبض عليه بالراحتين نحو الشرق أو اليمين. وعند الانتهاء من المراسم ووضع التاج على الرأس بوضع الإكليل معه وترفع العمامة قليلاً لكنها لا تخلع.

ويدفع الإكليل تحت التاج وحين يعاد وضع العمامة فوق الاثنين يبقى طرف الإكليل المورق مرئياً ومدلى حول الصدغ الأيمن. ويصنع إكليل الفرد العادي ويوضع فوق رأسه من قبل الكاهن. (*).

والدعاء الخاص بالإكليل هو آخر الأدعية الأربعة التي أشرنا إليها فيما سبق وهو كما يلي: -

"ماندا خلقني،
واثرى نصبني،
البسوني الضياء (زيوه)
وغمروني بالنور، (انهوره)
هزبان وضع الإكليل فوق رأسي
أنا فلان بن فلانة،
وفوق رؤوس أولئك الذين نزلوا في الماء (يردنه) وتعمدوا؛
يلتمع عودها وعطرها يسر،
لا تحول ولا تذوى،
وأوراقها لا تتساقط،
والنصر للحياة".

ويلبس إكليل الصولجان في الخنصر إلى أن ينزل الكاهن إلى الماء وهناك تتوج به العصا بعد تطهيرها بالماء أي ينزلق الإكليل فوقها ويسمح له بالانحدار في تيار الماء. ويصنع الإكليل أيضاً من أجل العَلَم (درفشه) وفي الخبز المقدس أثناء إجراء الطقوس.

(*) يمكن أن يقوم بصنع الإكليل أي فرد صابئي على أن يستعمله العامة فقط وأثنا التعميد لا أثناء الجنازة .

ويحمل الشخص المتعمد الإكليل في خنصر يده اليمنى على أن يضعه الكاهن بعد الغطس في الماء وبعد أن يتم شرب الماء المقدس والرسم "والكشطه" الأولى (المصافحة اليدوية) تحت عمامة المتعمد بحيث تكون الأوراق متدلية فوق الصدغ الأيسر. وستظهر بعض استعمالات الإكليل في سياق الفصول القادمة. وتخبرنا التقاليد بأن الصعتر كان يلف سابقاً مع الآس في عمل الإكليل إلا أن الصابئين لا يعرفون الآن ماهو هذا الصعتر.

وفي كتاب (ألف ترسر شياله) فقرة تتحدث عن "التاغه" و "الإكليله" فتقول بأن الأولى كالذهب والثانية كالفضة وأنهما كالضياء وكالنور بالتتابع: -

"الذهب هو السر النقي للأب والفضة هي سر الأم وإكليل الآس - كليله أد آسه - سر الأم وأنهر نهورا اسمها".

وبكلمة أخرى فإن "التاغه" تمثل العنصر المخصب ويمثل الآس العنصر الخصيب أو المستلم. كما ينبغي أيضاً ملاحظة أن الكلمة المندائية للآس هي (آسا) وأحياناً (آس) ومعناها أيضاً يشفي وهو توكيد لموضوع مقالتنا من أن الطقوس تتضمن الحيوية والصحة للجسم والروح معاً. وقبل أن أترك موضوع "الرسته" يجب أن أضيف بأن الصابئين مولعون بإخباري أنهم في زمن ما كانوا لا يرتدون إلا البياض وأن من الخطيئة ارتداء الملابس الملونة. وهذا يعكس الاعتقاد بأن الجماعة كانت ترتدي الرسته باستمرار في حياتها اليومية.

سأبحث الآن عن الحلقة الحديد الأخرى التي وإن لم تكن تماماً جزءاً من الملابس الدينية إلا أنها تلبس في اليد وتستعمل أثناء الاحتفالات الدينية وبهذا يمكن أن تدرج في هذا الحقل.

وأنا أقصد بها "السكين دوله". فالشومياور يصنع من الذهب وتصنع "السكين دوله" من الحديد. و "الشوم ياور" سمي باسم الروح العظمى للنور منقوشاً عليه بينما تمثل المرسومات في "السكين دوله"، حسب رأي الكهان، قوى الظلام.

و "السكين دوله" هي الختم الطلسمي وتحمل نقوشاً تمثل الأسد والعقرب والنحلة والأفعى. وتشكل الأفعى التي يلتقي ذيلها برأسها إطاراً للأخريات. وهي تلبس أثناء التعزيم ومن قبل أولئك الذين يعزلون لنجاستهم، كما هي الحال في الولادة والزواج.



وتختم بها سرة الوليد. ويلبسها الكنزفره للعريس في حفلة الزفاف. كما يختم بها القبر في طقوس الدفن وتربط الحلقة بطرف سلسلة من الحديد و بالطرف الآخر تثبت سكين لا مقبض لها تدعى "سكين دوله" أو "سكين". ويترجم الصابئون هذه الكلمة بمعنى "مسكن الشر" - سكان إداولا .. فالحياة بعرفهم هي الأفعى بلا يدين أو أقدام أي أنها تمثل "أور" "تنين الأرض الهائل" وهي يمكن أن تعني "حياة" - هيي - لأن الحية (هيوا - في المندائية) و "حية" في العربية رمز للماء والحياة.

ويضع الصابئون أحياناً أفعى منقوشة وملونة باللون الأسود فوق عتبات دورهم كواق، وهذا يذكرنا بالأفعى السوداء الكبيرة المرسومة بجانب بيت الهيكل اليزيدي في شيخ عدي (٤). ولقد شاهدت أيضاً أفعى مصنوعة من قماش قطني أزرق مخيطة في مظلة في فراش عرس صابئي (*).

ويمكن أن يمثل الأسد (اريا) الأسد في منطقة البروج الصابئية كما يمثل العقرب "ارقبا" نفس العقرب في البروج الفلكية. والصابئون يقولون بأنهما يمثلان "كرون" و"هاغ" وهما اثنان من آلهة العالم الأدنى الخمسة.

والآن فإن العقرب والحية والأسد توجد غالباً في الصور الجدارية المجوسية وتكون النحلة بصورة عامة في نقوش المجوهرات ويلتصق العقرب المجوسي عادة بأعضاء تناسل الثور الضحية. وتختلف وضعية الأفعى واتجاهها فأحياناً تظهر وكأنها تشرب من دم الضحية. وتختلف أوضاع الأسد أيضاً فيمثل بعض الأحيان كل من الأسد والعقرب بهيئة اتفاق بينهما وبين الدائرة البرجية التي لا تظهر باستمرار في الآثار المجوسية.

(*) عادة مكتسبة من المحيط ولاعلاقة لها بالدين .

وحين نأخذ بنظر الاعتبار هذه المتشابهات المجوسية يمكن أن يكون من الصحيح الفرض بأن الحية والأسد والعقرب لدى الصابئين هي أيضاً حيوانات برجية ومن أصل إيراني. وتختلف النحلة المجوسية عن المندائية بأنها ترى من الأعلى. وتشبه النحلة المندائية إلى حد ما "بيت" المصرية والتي تكون عادة صورتها جانبية. وفي نفس الوقت يجب أن يلاحظ بأن الثور والكلب اللذين يظهران دائماً في الآثار المجوسية لا يظهران في الرموز المندائية الطلسمية. ومما يستحق الذكر أنه في عربستان (المنطقة التي يعيش فيها جماعة من الصابئين حالياً) يحفر الأسد (رمز الشمس) على شاهدة القبر عند المسلمين هناك ولا شك أن لهذا العمل تفسيراً.

وقد أخبرني أحد الكهان أن "السكين دولا" كانت الطلسم الذي جلبه "هيبل زيوا" من عوالم الظلام حين ذهب بـ "الروهه" إلى العالم العلوي (٥).

ملاحظات حول الفصل الثالث

١- الرسته : ـ إن لبس البياض كرمز طبيعي للنقاوة أمر شائع . والتقليد هذا موجود في بابل السفلى . فقد كان كهان "بارو" يرتدون البياض وهكذا فعل الكهان المجوس . ومن المحتمل أن تعود قفاطين كهان اليهود الأوائل إلى الطقوس المصرية أكثر مما هي إلى التأثيرات البابلية . أما الكساء الأبيض لدى الاسينيين فيظهر أنه جزء من طهارتهم ومن عقيدتهم وأنه مأخوذ من مصادر بارسية ـ بابلية . والكسوة الطقسية لدى البارسيين سواء لدى الكهنة أو أفراد العامة تتصل بصورة وثيقة بكسوة الصابئين . فرداء الكاهن البارسي يسمى "جاما ـ بشودي" ويحتوي على قميص طويل أبيض فضفاض يلبس فوق سراويل بيضاء وعمامة بيضاء وزنار أبيض . ويقال إن الرداء الأبيض الذي يرتديه البارسي العام هو بديل عن "جاما ـ بشودي" التي كانت تلبس في الأزمنة القديمة .

ويسمى البارسيون القميص الأبيض للبدلة الطقسية "سدره" أو "سُدره" ويخاطب جيب صغير في الجهة اليمنى من السدره يسمى "جيره ـ بان" وهو يماثل في كل تفاصيله "الدشه" التي في الجهة اليمنى من "السدره" الصابئية . والبارسيون ، كالصابئين ، يعتبرون الحبل المقدس أو الزنار (الكستي) اعتبار الصابئين للهميانة ، وقد قص عليّ أحدهم حكاية جندي بارسي كان يعمل بالعراق أثناء الحرب الأخيرة . لقد أضاع الجندي "الكستى" فذهب إلى كاهن صابئي للحصول على زنار ذي اثنين وسبعين خيطاً يعمل من أجله . واستجاب له الكاهن فصنع له واحداً . ويقتبس ويلشتيد Well'stead في {رحلات إلى مدينة الخلفاء صفحة ٣١٦} قصة مشابهة . و"الكستى" يجب أن يحل ويعاد عقده في طهارة الصباح لدى البارسيين (البادياب) تماماً كما يجب حل "الهميانه" أثناء الطهارة الصغرى الصابئية (الرشامه) . ويكون "الكوستى" كما تكون "الهميانه" من صوف الحمل ، بيضاء مجوفة ؛ وينطق البارسي حين يلبس "الكوستى" : "أفكار حسنة ، أقوال حسنة ، أعمال حسنة" وهي تماثل "الطابا" التي يرددها الصابئون .

والعمامة و "البادان" لدى البارسيين هي علامات الكهنوتية وحين يسقط الشعار من الرأس يمنع الكاهن من أداء وظائفه المقدسة ، وهكذا فإن ما يؤهله لتلك الوظيفة يعتبر باطلاً وعليه أن يعيده إذا ما رغب بالاستمرار على ممارسة وظائفه المقدسة .

و"البادان" البارسي هو الخام الأبيض الذي يغطي فم الكاهن وأنفه لئلا يلوث نفسه النار المقدسة . وهو يشد بخيطين ولا يكون جزءاً من العمامة كما هي الحال لدى الصابئين .

٢- بايوند : ـ "إن تمسك البايوند يعني أن تكون بتماس تام مع الآخرين ، ويجري هذا حين يمسك شخصان بقطعة قماش أو بشريط قطني بينهما" (J.J.M.P.55) . وحاملو النعش البارسيون يمسكون "بايوند" بينهم حين يدخلون إلى الغرفة التي يوضع فيها الجثمان كذلك يفعل الأشخاص الذين يشيعون الجنازة .

٣- المركنه : يقول ليدز بارسكي : يظهر أن جميع الأدوات وكثيراً من التعابير المستعملة في الطقوس الصابئية هي من أصل أجنبي ؛ فالمركنة مثلا هي من خشب الزيتون . وخشب الزيتون مقدس جداً في بلاد ما بين النهرين وليس الحصول عليه بعسير لوجوده شمالي العراق ، كذلك يمكن جلبه من إيران ويستعمل الصفصاف بديلاً عن الزيتون عند الضرورة .

وغالباً ما يشار إلى قوة العصي والهروات السحرية في الأساطير الصابئية .

يقول "ديو جنيس لاريت" عن الكهان المجوس إنهم يحملون عصا من القصب .

وكانت عصا شجر السدر تستعمل في عبادة الشمس من قبل كهان "سيبار" (إن عصا السدر محبوبة الآلهة العظام وهم الذين وضعوها في يده) ـ الواح شربو .

وتظهر عصا المصريين ولها استعمالات سحرية تتصل بالماء ، فعصا موسى قد قسمت البحر وفجرت الماء من الصخر وانقلبت إلى حية تسعى زاحفة ترمز إلى الحياة والماء . إن الأهمية الخصبة لعصا تبسطها على أكثر الاحتمالات عصيّ الجن والساحر وصولجان الملك .

٤-لا تزال الحية تستعمل كزخرف شمالي العراق (على الملاعق الخشبية) وبخاصة في مدينة اربيل ، كذلك صورة الحمامة التي كانت ترتبط بالأفعى في عبادة "عشتار" ويمكن أن يكون كلا هذين الموضوعين مستعملين على الدوام منذ أيام كان فيها "مقام عشتار - اربيلا" مكاناً يحج إليه . وفي بيوت النذور الطينية التي اكتشفها الدكتور أندريس Andrace في هيكل عشتار في آشور وجد أن الحمامة والأفعى مصورتان بشكل بارز واضح .

٥- يقول "ابن النديم" عن كتاب صابئي يسمى (الحاتفى) (*) إنه كان يوجد فيه معلومات طلسمية إضافية أخرى : . (تماثيل حيوانات تنقش على فصوص الخواتيم تصلح بزعمهم لفنون ، وشاهدت أكثرها منقوشاً على فصوص خواتيمهم على هذه الغاية وسألتهم عنها ، فزعموا أنهم يصيبونها في قبول موتاهم القديمة يتبركون بها) .

ويذكر الشهر ستاني أن الصابئين كانوا يصنعون الحلق الطلسمية التي تمت إلى أوجه الكواكب المختلفة نظراً لمعرفتهم بعلم الفلك .

(*) الحاتفى : لا يوجد ذكر لهذا الكتاب لدى الصابئين المندايي .

الفصل الرابع

الحياة العامة

يعتبر الصابئون العزوبة خطيئة وإنجاب الأولاد فرضا دينياً، وتبلغ قوة الاعتقاد هذه أنه يجب حتى على أكثرهم تقى، إذا ما توفي دون انجاب أطفال، أن يمر بعد موته بالمطهر (مطراثا) ليعود بعد إقامته هناك إلى عالم النور وإلى حالته البدنية مرة أخرى ويصبح أباً لأطفال. وقد أخبرني أحد الكهان أن هذا غير صحيح، فالروح حين تغادر سجنها من اللحم لا يمكن أن تعود فتدخل فيه ثانية؛ وقال: إنه في حالة كهذه تتلبس الروح جسماً روحانياً في العالم الآخر ـ مشوني كشطه[1] ـ حيث يتزوج وينجب أطفالاً [*]. وخلاصة القول: إن الفرد الصابئي ذا الأطفال يكون عادة آمناً من أنه سيرتدي الملابس الدينية (رسته) إذا مادنت منيته، وأن الطقوس الضرورية للميت ستجري له وأن المراسم من أجل سعادته في الحياة الأخرى ستستمر، وسأوضح كل ذلك في فصل قادم.

أخبرني أحد الكهان أن الروح (نشمثه) تهبط من الماء السماوي إلى جسم الطفل وهو في رحم أمه حين يتم شهره الخامس وتأتي مشابهة ومماثلة تماماً للطفل الذي سيولد في العالم المثالي.

ويسبب لمس الميت والعريس تدنيساً لأولئك الذين يمسونهما. فالمرأة الوالدة والعريس والذين يلمسون جثة الميت يمنعون من الاتصال بالآخرين إلى أن تتم طهارتهم.

ويجب على المرأة حين تدنو ساعة الطلق أن تغتسل وأن تهيئ لها مكاناً للوضع إذ عليها أن تكون بعيدة من أن تمس سائر من في الدار وما فيها. [2]

وحالما يولد الطفل تقوم المولدة بإجراء ما يلزم لسرته وحبله السري ولا يكون

(*) ليس في ديانه الصابئين ذكر لزواج الإنسان في العالم الآخر.

للسكين أي دور هنا ثم تقلع الأخت وترمى مع الحبل السري إما في النهر أو تدفن في مكان ما بعيدا عن الدار. وقد سألت كاهناً ما إذا لم يكن ذلك تلويثاً للنهر فأجاب: إنها عادة اقتبسها الصابئون عن المجاورين وقد كان ولا يزال ممنوعاً تلويث الماء الجاري بالبراز أو البول كما كان يعتبر من الخطأ تلويث النهر بالدم أو بالأشياء الميتة؛ ولكن ذلك أهمل ونسي (٣).

تغسل المولدة الطفل بالماء الفاتر والصابون (من المحتمل أن يكون هذا مستحدثاً لأن سكان الأهوار لا يملكون الصابون دائماً ويستعملون نباتاً عوضاً عنه) ثم تدهن جسمه بالزبد (انتاج الصابئين فقط) المملح. وفي السابق كان يدهن بزيت الزيتون والملح إلا أن الزبدة أرخص من الزيت. بعد ذلك تتلف جميع المواد التي استعملت أثناء عملية الولادة من قماش أو قش أو قطن وتدفن أحياناً، وأحياناً تلقى في النهر. وحين يكون الطقس بارداً يجلب الماء من النهر ويمزج بماء حار للتدفئة ثم يصب على المرأة من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، فإن لم يكن الطقس بارداً تساعد المرأة الوالدة حديثاً على الذهاب إلى النهر حيث تغتسل بالارتماس ثلاث مرات في الماء. وهذا الاغتسال (طماشه) مصحوب بالدعاء المعتاد الخاص بالنجاسة الكبرى، يجب أن لا يتأخر عن نصف ساعة بعد الولادة (*). وتستبدل المرأة أثوابها بأخرى جافة ويحرق من حولها البخور وتوضع حلقة السكين الدينية "سكين دوله" في خنصرها الأيمن وتدس السكين المتصلة بها بسلسلة في حزام المرأة ويوقد مصباح ينبغي أن يظل بجانبها ليل نهار لمدة ثلاثة أيام (٤) (**). ثم تعاود المرأة الاغتسال الثلاثي في الأيام الثالث والسابع والعاشر والخامس عشر والعشرين والثامن والعشرين بعد الولادة.

وتصبح المرأة على أثر الولادة معزولة (صورثه) يجب تجنب مسها والاتصال بها يلقى إليها الطعام إلقاءً وتتناوله في طبق معدني (***) يجب استبداله وتطهيره بعد كل ثلاثة أيام من الاستعمال. إن جميع ما تستعمله من أوان وأطباق يجب أن يعمد معها حين يحين موعد تعميدها على يد الكاهن. وتبقى المرأة الوالدة سبعة أيام في شبه

(*) ليس هناك زمن محدد للاغتسال بعد الولادة بل يترك ذلك لظروف الشخص الخاصة .

(**) ليست هذه العادة دينية ، والمعتاد في مثل هذه الأحوال أن يظل المصباح مشتعلاً بجانبها ليل نهار لمدة سبعة أيام ، كما يوضع بقربها أيضاً إناء مملوء بالماء توضع فيه أغصان طرية من الآس والورد دلالة على الخصب .

(***) يجوز في الوقت الحاضر استعمال الأواني الفخارية أو الزجاجية بدلاً من المعدنية .

دائرة من الحصى، تستبدل بعد ثلاثة أيام بحصى جديد ثم ترفع بعد الاغتسال في اليوم السابع. وفي اليوم الثالث يهرس ورق طري من الآس ويرش على سرة الطفل. وقد أخبرني أحدهم أن المسحوق هذا يمزج بقليل من الماء في حين قال آخرون بأنه يرش جافاً. وتقوم الأم بهذه العملية عادة ويستدعى الكاهن لإجراء مراسم وضع (السكين دوله) فوق سرة الطفل وهو يقول حين يضعها... (بشْمَيْهُون ادهييٍّ ربّي أسوثه وزكُوثه هشْمتِه وزرَ ستْه ونْطَرَتْه رابيته دشراره نهويله إديله فلان بريلنيثه ابهازن صوُرثه ورازه دابثاهبل اشم ادهيي واشم اد منداد هيي مدخر الخ) (*).

وترجمتها: "باسم الحياة العظمى الصحة والطهارة والختم والحصانة السلامة ـ للروح والجسم ـ تكون لفلان بن فلانة ـ يكون اسم المولود الفلكي قد استخرج بمساعدة الكاهن ـ بهذا الختم وبسر ابثاهيل. اسم الحياة واسم مندا دهيي منطوق عليك".

وفي أول يوم أحد بعد اليوم الثلاثين من الولادة إذا كان المولود ذكراً، وبعد اليوم الثاني والثلاثين إذا كان المولود انثى، يجب على المرأة أن تتعمد هي ورضيعها. ويصر بعضهم على أن مدة الفترة هذه هي أربعون يوماً واثنان وأربعون يوماً على التوالي، وسأعطي تفصيلاً كاملاً عن تعميد المرأة بعد الولادة ومدة الفترة فيما يأتي من فصول.

وإذا كان الطقس بارداً والجليد يغطي الأنهار تنتظر المرأة الوالدة إلى أن يعتدل الجو. والاغتسال الثالث يُنهي فترة العزلة ولكن الزوج لا يقرب زوجه إلا بعد التعميد(**). أما من ناحية الطفل فالمعتاد أن ينتظر إلى أن يصل إلى عمر يستطيع معه ضبط نفسه، لأنه إذا ما تغوط أو تبول أثناء عملية التعميد فإنه يتعرض للعقاب الديني. وتفضل بعض الأمهات التقيات أن يجرى التعميد للطفل بعد اليوم الثلاثين، لأنه إذا حدث أن مات دون تعميد فلن يذهب إلى عوالم الأنوار بل سيبقى في رعاية

(*) لا يجوز للكاهن مس الطفل أو أمه في مثل هذه الأحوال وإنما له أن يقرأ هذه الصيغة أو صيغة مختصرة أخرى. فإن لم يتيسر وجود الكاهن قامت الأم بهذه الإجراءات وهي إجراءات واجبة لتدشين الطفل كأحد أفراد المندائي. وبهذه الإجراءات يحتفظ قبل العماد بحقه الديني في الانتظار "بعد وفاته" كفرد صابئي إلى حين تقوم الساعة.

(**) يجوز للزوج وللآخرين ما عدا الكهان مس الزوجة بعد تطهرها في اليوم السابع بعد الولادة. أما مضاجعة الزوج لزوجه فلا تجوز إلا بعد مرور واحد وثلاثين يوماً على الولادة سواء عمدت الأم أم لم تعمد ويستثنى الكهان من هذه القاعدة إذ لا يجوز لهم الاقتراب من زوجاتهم إلا بعد تعميدهن.

"ابشاهيل". وهذا يكون عادة نصيب الأولاد غير الشرعيين. وليس هذا بالحكم القاسي؛ فالحيوانات ترعى فوق التلال التي يدفن فيها مثل هذا الميت، وتنمو هناك الأشجار والأزهار، ويرضع الأطفال من شجرة تنمو هناك "انا ادمارابيا يانقيا"، تكون لها أغصان متدلية تحمل اثماراً كالأثداء يتغذى بحليبها الأطفال؛ وفي نهاية الدنيا يأخذ "هبشبه" (تجسيد يوم الأحد) هؤلاء الأطفال ويعيدهم إلى أمهاتهم في عالم النور بعد تعميدهم بماء الفرات السماوي (يردنه).

وحين يراد تعميد الطفل بعد الولادة يبحث عن "حلالى" (فرد من العامة ذو طهارة طقسية معينة) يمتلك خواص فلكية تشابه خواص الطفل وبهذا يكون اسمه الديني مطابقاً لاسم الطفل (*) (انظر الفصل ٦).

ويقوم هذا الرجل بدور الأب للطفل. يرتدي الأب "الرسته" ويبدأ الكاهن بتعميده أولاً يساعده في ذلك قندلفت "شكنده". يتلو الكاهن "الرهمى" (الدعاء اليومي لطلب الرحمه) باسم الطفل وفي نهاية الدعاء يلبس الطفل "رسته" كاملة واكليلاً من الآس (كليله) تكونان قد هيئتا له. وحالما ينتهي "الرهمى" يأخذ الأب الطفل ويطلب الإذن من الماء حسب الصيغة المعتادة ثم يدخل إلى الماء حاملاً الطفل على ذراعه اليمنى مدعوما بيده اليسرى (**) ويغمس جسم الطفل في الماء ثلاث مرات (يرش الكاهن الماء فوق رأسه). يتقدم بعدها الأب حاملاً الطفل على ذراعه اليسرى ويمد يده اليمنى إلى الكاهن لتناول العهد (كشطه). ويعطي الطفل ثلاث رشفات من الماء ويمسح جبينه بالماء ثلاث مرات من اليمين إلى اليسار ويوضع الإكليل على رأسه ثم يخرجه الأب والطفل من النهر ويذهبان إلى حيث يوجد خوان طيني للبخور (طريانه) وهناك ينطق الأب بهذه الكلمات: "أسوثه وزكوثه يا ملْكي وأثري ومَشْكنِي ويَرْدِنى وأرهاطي واشْخناثي إد المه دنهوره كليهون". وترجمتها: "لكم الصحة والمجد ـ أو الطهارة ـ أيها الملائكة وأيها الناس وأيها المواطنون ولكم المياه الجارية والأنهار وجميع ما في عالم النور" (***).

(*) ليس هذا شرطاً من الناحية الدينية إنما الأصل أن يكون الأب أو الوكيل "حلالياً" أي لائقاً من الناحية الدينية .

(**) ليس هناك وضع خاص للإمساك بالطفل أثناء تعميده وهو رضيع ويترك ذلك لحكمة القائم بالعمل .

(***) يطلق الصابئون على أول تعميد للفرد الصابئي اسم "تعميد زهريثه" وهو التعميد الذي يدخل ذلك الفرد ضمن مجموعة المندائيين (الصابئين) وبدونه يبقى معلقاً .

بعد ذلك يسلم الطفل إلى القندلفت (شكنده) ليعيده إلى والدته (*) التي ستجلس وإياه باتجاه الشمال فوق جذع من النخل أو مقرفصة على قدميها. يخرج الكاهن من الماء ويهيئ عجينة السمسم ويدهن جبهة الطفل. تلي ذلك الإجراءات المعتادة في تناول الخبز والماء المقدسين. وأثناء إعطاء العهد (كشطه) يمسك بيد الطفل اليمنى غير أن القندلفت يجيب بدلاً منه وعند بلوغ مرحلة "تقبيل اليد" يفعل القندلفت ذلك بدلاً من الطفل أيضاً.

وإذا حدث أن تغوط الطفل أو تبول في ملابسه أثناء اجراءات العماء يستمر الكاهن في المراسم كأن لم يحدث شيء، أي أنه يجب أن يتناول عماداً كاملاً على يد كاهن استاذ (كنزفره) وأحد الكهان. ولا يبطل هذا الحدث عماد الطفل فهو قد أخطأ غير متعمد. فإذا توفي هذا الطفل فيستحق طقوساً جنائزية كاملة كأي صابئي آخر، وإذا عاش وبلغ من العمر حداً معقولاً (حوالي الست أو السبع سنوات) وقدر على النطق فسيكفر عن ذلك بتناوله عماداً في ملابس دينية (رسته) جديدة في أيام "دهفه اديمانه" (**).

ويحدث أحياناً أن يموت الطفل أثناء هذه المراسم، حينئذ تتوقف الإجراءات ويقوم الكاهن الأستاذ "كنزفره" بعمل عجينة من دقيق القمح الأبيض يصنع منها دمية ترمز للطفل الميت وتلبس هذه الدمية "الرسته" وتستأنف الإجراءات من الحد الذي تتوقف عنده، وقد حلت الدمية محل الطفل. ويدعى "الحلاليه" (جمع حلالى) للدفن ويضعون الدمية مع الجثة في تابوت من القصب (بنيه) ويدفنونها مع الطفل ثم يجرى بعد ذلك "اللوفانى و "الزدقه بريخه" (الفصل ١١). ومثل جميع المتعمدين حديثاً من الأطفال فإن روح الطفل المتوفى تصعد إلى باريها بسرعة ودون تأخير بعد اليوم الثالث مارة بالمطهر (مطراثه) وتصل إلى عالم النور، لأن عماد الطفل يعتبر كاملاً، ومع ذلك فاللوفانى باسمه في اليوم السابع يساعد روحه بالحصول على الأمن والسعادة. ويتعرض الكاهن (ترميذه) نتيجة ذلك إلى الدنس وعليه أن ينال عماد "شيتل" أي ثلاث معموديات وثلاث وجبات من الخبز والماء المقدسين على يد ثلاثة كهان أحدهم أستاذ (كزفره) ولمدة سبعة أيام.

(*) يمكن أن تقوم أية امرأة صابئية مقام والدة الطفل في مثل هذه الأحوال.

(**) يعتبر يوم "دهفا اديمانه" من أقدس الأيام لدى الصابئين.

ويجب أن تسبق معموديته هذه "زدقه بريخه" وأن يرتدي "رسته" جديدة ويحمل صولجاناً جديداً، كما يجب أن يمنح تاجاً (تاغه) جديداً أيضاً. وخلال ذلك الأسبوع من التعميد يجب عليه أن يتلو "الرهمى" ثلاث مرات يومياً. وبعد أن يتم ذلك كله يسمح له بأداء وظائفه ككاهن.

وهناك قدرة خاصة تتعلق بولادة الطفل وتكون مسؤولة عن سلامته قبل الولادة وبعدها. وكتاب "دراشه اديهيا" (٥) يتحدث عنها ويدعوها "ليلث". والحديث عنها ليس معيباً وتعتبر بصورة عامة روحاً نورانية رحيمة يطلق عليها اسم "زهرييل" وهي ذات علاقة بعشتروت أو الزهرة في عبقرية القدر في مجال التناسل والولادة. ويطابقها "الشيخ دخيل" مع الزهرة ومع "سيمات هيي" أيضاً وهي في الأساطير زوج "هيبل زيوا" التي تزوجها حين هبط إلى عالم الظلام.

ويجب أن ترضع كل أم وليدها، كما يحرم أن تُستأجر الأم كمرضعة، وعلى الصابئيات أن لا يبعن حليب أثدائهن خشية العقاب في الآخرة.

والأب مسؤول عن تربية ابنه إلى أن يبلغ الخامسة عشرة أو العشرين على حد قول بعضهم. يجب أن يربى الطفل ويغذى ويثقف ويلقن الفروض الدينية ومراسم الطهارة وكيفية ارتداء "الرسته" وعقد الزنار (هميانه) وكيفية إجراء الوضوء (الرشامه) والاغتسال (طماشه). كما يعلم أن عليه قبل تناول الطعام أن يغسل يديه وذراعيه إلى المرفقين وأن ينطق صيغة "الحياة واسم منداد هيي" قبل تناوله أي طعام: "أيها الطعام عليك اسم الحياة واسم منداد هيي" وهي نفس الصيغة التي ينطق بها عند تناوله أول لقمة في الوجبة الطقسية (لوفانى) على روح الميت. ويلقن أن لا يأكل لحماً لم يذبح حسب الأصول الدينية، وأن لا يمس الدم أو أي نوع من أنواع النجاسات، كما يعلم أي اللحوم محرم وأيها محلل. ويلقن أيضاً بأن "هيبل زيوا" حين خلق "ابثاهيل" المخلوقات الحية على الأرض علم آدم الحلال من الطعام وهو كل نبت له بذر، ومن هنا كان الفطر حراماً؛ وكل ما افترس من الطير، والطيور آكلة الأسماك حرام أيضاً. كذلك يحرم أكل الغراب والزاغ و "الزركى" [طائر طويل الساقين يعيش في الأهوار]. أما الغداف [الغراب الأسود] وربما كان ذلك هو نفس سبب ظهوره في الصور الجدارية للمجوس فإنه طير طاهر يمكن أكل لحمه دون لوم. وتحرم لحوم الجمل والحصان والخنزير والكلب

والفأر والأرنب الأهلي والوحشي والقط. وبينما يكثر مجاوروهم من الأديان الأخرى من أكل لحوم البقر التي هي أرخص ثمناً من لحوم الأغنام فإن الصابئين يعتبرون من الجرائم الكبرى ذبح الجاموس أو البقر. إن قدسية هذه الحيوانات وبخاصة الثور يذكّر بالرفض المطلق لتناول لحمها. وقد قال لي أحد الكهان بأنها قد خلقت للحراثة والسحب ولإنتاج الحليب لا للغذاء وفي نفس الوقت فليست هنالك أية أهمية دينية للبقرة الحية ولا أي صلاح في روثها أو بولها كما هي الحال لدى البارسيين؛ وليس هناك طقس خاص في حلبها ولو أن على الحالب أن يذكر عند البدء بالحلب صيغة "اسم الحياة واسم منداد هيي منطوق عليك". (*)

ويمكن أكل الأسماك ولو أن بعضها محرم، وهي تصطاد بالشبكة أو الشص حسب الطريقة المعتادة. وتناول اللحوم من قبل الصابئين قليل عملياً، والاتجاه بخصوص عملية الذبح اعتذاري مشوب بالندم. "من الخطيئة أن تذبح حتى إذا كان ذلك حسب طقوس الذبح المعتادة" ذلك ما قاله أحد أفراد العامة؛ كما أخبرني كثير من التقاة منهم بأن الإنسان المتدين حقاً يمتنع عن أكل اللحوم والأسماك، وسنرى في الأساطير أن (الناصورائي) يوصفون عادة بأنهم نباتيون أقرب إلى الفكر الهندو أوروبي والبوذي منه إلى الفكر السامي. ويعطينا كتاب "كنزه ربه" رأياً معاكساً حول أكل اللحوم. فجميع القتل وسفك الدماء ذنب وخطيئة، إلا أن الذباب والديدان والعقارب وجميع اللاسعات الضارة (راشي بيشى) يمكن أن تقتل دون اقتراف أية خطيئة.

يجب أن أنبه هنا إلى حقيقة غريبة هي أن الدجاج والبيض مع أنهما يشكلان مواد غذائية يومية فهما لا يمكن أن يؤكلا في الوجبات الطقسية. ويعتقدون أن موتاً سيحل في البيت الذي يعطي بيضة بعد غروب الشمس. وسأصف في مكان ما من هذا الكتاب ذبح الأغنام الذي لا يختلف في الطقوس عنه في الطعام الاعتيادي وإليك وصف ذبح الطيور:

يجب أن يكون الذباح إما حلالياً أو كاهناً. وقد راقبت الشيخ دخيل وهو يقوم بذبح زوج من الدجاج. بدأت العملية في بيت الشيخ دخيل مبتدئاً بـ "الرهمى" أو

(*) لا يجوز للكاهن شرب حليب البقر أو الجاموس إلا بعد مرور ثلاثين يوماً على ولادتها أما العامة فيجوز لهم شربه دون تحديد .

الدعاء التمهيدي (*) وتفقد "الرسته" قطعة قطعة وبضمنها "التاغه" كما وصفت ذلك في موضع سابق. وقف الشيخ لإجراء هذه العمليات حافي القدمين فوق حصير في ساحة بيته ووجهته الشمال، حاملاً عصاه (مركنه)، ثم هبط إلى النهر وبيده قطعة خشب صغيرة وسكين لا مقبض لها. وقد أوضح بعد ذلك بأن سبب عدم وجود المقبض هو وجوب تطهير السكين بحرقها في نار موقدة.

قام أولاً بعملية "الرشامه" - الطهارة الصغرى - على حافة النهر ثم قام بغمس السكين وقطعة الخشب الصغيرة، التي يمكن أن تكون من أي مادة خشبية نظيفة (**)، والعصا في ماء النهر. وبينما كان يغمر السكين وقطعة الخشب كلياً في الماء ثلاث مرات كان يدخل فيه طرف العصا فقط. وكانت صيغة التعميد تتلى على كل مادة من تلك المواد: "مركنى اصبينا امصفته ادبهرام ربه بروربى... إلخ". و في نفس الوقت خاض في الماء كاهن (***) آخر مساعد له دون أن يكون لابساً "الرسته" وهو يحمل الفرخين اللذين غمرهما بالماء ثلاث مرات. ولا يمكن ذبح الطير أو الحيوان الناقص الخلقة، وكانت الدجاجتان صحيحتين وسالمتين من كل نقص. وحضور المساعد أو "الشاهد" فرض واجب في كل عملية ذبح للتأكد بأن ليس هنالك من إهمال أو شذوذ.

عاد الشيخ دخيل وادار ظهره للنهر ليواجه الشمال وصلى صلاة طويلة نوعاً ما، ثم جلس على عقبيه وتناول الفرخين واحداً بعد الآخر من يد الكاهن ممسكاً إياه بحيث يكون رأسه متجهاً نحو الغرب" (****) وأمرّ السكين بضع مرات حول رقبة الدجاجة لقطعها بعمق لدرجة أن الرأس أوشك أن ينفصل عن الجسم. وحين كان يستعمل السكين كانت قطعة الخشب الصغيرة ملتصقة بها، وكان هو يتلو صيغة الذبح الخاصة (انظر الملحق).

(*) يجب على الذباح قراءة (صلاة معينة) إذ كان كاهناً أما إذا كان من فئة "الحلالية" فلا يقوم إلا بإجراءات الوضوء (الرشامه) قبل الذبح.

(**) تكون قطعة الخشب هذه من أي شجر لا ثمر له كالصفصاف والزور والغرب والاثل و اليوكالبتوس ويوحي ذلك بالأهمية المعطاة للأشجار المثمرة في عدم مسها.

(***) ليس المهم هنا الخوض في الماء بل المهم إيجاد عمق كاف من الماء لتغطيس الطيور فيه ثلاث مرات ويمكن أن يقوم بدور تطهير الطيور أي فرد صابئي على أن يكون "حلالى" إذا كان الذباح كاهناً.

(****) يكون رأس الطير أو الخروف متجهاً نحو الشرق لا الغرب.

ولم تضطرب الطيور بعد الذبح. بعد ذلك عاد إلى النهر وغسل يديه وسكينه وألقى بقطعة الخشب إلى الماء الجاري (*)، وحملت الدجاجتان إلى المطبخ دون السماح بأن يمسها أي شيء ملوث. إذ بعد أن يهيئ الحيوان أو الطير للذبح ويغمس بالماء ثلاث مرات يجب بذل كل عناية لعدم تماسه مع الأرض. ومع أن الطيور ذكوراً وإناثاً يمكن أن تذبح للغذاء أو للوجبات الطقسية فالإناث من الغنم محرم ذبحها وأكل لحمها.

عاد الشيخ دخيل إلى الدار ووقف فوق الحصير حافي القدمين كما فعل في المرة السابقة ثم تلا الصلاة اللازمة قبل أن يرفع "التاغه" ويخلع "الرسته". ولم يستعمل الآس خلال عملية الذبح لأنه فوق كل شيء رمز الحياة ولا يمكن استعماله إلا كقطعة صغيرة من الخشب ترافق السكين (**). وفي هذه الحالة تزال جميع أوراق الآس الخضراء. ويلزم غسل الدم الذي علق بالكاهن الذباح أو بالآخرين بعناية تامة مع تلاوة دعاء خاص لأن الدم [٦] دنس. ويجب تطهير جميع الخضراوات والأغذية بغسلها في ماء النهر كما يجب تعميد [٧] القدور وأواني الطبخ في أوقات معينة وبخاصة في أيام (البنجه)(***) حين تجلب ربة كل بيت أدوات مطبخها من جميع الأنواع لتخضع إلى تطهير طقسي. وهي عادة تغسل ملابسها وجميع أدوات المنزل في ماء النهر لأن الماء المقتطف من النهر يعتبر ماء ميتاً لا طهارة فيه (****).

ولدى الصابئين بعض العادات قال عنها الكهان إنها كانت عادات دينية. فحين يبنى بيت جديد يذبح كبش كفداء (*****) ويدفن رأسه تحت عتبة الدار. وقد شاهدت

(*) يعود إلى النهر ليقرأ دعاة مغفرة الذبح .

(**) لا يجوز مطلقاً استعمال خشب الآس كقطعة صغيرة ترافق السكين في عملية الذبح .

(***) بنجه : كلمة فارسية يطلقها الصابئون على أيام خمسة مقدسة يسمونها "بروانايا" بالمندائية .

(****) الماء المقتطف من النهر بإناء طاهر يعتبر ماءً طاهراً . وسبق أن أوضحنا أن الصابئين قسمان : دينياً ، القسم الأول الكهان أو (الناصورائيون) القسم الثاني العامة أو (المندائيون) .

أما الفئة الأولى فتتمسك بالشعائر والتقاليد الدينية إلى حد التزمت وهذا من صلب نظريتها الدينية (ناصيروثه) أما المندائيون فيجوز لهم التكيف غر بعيدين عن جوهر الدين إلى أمور الحياة المتطورة ، ويجيز هذا لهم الكهان أيضاً ، ولهذا فقد حصل على حياتهم اليومية تطور كبير فيما يخص استعمالات الماء الجاري فهم في الوقت الحاضر يستعيضون عنه بالماء المعقم في أحوال الذبح والارتماس وتطهير الأيدي والأواني وكل ما يحتاج إلى تطهير في حياتهم اليومية ونعتقد أن هذا التطور فيما يخص استعمالات الماء سيشمل في المستقبل البعيد حتى إجراءات التعميد إلى حد ما باعتبار الماء السائل في الأنابيب ماء جارياً (يردنه) .

(*****) لا فداء ولانذور لدى الصابئين اطلاقاً والموجود من هذه العادات لديهم إنما هو مكتسب من المحيط وهناك توبة وطلب غفران فقط .

هذه العملية حين ذبح أحد أفراد العامة طيراً وقطع رأسه ودعك بدمه قدم العريس ثم ألقى بالطير المضطرب إلى النهر. وعتبة الدار شيء مهم تقوم الطلاسم على حراسته ويدس الودع أو الفخار الأزرق فوق الباب كما تعلق أو تنقش عليه أو فوقه حية رمزاً للحياة، أو دمية من الخرق فيها أزرار زرق، ويعلق فوق الباب قرون البقر أو حبات العفص وتعاويذ أخرى (ويستعمل مثل هذه الدمية يهود العراق أيضاً).

وفي أوقات الوباء ولاتقاء شر عين الحاسد أو بعد الوفاة أحياناً تدفن أوان أو قطع معدنية للزينة تنقش عليها رقية وتوضع تحت عتبة الدار وبخاصة إذا كان من القصب لمنع التأثيرات الضارة و أمراض الشياطين من الولوج إليها.

ويتعلم الطفل في بيته صلواته وواجباته الدينية "فالعماد والصدقة والأعمال الصالحة تجعل من الفرد صابئياً كاملاً" وتتضمن هذه الأعمال الصالحة الإجراءات الدقيقة لطقوس الموت ومراعاة مرتبة الميت الدينية. وتعلم القراءة والكتابة والحساب ميسر لأطفال الصابئين في المدارس الحكومية العراقية، ويدخل منهم إلى المدارس المتوسطة أعداد متزايدة وحتى في دور المعلمين ليصبحوا معلمين. وقليل من العامة من يعرف قراءة الكتابة المندائية أو الكتب المقدسة فدراسات كهذه متروكة للكاهن. وعدد الذين يعرفون قراءة وكتابة اللغة يتناقصون بتناقص فئة الكهان. ويوجد من بين الصابئين معلمون، فمثلاً كان في قلعة صالح معلم صابئي (*) في المدرسة الابتدائية الحكومية للبنين. كما كان يوجد سيدة صابئية معلمة في مدرسة البنات وهي فتاة وديعة ذات ابتسامة ساحرة وقد تلقت دراستها في دار المعلمات في بغداد (**).

ويتبع كثير من أبناء الطائفة ذويهم في مهنهم حدادين ونجارين و صاغة. والصابئون هم الذين يجهزون العريس العربي بالمجوهرات التي هي عادة مهر العريس الوحيد، وبعض تلك المصوغات جذاب وبخاصة الأقراط (تراچي) من الذهب المخرم المزين باللؤلؤ والشذر والياقوت. وتتجمع حوانيت صاغة الفضة من الصابئين في محل واحد (***) وهي حوانيت صغيرة ينتصب في واجهة كل منها صندوق زجاجي لعرض المصوغات. ولا تشبه مصوغاتهم سائر المصوغات العراقية أو مصوغات اليهود

(*) تقصد المؤلفة السيد غضبان رومي الناشئ أحد مترجمي هذا الكتاب وقد تخرج في دار المعلمين الابتدائية عام ١٩٢٣-١٩٢٤ وكان أول معلم صابئي يدرس في المدارس الرسمية.

(**) السيدة باشه عبد الله وهي أول معلمة صابئية.

(***) تنتشر محلات الصاغة الصابئين في الوقت الحاضر في جميع أنحاء بغداد ولا تقتصر على محل واحد.

فالأخيرات غير مصقولة وغير متقنة أما مصوغات الصابئين فنظيفة وصقيلة ومظهرها الرئيسي هو تطعيم الفضة بالميناء، ذلك السر الذي يحتفظون به وحدهم حيث ينقش الرسم أولاً على الفضة ثم تملأ النقوش بالميناء وتدخل السلعة في النار وتأخذ الزخارف أشكال الأزهار أو المناظر النهرية أو رسوم الآثار كطاق كسرى أو منارة العزير وغير ذلك؛ وإذا تطلب الأمر فالصائغ الصابئي يستطيع أن ينقش صورة فوتوغرافية للزبون بمهارة وحذق فائقين وأحياناً تكون النقوش على الفضة ملونة.

وصناعة بناء الزوارق صناعة قديمة والتعبير الشائع عن الزورق العريض قليل الغور في الأهوار هو "المشحوف" وهو عبارة عن تصميم بسيط من الخشب المشروح وأضلاع داخلية تتصاعد بانحناء من عمود فقري مركزي منتهية برأس ومؤخرة وظيفتاهما شق الطريق خلال البردى والقصب. وتسمى هذه المشاحيف نسبة لحجومها: البركش والطرادة، وتسمى الصغيرة جداً التي تستعمل لصيد السمك (جلابيه) وتطلى هذه الزوارق من الخارج بالقير. والأدوات الزراعية كالمحاريث والفؤوس والمناجل وآلات الحصاد والمناقير كلها من عمل الصابئين تقريباً. والصابئون أيضاً هم الذين يصنعون الشصوص والفالات من أجل الصيادين في الأهوار.

والجيل القديم ينظر إلى التطورات الحديثة بارتياب حيث ينشأ جيل جديد جريء لا يتهيب الأكبر منه سناً. وقد قال لي يوماً أحد المتعلمين من أولاد أحد الكهان: - "إننا نتعلم في المدرسة أن الأرض كروية وتدور حول الشمس"، في حين كان والده يحدثني بأن الأرض مربعة ثابتة وقال أخيراً بخيبة أمل: "يظن الجيل الجديد في هذه الأيام أنه يعرف كل شيء".

والصابئون متضايقون جداً لعدم الاعتراف بأعيادهم فالموظفون من أولاد المسلمين والنصارى واليهود يسمح لهم بالتعطيل في أيام أعيادهم أما الصابئون فإن أولادهم يتظاهرون بالمرض حين يرغبون في البقاء في بيوتهم أيام الأعياد وبخاصة في عيد رأس السنة (*).

(*) اعترف بأعياد الصابئين عام ١٩٣٦ في حكومة حكمت سليمان وألغت هذا الاعتراف الحكومة التي جاءت بعدها . ثم أعيد الاعتراف بها بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وألغيت في شباط ١٩٦٣ ولا تزال ملغاة حتى طبع هذا الكتاب . ولا يزال الصابئون يطالبون المسؤولين بالاعتراف بأعيادهم خاصة والكثير منهم موظفون وجنود ومستخدمون في الحكومة وهم بحاجة إلى التعطيل في أعيادهم ليشاركوا ذويهم في أفراحهم وليتمكنوا من القيام بالشعائر الدينية المطلوبة .

والرقص واللعب والموسيقى ممنوعة على المتدينين من الصابئين ومع ذلك فقد شاهدت بنات صابئيات يغنين ويرقصن كعادة أهل البلاد ولكن في بيوتهن فقط وفي مناسبات الأفراح. ويشاهد الجيل الجديد السينما بالرغم من عدم رضا الجيل القديم. وهم على العموم يبدون رصينين وسعداء.

وهنا يجب أن أسجل نقطة يختلفون فيها جوهرياً عن مجاوريهم، هي حبهم للطبيعة حباً أصيلاً، فالعربي ولو أنه يعجب بجمال المرأة أو الحصان إلا أنه يحس براحة ذاتية لا بحب حقيقي أمام المشهد الطبيعي، فالشجرة تمنحه ظلا والماء يروي ظمأه والحديقة له ولأصحابه يجمع فيها شملهم. غير أن حكايات دراويش الصابئين تعرض الطبيعة وكأنها شيء روحاني غامض، فهم يفرحون بالطبيعة كما لو أنها جزء من الإنسان، فالطيور تتضرع للحياة العظمى، وتتغنى النجوم والشمس بحمده بانسجام يستطيع التقي الورع أن يسمعه، ويدخل هذا التحسس العميق بالطبيعة في سلوكهم اليومي فلو أنك أعطيت لأحدهم زهرة لانحنى عليها شاماً مدمدماً بصيغة جميلة هي: "عطر الحياة مسرة مولاي مندا ادهيي" [٨]. وهم بالرغم من التقشف الذي يجد في جميع وظائف الجسد ألواناً من الدنس الذي تعرض الفرد للشرور فإنهم يجدون في الحياة وفي الزواج مسرة، والزواج يتم بإقامة دعاء طقسي يهدف إلى الصحة والطهارة. إن التقشف والحرمان لدى المتصوفين من النصارى في القرون الوسطى غير معروف لدى هؤلاء المتقشفين المرحين فكل ما تهبه روح الحياة إنما هوهبة حسنة يجب استخدامها مع الحمد. وبالرغم من روح الشعور بالخطيئة لدى المصلين فالحياة لذيذة والأرض سجن سعيد والموت لا وجود له ما دام الحي والميت يلتقيان على الدوام فوق مائدة الوجبات الطقسية (لوفاني).

وحين تطير الروح كالطائر الطليق وتصل إلى منطقة النور بعد طهارتها تجد كل ما هو محبوب على الأرض بصورته الكاملة ولا يوجد في عوالم النور الصابئية بحار من البلور ولا جدران من الذهب ولا مدن كأورشليم السماوية لدى اليهود ولا حوريات أو ملذات كما هي في الجنة لدى المسلمين بل كل ما يوجد هو الجمال والطهارة والأثير السماوي [٩] والهواء الأنقى والأصفى وجداول من الماء الجاري والأزهار التي لا تذوي والطيور المغردة الخالدة والأشجار التي لا تذبل أوراقها ولا تسقط.

ولا أرغب بإعطاء صورة ذات جانب واحد عن الخلق الصابئي فللصابئين أخطاء مجاوريهم كما يشاركونهم أيضاً بتقديرهم للحق والصدق. وبعض الكهان يفكرون غالباً بعيشهم أكثر مما يفكرون بأفراد طائفتهم، فهم بالرغم من اعتقادهم بأن من يموت موتاً غير طبيعي سيعاني طويلاً ويتألم كثيراً في الآخرة ما لم يحصل على غفران (مسخثه) يقرأ باسمه، فقليل من الكهان من يقنع بإجرائه دون الأجور المعتادة، وجوابهم على ذلك إننا نريد أن نعيش. ومهما كان الأمر فهناك أخلاقية جيدة لديهم وأنا أحمل تقديراً عميقاً لرجال الدين أمثال الشيخ جودة والشيخ دخيل والشيخ رومي روحانيي (*) العمارة والناصرية وقلعة صالح على التوالي. إن شعلة التقوى الأصيلة تلتمع في عيني الشيخ نجم (**) السوداوين حين كان يتحدث لرعيته الفقيرة في اللطلاطة (***) عن تعاليم الصابئين، وقد قيل لي إنه لم يكن ليتوقع منهم شيئاً غير الشكر.

وتسير النساء الصابئيات سافرات ولهن حرية في الحركة ويمكنهن التملك والوراثة. وتعدد الزوجات يقع عبئاً ثقيلاً على بعضهن ولو أن البعض يعشن بسلام مع ضراتهن خاصة إذا كان الزوج شيخاً.

وهم عمال دائبون على العمل أصحاء الأجسام على وجه العموم ذوو سحنات جميلة، والرجال أكثر وسامة من النساء والروحانيون جميلون على الغالب وقد شاهدت صابئية وطفلها يشبهان مريم العذراء (مادونه وطفلها) وجنس الصابئين بصورة عامة مشهور بوسامته فيقال "جميل كأنه صبي" وهو قول شعبي؛ ويتزوج الصابئون مبكرين وغالباً لدى أول علامات البلوغ، غير أن الزواج والموت موضوعان مهمان بحيث يجب إفراد فصول خاصة بهم.

(*) لقد ذهب جميع هؤلاء الروحانيين إلى رحمة ربهم .

(**) أحد روحانيي الصابئين المعاصرين ومركزه في البصرة .

(***) اللطلاطة إحدى محلات قلعة صالح .

ـ ملاحظات حول الفصل الرابع ـ

١- مشوني كشطه : يظهر أن معناه الحرفي هو الحق المرفوع من لدنّا . ومشوني كشطه هو العالم المثالي للصابئين ويقطنه أحفاد آدم كسيه (أو آدم وحواء غير المنظورين) لأنه كما أخبرني أحد الكهان يوجد اثنان من كل شيء في الدنيا ، الواقع ومقابله المثالي (مبدا) . وأوضح لي ثان أن لكل شخص على هذه الأرض شبيهه (دموثه) في (مشوني كشطه) . ولدى الوفاة يفارق إنسان الأرض جسمه الترابي ويلتحق بالجسم الاثيري لشبيهه وفي هذا الجسم الأخير تعاني الروح آلام التطهير . أما الشبيه في مشوني كشطه فهو لدى وفاة صنوه الأرضي يغادر جسمه الاثيري الذي استقربه ويدخل في جسم نوراني . وحين يكون على أتم نقاوته يعرج حالاً إلى عالم الأنوار . وحين تكون الروح البشرية قد أتمت دورتها التطهيرية وأذنت لها موازين "أباثر" بالانعتاق من أعبائها تدخل هي أيضاً في عالم الأنوار ويتحد الاثنان :

"اذهب إلى شبيهي
وشبيهي يأتي إليّ
يتذكرني ويحتضنني
كما لو أنني خارج من السجن" .

ولكل الوحوش والطيور والأزهار وجميع الدنيا المادية مقابلها في "مشونى كشطه" . ويقال إن سكان "مشونى كشطه" يتزوجون ويتناسلون لكن دون اتيان أية نجاسة . ويعرضون أحياناً على صلة بمماثليهم الأرضيين .

والتشابه بين الروح الصابئية (نشمثه) والشبيه (دموثه) ، وبين "الارفان" و "الفرافاشى" لدى الزردشتيين قوي جداً .

"فعند وفاة شخص ما تلتقي روحه "ارفان أورافان" مع الحق حسب حقه أو باطله . فإذا كان أهلاً للذهاب إلى الجنة ذهب إليها وإلا فإلى الجحيم . ويفارق "الفرافاشى" الذي كان يقوده في الحياة الدنيا كروح مرشدة روح الميت ويذهب إلى مستقره حيث يوجد جميع "الفرافاشى" . أما الذي يلاقي النتائج حسنة كانت أم سيئة عن أعماله فهي الروح (ارفان) . إن (الفرافاشى) أو الروح المرشدة كانت نقية وكاملة غير مشوبة ولا ملوثة منذ البدء وهكذا عرجت . فهذا المطابق الروحي النقي الكامل "الفرافاشى" هو الوسيط كما كان ، للعلاقة المستمرة بين الأحياء والأموات" . J.J.M.P.423

و حسبما جاء في "الافستا" فإن لجميع الأشياء الطبيعية مثيلاتها "فرافاشي" ولكن ليس للأشياء المصنوعة من الأشياء الطبيعية . فمثلاً يوجد للأشجار "فرافاشي" ولكن ليس للكرسي أو المنضدة المصنوعين من خشب الشجر . وقد خلق الله "فرافاشي" تلك الأشياء الطبيعية منذ بدء الخليقة . وقبل خلق المادة يكون "فرافاشى" تلك المادة موجوداً كاملاً وصحيحاً . J.J.M.P.412

ويظهر أن "الدموثه" هو الروح الخارجية .

والاعتقاد بمثال شبه إنسان أو "نصف إنسان" بين عالم النور وعالمنا اعتقاد قديم ، وقد ظهر في المسيحية الأولى ، ومن المحتمل خلال الأفلاطونية الحديثة . فحديقة "الباما" الفيدية ، وهي العالم المثالي عند الاسينيين ، وأخيراً جداً لدى العرب "الجزيرة الخضراء" كلها تمت إلى نفس هذه الفكرة . فالسكان هنا يلبسون البياض وهم نقيون تماماً وعيشهم بينهم مشاع . وكما في جزيرة "افالون" فليس هناك رياح شديدة أو عواصف أو حر أو برد تفسد المناخ المعتدل . ويقول "جوزيفوس" (ترجمة ونستن وتنقيح شيليتو مجلد ٤ صفحة ١٥٥) عن

الاسينيين : "يعتقدون كأبناء اليونان بأن موطن الأرواح الخيرة هو فيما وراء المحيط في صقع لا ترهقه العواصف المطرية أو الثلوج ولا الحرارة الشديدة ، بل ينتعش بهبوب الرياح الغربية العليل التي تهب من المحيط باستمرار" .

وللصابئين نظريات مختلفة حول موقع هذا العالم المثالي . فبعضهم يؤكد أنه يقع في الشمال ويفصله عن هذا العالم جبل عال من الثلج . وهناك نظرية أخرى محببة لديهم هي :- "إنه وسط معلّق بين الأرض والسماء ولا يمكننا رؤيته وإن سكانه أنقى منا ولا تستطيع عيوننا مشاهدتهم" . وقد قال صديقي الشيخ هرمز برانهر مرة :- "يوجد هناك نجم يقطنه البشر أحفاد آدم الخفي - آدم كسيه - إلا أنهم شبه روحيين في طبيعتهم وأصغر منا حجماً ويسمى هذا النجم المريخ وهو نجمة الصبح" .

وجاء في وصف آخر أن "مشوني كشطه" هو في الشمال وراء منطقة الجليد والثلج حيث النور الدائم وحيث يمكن لسكانه أن يتخاطبوا مع "الملكى" و "الأثرى" وأن يشاهدوهم .

وتماماً كما أن "هيبل زيوا" هو الروح المعلم للأرض فإن "ششلام ربه" هو صنوه أو شبيهه (دموثه) وهو الروح المرشدة في عالم "مشوني كشطه" .

٢-يعزل البارسيون الأم أيضاً . "تحضر لها غرفة أو قسم من غرفة في الطابق الأسفل بصورة عامة من أجل الولادة . وتكون مدة العزل أربعين عاماً . وفي يوم الولادة تعزل الأم تماماً عن الآخرين ويجب أن لا تمس النار والماء وسائر أثاث البيت وبخاصة الأثاث الخشبي والمنسوجات . ويهيأ لها الطعام على طبق من قبل الآخرين . وعلى الذين يمسونها أن يستحموا قبل الاختلاط بالآخرين . . . وفي نهاية اليوم الأربعين وهو فترة الاعتزال ، على السيدة أن تطهر نفسها قبل الاختلاط الاعتيادي بالآخرين . فتستحم أولاً بحمام اعتيادي ثم تأخذ ما يسمى "نان" وهو من الكلمة السنسكريتية "شنان" أي الحمام المقدس . ويقوم كاهن هو على العموم كاهن العائلة بتزويد ذلك الحمام بالماء المقدس . ويمنع استعمال جميع فراش السيدة وملابسها التي استعملت أثناء فترة العزلة بعد الولادة وتتلف كلها بعد ذلك" . (J.J.M.P.6.7)

٣- تلويث الماء . يشير سترابو لمثل هذه الفكرة باعتبارها من خصائص الفرس فيقول : "لا يلوث الفرس النهر مطلقاً بالتبول فيه ولا يغتسلون أو يستحمون به ولا يرمون به جثة أو أي شيء آخر غير نظيف مطلقاً" (جغرافية سترابو ترجمة هملتون وفالكونر سنة ١٨٥٧ م مجلد ٣ صفة ١٣٧) .

ورمي النجاسات في الماء في "الفنيداد" محرم . يقول هيرودوتس (الكتاب الأول صفحة ١٣٨ ترجمة كاري سلسلة بون ١٨٨٩م) :-

"إن الفرس لا يتبولون بالماء ولا يبصقون في النهر أو يغسلون أيديهم فيه ولا يلوثون المجرى بالبول ولا يسمحون لأحد أن يفعل ذلك" . ويعتقد الصابئون بأن من يتبول في مجرى نهر يتعرض لمرض جلدي .

٤- عند ولادة الطفل يضاء مصباح يبقى مشتعلاً لا أقل من ثلاثة أيام في الغرفة التي ولدت فيها المرأة . يقول "السدار" فيما يخص البارسيين :- "حين ينفصل الطفل عن الأم فمن الضروري إضاءة مصباح ثلاثة أيام بلياليها . ويكون من الأحسن لو أشعلت نار بدلاً من ذلك . وذلك لجعل الشياطين والأبالسة عاجزين عن إيذائه وإلحاق الضرر به لأن الطفل المولود حديثاً يظل رقيقاً للغاية في هذه الأيام الثلاثة" . (J.J.M.,P.6)

٥- النص في كتاب "دراشه اديهيه" (لرساين وبطيناثه زهرييل ليليثا إشري أيْ) وترجمتها {زهرييل ليث تظل بجانب فراش المرأة الحامل}.

٦ -كذلك عند البارسيين واليهود . يقول ميمونيدس :- "اعتبر الصابئون الدم شيئاً نجساً للغاية غير أنهم حللوا أكله (*) مع ذلك لأنهم اعتبروه غذاء للشياطين واعتقدوا أن الإنسان في مشاركته بهذا الغذاء يدخل في علاقة

(*) يحرم الصابئون أكل اللحم أو شربه .

ودية مع الشياطين فيزورونه ويكشفون له المستقبل" . ويقول أيضاً "إن آخرين لا يرون شرب الدم بل كانوا يجمعونه في إناء ويأكلون من لحم الحيوان الذبيح والدم قريب منهم وبهذا يكونون قد جلسوا بصحبة الشياطين الذين كانوا يشربون الدم . ثم تصوروا بأن الشياطين ستظهر لهم في الأحلام وتكشف لهم المستقبل وترشدهم إلى الطريق الصحيح" .

ويعتقد العرب أن الدم سائل الحياة وأن الاستحمام أو الاغتسال به يشفي من المرض . وهذا لا بُد أن تكون الفكرة البدوية المبنية على الفداء (انظر الملاحظة رقم ٤ الفصل ٩) .

ومن الجهة الثانية يظهر أن السينيين وطوائف يهودية أخرى قد اشتقت ربما من مصادر إيرانية - هندية فكرة أن الجزر جريمة وأن تضحية الحيوانات لم يكن أمرا يسر قوى النور والحياة . فالاسينيون كانوا نباتيين ومن المحتمل أن تكون المسيحية الأولى قد استبقت رمزها في الضحية البديلة وشعائر الخبز بدلاً من لحم الضحية ، والخمر بدلاً من دمها ، من هذه المدرسة أي مدرسة الفكر اليهودي - الإيراني .

٧- لا يقتصر تطهير الطعام بالغسل على الصابئين فلدى أحد أتقياء الشيعة صهريج في ساحة الدار يغمر فيه كل الأطعمة قبل طبخها أو أكلها وبما أن الصهريج يكون عادة عفنا وذا رائحة نتنة وتكون النتيجة ليست على ما يرام ، فقد عملت الثقافة الحديثة في العراق على إبطال هذه العادة . إن الإجراءات لدى الشوافع فيما يخص الطهارة - الوضوء - تقترب كثيراً من الطهارة (الرشامه) لدى الصابئين .

٨-"ان يشم رجل عطر الحياة ولا ينطق عليه باسم الحياة فماذا يحكم عليه ؟" .

٩- ايارزيوه - الإشعاع الاثيري أو الاثير المشع - وهذا يمت بصورة أكيدة إلى "الهواء الأكثر خفة" لدى الاسينيين (جوزيفوس و س م ٤ ص ١٥٥) وهذا الهواء النقي النادر يمثل لدى الصابئين متداخلاً مع الهواء الكثيف الذي يحيط بالأرض وهو الذي يكسبه الخواص الحيوية تماماً كما تمتزج "اليردنه السماوية" بـ "اليردنه الأرضية" أو بالأنهار فتكسبها خاصة الحياة وقوة الإخصاب . ويجسد هذا الاثير ويذكر أحياناً كمصدر للحياة .

الفصل الخامس

الزواج - قابين -

قال لي أحد كبار الكهان (كنزفره) وكان متزوجاً من اثنين: "ليس للرجل غير المتزوج من جنة في الآخرة ولا من جنة في الدنيا، ولو لم تخلق المرأة لما كان هناك شمس ولا قمر ولا زراعة ولا ماء. فالأولاد يرفعون اسم الإنسان في الآخرة، ويحملون جنازته حين يموت ويقرؤون "المسخته من أجله".

وللرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء وبقدر ما تسمح له ظروفه ومع ذلك فتعدد الزوجات هو الاستثناء وكثير من الصابئين يفضلون الزواج بالواحدة. وقد لاحظت أن أكثر الكهان كانوا متزوجين باثنتين أو أكثر في نفس الوقت. والمقاييس الأخلاقية لديهم صلبة ومع ذلك فالمرأة الخاطئة لا يقتلها ذوو قرباها كما يفعل الآخرون في العراق بشكل عام. ولا يعترف دينهم بالطلاق ولكن إذا ما وجد الزوج أن زوجته قد أهملت في واجبات الطهارة أو أن خطاياها الأخلاقية خطيرة، يطلب من "الكنزفره" الافتراق عنها، ولا يكون بوسعها بعد ذلك أن تتزوج رجلاً آخر، فليس من المنتظر من الثيّب أن تتزوج ثانية لأن الدين يقول "مثلُ الزوج والزوجة كمثل السماء والأرض أو كمثل روح واحدة في جسمين". ومع ذلك فالتطبيق عملياً أسهل بكثير من السنة. وإذا أرادت الأرملة أو *المرأة غير العذراء أن تتزوج فهناك كاهن خاص يدعى "أبيسق" يجري لهما* مراسم مختصرة، ولكن يحرم على أطفال من زيجة كهذه أن يصيروا كهاناً لمدة ثلاثة أجيال.

ويهيئ الوالدان الزواج للشباب وتختار العروس لا لغناها بل لأنها تتحدر من عائلة صابئية ملائمة. والزواج بين أولاد وبنات العم والخالة هو المعتاد، ويفضل ابن وابنة العم على ابن وابنة الخالة. ويجب أن تكون الفتاة تامة الخلقة من الناحية البدنية وبخاصة في العوائل الكهنوتية حيث تعني العاهات الجسدية عدم صلاح للكهنوتية

التي تتطلب عدم وجود لطخة عار من دم غريب أو من خطيئة في الماضي. وبما أن الفتيات غير محجبات ولديهن فرصة كافية لرؤية الخاطبين في هذا المجتمع الضيّق، فمن الطبيعي افتراض وجود صوت لهن في هذه المسألة، ولذلك ليس هناك إلحاح على الفتاة إذا ما رأت في الزيجة المطلوبة شيئاً لا ترغب نفسها فيه.

وحالما يتفق على الزواج يحدد المهر - يدفع لوالد الفتاة - ومتوسط المهر الآن كما يقول أحد الكهان يبلغ من ٢٠-٣٠ ديناراً للغني مع وزن حمصة من الزعفران ويعطي الفقراء مهراً حسب قدرتهم وبالإضافة إلى هذا يهدي الشباب للفتاة ملابس ومجوهرات. وأجور "الكنزفره" والكهان تبلغ حوالي الدينار الواحد فصاعداً (*). وقد شاهدت عدة أعراس وسأصف أحدها مقتبسة بعض التفاصيل من الأعراس الأخرى. كان الزوجان فقيرين فوالد الفتاة الذي كانت له عدة بنات كان ممتناً بأن يقبل مهراً هزيلاً كان كل ما يستطيع الخطيب أن يقدمه، وكان عمر العريس "ر" حوالي الثلاثين عاماً وكان عمر العروس "ط" حوالي الاثنتي عشرة. ومن المعلوم أنه خلال المراسم الدينية لا يذكر الاسم الاعتيادي بل تذكر "الملواشه" - الاسم الفلكي - وكانت "ملواشة" الزوج هي "مهتم برماني" و "ملواشة" الزوجة "شارت بث مدلل" (**). ولم يكن العريس غنياً ليشتري مجوهرات فاكتفى ببعض الزينات وحلقات الزواج الضرورية وشيء من العقيق الأحمر والشذر. وتحدث الأساطير أن "هيبل زيوا" حين تزوج "زهريبل" أعطاها ثوباً مرصعاً بالأحجار الكريمة ووضع في أصابعها الصغيرة الياقوت والزمرد. وأخبرني أحدهم أن الملائكة (ملكي) حين يتزوجون نساءهم السماويات يلبسونهن الجواهر واليواقيت.

وأول تعميد يجب أن يتم في يوم الأحد من الأسبوع وغالباً ما يتم العمادان الأول والثاني في نفس اليوم إلا أن عقد المهر محظور في أيام البنجة. والاحتفال الديني الذي أصفه كان مقسوماً إلى قسمين، فقد تم العماد الأول في يوم الأحد آخر أيام البنجة وتم الثاني في يوم الثلاثاء التالي لأن اليوم الذي يلي البنجة مباشرة هو يوم غير مبارك

(*) ليست هناك حدود مقررة للمهر وإنما يعتمد ذلك على رضا الطرفين وحالتيهما الماليتين وتوهب هذه الحمصة من الزعفران مع قليل من الشنان وشيء رمزي من الفضة للأم أثناء إجراء طقوس الزواج رمزاً لتعهدها الفتاة وتربيتها ويطلق على هذه العملية اسم "حق ربيثه" أي حق التربية ولا تقل الآن أجرة الكهان عن عشرة دنانير.

(**) "مهتم بن مماني" وشارت بنت مدلل.

(مبطل). إن اليوم الذي يختار للزواج يجب أن يكون يوماً ميموناً من الناحية الفلكية كما يجب أن يتأكد الكاهن من أن الفتاة ليست قريبة من وقت الحيض.

وفي يوم الأحد ذاك كنت جالسة في ساحة "المندى"(*) حين قدمت العروس يحيط بها الطبالون والمصفقون وتعلو فوق رأسها الزغاريد؛ ونهضت لأستقبل الحفل وأوسع لي الجمهور طريقاً لتصوير العروس التي كان يدعمها فتاتان اثنتان واحدة عن يمين وأخرى عن يسار. وكان ملتفة بعباءة بيضاء ووجهها مغطى بخمار حريري أخضر، وكانت تسير أمامها، مواجهة لها، فتاة صغيرة تحمل مرآة تنعكس فيها هيئة العروس. ويشار إلى المرآة في الأغاني الشعبية الجميلة التي تغنى أثناء الزفة، وقد كتب لي الشيخ نجم إحدى تلك الأغاني وهي تقول: -

"الهايه ربيثه استارثى
إذْ إدِري لي نور اسقيلو
قاهزيت ابكوّ
انات اشفر مني آن؟"

وترجمتها: -

"يا سيدتي الصغيرة
التي تحمل المرآة من أجلي
هل ترين فيها متنبئة
بأني أكثر نقاوة منها؟"

وكان يسير بجانب العروس طفل يحمل مصباحاً ومعه يسير أولاد كثيرون يحملون صواني فوقها شموع موقدة وإبريقاً من الماء وعدداً من شدات أغصان الآس والرمان الخضر. وترمز أغصان الرمان إلى الحياة والخصب. ويسمى هذا الحفل (زفة).

دخلت الفتاة ومعها الجميع إلى بيت "الكنزفره" لتجتاز اختباراً يجب أن يسبق عماد الأعراس، وهو أن تقوم امرأتان(**) (زوج الكنزفره وأمه عادة) بالتأكد من

(*) بيت العبادة والطقوس.

(**) أو أية امرأة صابئية صالحة يعتمد على خبرتها وخلقها وقد تسببت هذه العادة في حدوث كثير من المشاكل والمتاعب للصابئين لعدم إمكان توفر الخبرة الكافية لدى غير الطبيب في معرفة أنواع البكارة لدى الفتاة ونحن نأمل أن يعتمد الصابئون في المستقبل على الفحص الطبي.

عذرية الفتاة، فإن لم تكن عذراء صمتت المرأتان، وإذا كان العكس أطلقتا الزغاريد. وكان الحكم على "ط" تصاعد صيحات الفرح والزغاريد تعلن الحقيقة. ولو لم تكن كذلك لأجرى لها "الابيسق" مراسم الزواج إذا رضي الزوج بالزواج منها. كانت الغرفة مزدحمة تماماً حين دخلت، وكانت مظلمة إلا من ضياء الشموع والمصباح الدخاني، ولكن النساء اللواتي كن يضربن الدفوف تدافعن ليوسعن لي الطريق لرؤية العروس التي كانت كالتمثال وسط القاعة، وكان بجانبها صوان محملة بالخضرة والشموع، كان المصباح وإبريق الماء على قرب منها؛ وكشفوا لي عن وجه الفتاة لأرى أقراطها الذهبية المرصعة بالشذر وحلقة أنفها المشبكة وقلادتها الذهبية، وخلخالها الفضي والسلاسل التي تزين صدرها وشعرها.

ووصل العريس بنفس الوقت بحلته الجديدة وبرفقة أصحابه إلى ساحة "المندى". والعريس يعامل كما لو كان ملكاً، ويلزم أن يكون له صاحب عن يمين وآخر عن يسار يعرف كل منهما بـ "أمير اليمين وأمير الشمال". ارتدى العريس بمساعدة صاحبيه "الرسته" وأخذ مكانه بين الناس بانتظار التعميد ثم ذهب بدوره إلى النهر وتناول المراسم التطهيرية مع آخرين (*). وحين يتم العمادان في يوم واحد يتناول العريس عماديه بعد عمادي العروس(**) (التعميد هنا يتضمن القربان أيضاً). وهكذا يجري الكهان المعموديات الأربع في وقت واحد وتعطى القرابين بعد ذلك بنفس الأسلوب أي لكلٍ مرتين بالتتالي.؟ وحين يتم عماد العروس تلف بعباءة سوداء (***) فوق "الرسته" وتظل هكذا حزمة سوداء خلال العمادين ولا يجوز لها النطق حتى ولو بكلمة واحدة خلال تلك الفترة وتكون إجاباتها كلها بالإشارة الصامتة (****). ويعينها في هذه الأحوال امرأتان، وقد تكفي واحدة وقد تكون أمها عادة. ولا تذهب الأم معها إلى حافة النهر فقط بل وقد تدخل معها إلى الماء وحين تخرج من الماء وتدور حول "الطريانه" - خوان طيني فوقه وعاء من النار المقدسة مع البخور - وحول النار وتجلس

(*) التعميد دائماً انفرادي ما عدا أيام البنجه .

(**) ليس هذا شرطاً .

(***) ليس من المفروض دينياً لبس العباءة فوق الملابس الدينية سواء كانت سوداء أو ملونة .

(****) يحق للمتعمد أن يتكلم إلا في وقت تناول (البهثه) (الخبز المقدس) .

القرفصاء لتقبل القرابين، تلقى الأم عباءتها حول جسم الفتاة لتسترها وتحفظها من الريح إذا كان الجو بارداً. وعلى العريس والعروس لدى خروجهما من الماء بعد كل عماد أن يدورا حول "الطريانه" ووعاء النار إذا وجد (*) متجهين من الجنوب إلى الغرب ومن الغرب إلى الشمال ومن الشمال إلى الشرق ثم يعودان إلى جنوبي "الطريانه". وبعد انتهاء المعموديات يرتدي كل من العروس والعريس "رسته" جديدة (**) تهيئاً للقسم الثاني من المراسم وتبخر العروس بالبخور.

وفي هذه المناسبة التي أصفها عمدت العروس في اليوم الأول العماد الأول ولم أشاهد العماد الثاني لكل منهما، وكانت الاستعدادات قد اتخذت للعماد الثاني منذ الفجر في بيت العريس، حيث أقيمت المراسم التي تتلو العماد. كنست ساحة الدار ونظفت وحفرت حفر لقوائم كوخ الزواج (***) (انديرونا) بآلة حديدية هي عبارة عن وتد حديدي غير حاد الحافات إذ يجب عدم استعمال الرفش. وقد هيئت جميع الأدواق التي استعملت لإقامة الكوخ أثناء الليل وهكذا لم يستغرق عمل الكوخ طويلاً. والأعمدة (شباب) يجب أن تكون اثني عشر عموداً كل عمود (شبة) عبارة عن قصبتين فقط (قنيه اد نيزه). وتربط كل قصبتين معا بخوصة من سعف النخيل على أن لا تعقد نهايتاها بل تلفان بإتقان وتدسان إلى الداخل. وتكون العوارض الأفقية اثنتي عشرة عارضة أيضاً. والثلاثة السفلى في الجهة الشمالية تقص لتشكل مدخلاً. ويجب أن يكون السقف حسبما أخبرني الكهان مقبباً، إلا أن جميع سقوف ما شاهدته من هذه الأكواخ كانت مستوية. ويلقى القصب فوق السقف دونما عد ثم تلقى فوقه كلة بيضاء (أو شرشف أبيض). وعلى جوانب الكوخ تشاهد أزهار طرية وآس أخضر وأغصان من جميع أنواع الشجر المتيسرة، كما تعلق إضافة إلى ذلك سجاجيد ملونة حول جهات الكوخ (****).

وكان الكوخ في زواج "ط" مزيناً بالورد القرنفلي العطر وبالآس وأوراق البرتقال الطرية التي كان عطرها يكمل عطر الاقحوان والورد.

(*) وجود وعاء النار في الطريانه أثناء عملية التعميد فرض واجب.

(**) يقصد بالجديدة ملابس دينية جديدة أو جافة.

(***) المهم تثبيت القصب في الأرض. وفي الوقت الحاضر وساحات البيوت وقاعاتها مبلطة. يستعمل الصابئون أثافي من الطين مثقوبة تثبت الأعمدة القصبية المطلوبة فيها بدلاً من حفر الأرض.

(****) ليس تعليق السجاجيد شرطاً دينياً وإنما يتخذ ذلك لزينة وللظل.

إلا أن هذه الظليلة الصغيرة الجميلة لم تكن للعروس التي لم تطأ قدماها عتبتها قط ولو أن وكيلها فعل ذلك في الوقت المناسب. كانت العروس تجلس طيلة مراسم الزواج على فراش العرس في غرفة الزواج يحجبها عن الأنظار سرادق من الموزلين الأبيض يتدلى إلى الأرض من حبال صوفية حمراء وخضراء، ولا تتخذ العروس الصابئية سريراً، فمضجعها في العرس هو ذلك الفراش المبسوط على الأرض (*).

جلست أمها بجانبها محتفظة بسلطتها الأمومية إلى اللحظة التي دخل فيها الزوج على عروسه. وبجانب المرأتين المنتظرتين إلى الشمال من مضجع العروس وسرادقها كانت صينية الآس والخضراوات والشموع الموقدة وإبريق الماء والمصباح الذي يصون العروس من قوى الظلام.

لنعد الآن إلى المشهد في الخارج. لقد أقيم في زاوية من زوايا الساحة كوخ من القصب للضيوف من الرجال الذين كانوا يمرحون ويصفقون ويضربون الدفوف ويحتسون القهوة.

وحين دخلت إلى الساحة رشّ عليّ ماء الورد وتصاعد البخور من المجمرة ووضع لي كرسي يواجه "الانديرونا" لكي أشاهد المراسم. تفحصت "الانديرونا" فشاهدت أن قاعتها مغطاة بحصير من القش؛ وقيل لي انه يمكن استعمال البساط والسجادة إذا كانا أبيضين إلا أن "البواري" - حصران القصب - لا يمكن فرشها في كوخ الزواج لأنها كما أوضح أحد الكهان مقدسة. وكان في "الانديرونا" ثماني "طريانات" صغيرة ليست بحجم "الطريانات" الاعتيادية المستعملة في الطقوس وكانت مزينة بدوائر مرسومة ذات صليب يقسمها إلى أربعة أقسام توجد نقطة في كل قسم منها وهي معدة للزواج فقط.

وصل كاهنان واثنان من المساعدين و "كنزفره" حاملين معهم الأدوات والأجهزة الضرورية. وكلما يستعمل هنا يجب أن يغسل في النهر أولاً. والأغذية الطقسية التي سنصفها عما قريب في حديثنا عن "زدقه بريخا" يجب أن تكون قد هيئت من قبل الكهان قبل وصولهم. وقد جيء بالطعام على "طريانه" كبيرة مغطاة بقطة من الخام الأبيض الجديد (كداده) طولها حوالي ذراعين بينما كانت "كداده" أخرى بنفس الحجم تلف إبريقاً للماء ذا صنبور. ويجب أن لا يكون الإبريق من طين، وقد كان في السابق كما يقولون من ذهب أو فضة. والنحاس يعوض عن ذلك في الوقت الحاضر.

(*) لا يجوز عقد المهر إلا على فراش فوق الأرض وبعد ذلك يجوز للعروسين الانتقال إلى فراش وثير فوق سرير حسب رغبتهما .

ويجب أن يكون مساعد الكاهن "شكنده" دون سن البلوغ ومن أبناء كاهن (*) أو "كنزفره" وكان أحدهما قد جلب في أول المراسم في سلة معه ملابس العروس مخلوطة بملابس العريس وحين دنا من باب الكوخ قرع المدخل بالسلة ثلاث مرات بينما قام "الكنزفره" يقرعها بصولجانه (مركّنه) بنفس الوقت ولكن في القسم الأعلى من الباب وهو ينطق ببركة الحياة على الزوجين. بعد ذلك أعيدت السلة إلى البيت. وأخذ الكهان مواقفهم في الجهة اليمنى من "الانديرونا" مواجهين الشمال وكان "الكنزفره" في أقصى اليمين، وقاموا بتفقد "الرسته" قطعة قطعة بدمدمة سريعة، بينما وقف العريس بجانبهم ينتظر، وحالما انتهوا فتش "الكنزفره" ملابس العريس ليرى ما إذا كانت "الهميانه" قد عقدت بشكل صحيح وأن كل جزء في ملابسه بوضعه المطلوب. بعد ذلك ألبسه "السكين دوله" واضعاً الحلقة الحديدية في خنصره الأيمن والسكين الحديد في زناره. وعلى العريس أن يلبس "السكين دوله" ليل نهار إلى يوم عماده وتطهره الذي سيتم في يوم أحد بعد سبعة أيام على الأقل من دخوله على عروسه (**).

وخلال هذه المدة التي تسبق التطهر حين يكون هو وعروسه، غير نظيفين فإنهما يكونان معرضين إلى هجوم الشياطين والجنيات (ليلث). وتوضع نهاية طبرشيل (نصيفه) الكنزفره في يد العريس اليمنى بينما ينطق (الكنزفره) بهذه الكلمات: -

"اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليك يا قابين شيشلام بن.... لم يذكر لي الكهنة اسم أب شيشلام إلى أن تعهدت بعدم إفشاء سر هذا الاسم؛ ولم يكن هناك شيء خطير بشأنه فهو اسم من أسماء الحياة العظمى. وينطق قابين قافين أيضاً وهو يعني عريساً. "وشيشلام ربه" هو نموذج مثالي للعرسان. إن لجميع "الملكى والاثرى" كما يقولون ما يقابلهم من الإناث أو الزوجات يدعين "انانى" وإن قواعد الاقتران الغامض للذكور والإناث هناك تنعكس بكلتيها على الزواج البشري.

أرسل "الكنزفره" أحد الكهان إلى العروس ليتفقد "الرسته" وليسألها رسمياً أمام الشهود ما إذا كانت راغبة بالزواج من الرجل ثم ليضع في خنصرها خاتمين يكون ذو

(*) يجوز أن يقوم بهذه المهمة أي صبي أو بالغ من بين أفراد الصابئين المؤهلين دينيا. وليست الأعمار شرطاً.

(**) تصاحب السكين العريس مدة سبعة أيام وليس شرطاً وضعها في اصبعه دائماً بل له أن يضعها في جيبه أو تحت وسادته أو بجانب فراش عرسه.

الحجر الأحمر في الخنصر الأيمن وذو الحجر الأخضر الأيسر. وحين لبست العروس الخاتمين صب الكاهن الماء على يديها من الإبريق وقدم لها اللوز والزبيب لتأكل وماء من الإبريق لتشرب ثم بعد أن قرأ: - "اسوثه نهفيلخ" أي مغتفرة خطاياك. التحق بالآخرين في "الانديرونا" وأعاد فعل ما قام به.

وعلى عتبة الكوخ كان قد وضع طاق رحى علوي وحين بلغ "الكنزفره" في قراءته من كتاب في يده إلى دعاء "قال قاله أنَتْ" كسر القندلفت "شكنده" الواقف عن يمينه على طاق الرحى مشربة فخارية (تنكه) كان ممسكاً بها. وحين أنها "الكنزفره" الدعاء دخل العريس "الانديرونه" وهو لا يزال ممسكاً بطبرشيل "الكنزفره" وتبعه الآخرون وأخذوا مجالسهم فوق الحصير في جوانب الكوخ وكان العريس جالساً عن يسار "الكنزفره". وضعت "الطريانات" الثماني فوق الأرض ووضعت "الطريانه" الكبيرة وعليها الطعام المقدس (طبوثه) ملفوفة بـ "الكَداده" إلى الجنوب منها وأمام "الكنزفره". وكانت كل "طريانه" صغيرة موضوعة فوق حلقة من الطين (كنكانه). كما كان بجانب "الكنزفره" إناء مد ذراعاه عاريتين فوقه بينما صب عليهما أحد الكهان الماء من الإبريق. بعد ذلك قام "الكنزفره" برش الماء من الإبريق ثلاث مرات داخل الكوخ وهو يعيد ما قرأه سابقاً على العريس ثم فتحت "الكداده" التي كانت تلف "الطريانه" الكبيرة ووضع شيء من كل نوع من الطعام المقدس فيها في "الطريانات" الثماني الصغيرة وقام "الكنزفره" أيضاً برشها جميعاً بالملح والسمسم. وقد قيل لي إن الملح كان يمثل قوة وخصب العريس. وكانت الصلوات والتبركات لا تنقطع.

احضرت "٢٦" من الأرغفة المستديرة وهي أصغر حجماً من رغيف الخبز الاعتيادي، على صينية مطهرة ووزعت بإحكام بحيث وضع "الكنزفره" كل ثلاثة أرغفة فوق "طريانه" إلا أنه وضع بين إحداها و"الطريانه" الكبيرة رغيفين الواحد فوق الآخر وتسمى هذه الأرغفة "فطيرى" تخبزها أسرة العريس بينما يقوم "الكنزفره" نفسه بتحضير الـ "صا" ويضعه مع غيره من الطعام المقدس فوق "الطريانه" الكبيرة الملفوفة بـ"الكداده". و (الصا) عبارة عن خبز ملفوف على هيئة حرز بحيث يمكن دس كسرات من الطعام المقدس فيه.

دخل إلى الكوخ وكيل العروس (أب) متخطياً شظايا المشربة وجلس مع الآخرين

بعد أن سلم قائلاً: "اسوثه نهويلخون" ـ العافية لكم .. وسأل "الكنزفره" العريس ما إذا كان راغباً بزواج الفتاة، ثم حثه بجدية على تطهير نفسه من الخطايا وقد بدأ الخطاب هكذا: (يا مهتم برمماني..) ثم وجه بعد ذلك خطابه إلى "الأب" وسأله كما لو كان يخاطب الفتاة (*): (يا شارت بث مدلل هل تقبلين مهتم برمماني زوجا) وفي حالة العريس ألقي السؤال مرتين وأجيب عليه مرتين أما في حالة العروس فألقي السؤال ثلاث مرات إشارة إلى أن الرجل أكثر رغبة بالزواج من الفتاة وكان أقارب الطرفين جالسين قريباً من باب الكوخ (انديرونا).

زدقه بريخه الزواج (القربان)

كانت الخطوة التالية الوجبة الطقسية من أجل الميت (**) فالمفروض أن تشارك أرواح الأسلاف المتوفين أقرباءهم في المراسم، ويعني ذلك استمرارية العنصر ومباركة الزوجين الشابين. (دعاء الزردشتيين فرا فاشى أثناء الزواج).

وكان الطعام الذي هيأه الكهان هو: ـ

جوز وبصل وطرشانه ـ زبيب ـ وتمر ولوز ـ يسمى عادة أموزا ـ ولكن في حفلات الزواج يسمى "شغده". وسمك مشوي بالنار في حطب القصب المطهر (***) و "صا" وهي رقاقة دقيقة من الخبز مستديرة كشكل الحرز، وملح وقنينة مملوءة بالخمر (همره). والخمر هنا عبارة عن ماء وضع فيه زبيب أو عنب أبيض ـ إذا كان متيسراً ـ وتمر وسحقا بالإصبع وكان الناتج سائلاً بني اللون قليلاً. ويجب على "الكنزفره" تحضير هذا الخمر في نفس اليوم وإلا أصبح غير صالح للاستعمال.

جلبت أيضاً وصُفّت حول "الطريانه" الكبيرة كاسات نحاسية صغيرة "كبثه" للشرب، وأنواع من الطعام المقدس والقنينة وطهرت يد وذراع العريس بماء الإبريق. وكان يجلس ممدود اليد مبتلها. وضع "الكنزفره" في يد العريس طرف "الصا" وأمسك هو بالطرف الآخر متفوها بهذه الكلمات: ـ "قل علي اسم الحياة واسم مندد هيي يا

(*) الصحيح هو أن الوكيل يخاطب باعتباره (ابا) للفتاة فيقال له يا (ابا شارت بث مدلل).

(**) القربان هنا تعبير عن وليمة عرس لا عن طقسية من أجل الميت.

(***) المهم في هذه العملية هو شي السمك بأي وقود كان.

قابين ششلام"، ثم قسمت "الصا" بينهما إلى قسمين، واحد للعروس والآخر للعريس ووضع "الكنزفره" القسمين فوق "الطريانه" الكبيرة بعد أن أدخل فيهما شيئاً قليلاً من كل نوع من أنواع الطعام المقدس، فتات من هذا، وبذرة من ذاك وبضع حبات من اللوز والزبيب. وبعد أن فعل ذلك أعطى العريس القسم الخاص به مملوءاً بالطعام المقدس وبكثير من اللوز والزبيب فالتقمه العريس مرة واحدة. ثم جاء دور العروس. رفع الأب وكيل الزوجة الإبريق ونشر طرفاً من الخام الأبيض (كداده) الذي كان يغطي راحة يده اليمنى وتسلم فيه حصة العروس من "الصا" والطعام المقدس. واضطر "الكنزفره" بعد أن امتلأت كلتا يدي "الأب" أن يضع الرغيفين اللذين كان الواحد فوق الآخر ما بين "الطريانه الكبيرة" و إحدى "الطريانات" الصغيرة، تحت ابط الأب. غادر الأب الكوخ وأسقط وهو يمر في ساحة الدار الرغيفين على عتبة غرفة الزيجة قبل أن يخرج؛ وعندما دخل أمر العروس أن تمد بيدها وذراعها خارج الكلة وصب عليها الماء من الإبريق وأعطاها حصتها من "الصا" لتأكل محتفظاً ببعض الزبيب لتأكله بعد ذلك وهو يقول لها "هذه المرة بدور العريس": "كلي هذا ولا تأكلي إلا مني". ومعنى هذه العبارة أن العريس وحده الآن هو المسؤول عن زوجه وأنه يطلب الإخلاص منها.

وحين غادر الأب (الانديرونا) شرع الذين كانوا هناك بأكل الطعام من فوق "الطريانات"، ووزع قليل منه على الأقربين في الخارج، ونثرت أوراق الورد والملح فوق الطعام ثم رمي كل ما تبقى في نهاية الاحتفال في النهر. تلت ذلك رموز ساحرة أخاذة؛ فللدليل على طهارة المرأة جلب صبيان صابوناً ومشطاً وشناناً (نبات قلوي يستعمل لغسل الملابس يسمونه قبل تهيئته، رامث) وأعطياه إلى "الكنزفره" الذي قام بإمراره ثلاث مرات فوق الموائد وهو يقول: - "محبب هو العطر أيها الصلاح النافع". ووضعت ثلاث قطع من الفضة في يد العريس لتجلب له المستقبل السعيد، ثم جيء بعد ذلك بسلة ملابس رجالية ونسائية تخص الزوجين مغطاة بخمار الزوجة الأخضر الذي تكون قد أزاحته الآن (يجب أن يكون بين الملابس ثوب أخضر هو هدية العريس للعروس). وضعت السلة أمام "الكنزفره" والعريس وقام "الكنزفره" بتلاوة ثلاثة أدعية فوق السلة (تتلى تسعة أدعية إذا كان العريس كاهناً) ثم رفع الخمار الأخضر وزنر به العريس.

جلس العريس على "كنكانه" وظهره يواجه "الكنزفره" حيث ألبسه هذا إكليلاً من

الآس، وهذا لا يشبه الإكليل الاعتيادي لأنه يظفر مع خيوط زنار بيضاء ولا ترميه العروس أو العريس في نهاية الاحتفال في النهر بل يحتفظان بهما في مكان ما بعناية. وقبل أن يضع "الكنزفره" الإكليل فوق رأس العريس يعطره بالزعفران ممزوجاً بالماء.

جلس "الأب" الذي عاد من بيت العروس على "كنكانه" أخرى مواجهاً العريس بحيث يكون العريس متجهاً إلى الشمال و"الأب" وهو يمثل العروس، متجهاً إلى الجنوب. ووضع خاماً أبيض فوق ذراع العريس الأيمن (وكان يمسك بطبرشيل الكنزفره بيده اليسرى) ووضع "الأب" في يده اليمنى المغطاة كاسة (كبثه) وكان يحمل في يده المخبأة تحت الطرف الآخر من "الكَداده" قنينة صغيرة من الخمر (همره) لصبه في كاسة العريس. قرأ "الكنزفره" صلوات الخمر وعددها سبع وأمر الأب وهو يقرأ سبع مرات بقوله: ـ "إشقِ" [اسق] وفي كل مرة كان الأب يصب قليلاً من الخمر في كاسة العريس وكان العريس يشرب.

وحالما انتهت صلوات الخمر شرع الواقفون بالتصفيق الموزون وهم ينشدون إحدى أغنيات الزواج: ـ (يا طالي زيوا) (*) ترك "الكنزفره" و "الأب" والعريس وهو لا يزال قابضاً على طرف الطبرشيل، الكوخ وتقدموا نحو عتبة غرفة العريس حيث وضع طاق الرحى السفلى وكسرت عليه مشربة أخرى من قبل القندلفت (شكنده) قبل أن تدخل الجماعة. جلس العريس على الأرض أمام الكلة وظهره إلى ظهر العروس واقترب "الكنزفره" من الزوجين بعد أن قام بتلاوة بعض الأدعية ودق برفق رأسيهما الواحد بالآخر ثلاث مرات بينما أخذ الواقفون دون الالتفات للصلوات بالرقص والغناء وإطلاق الزغاريد.

وكانت أم الفتاة لا تزال تجلس بجانب ابنتها فوق فراش العرس.

وضع أخيراً إكليل العروس على رأسها معطراً بالزعفران، وسقاها الأب خمراً لتشرب سبع مرات، ونثر فوق الكلة أوراق الورد ومسحوق السكر واللوز وأشعل البخور في المجمرة بينما استأنفت النساء إطلاق الزغاريد.

استمر "الكنزفره" وعيناه مثبتتان في كتابه على القراءة أو بالأحرى على ترتيل أغاني الزواج من ديوان "القلسته". وقد ترجم لي أحدهم إحداها وسأعتمد تفسيره ما

(*) يا أشعة النور .

دام ينقصني النص. تقول الأغنية إن العروس جالسة في ظل نخلة تروح على سيدها وتقول: لن أوقظه إذا كان نائماً، وهكذا تنتهي؛ وهذه الأغاني موزونة ومكتوبة بشكل غنائي وتقرب لغتها من لغة "الرطنه" (اللغة العامية الصابئية).

حث "الكنزفره" الزوج على أن يحافظ على زوجه وأن لا يتركها فريسة للحاجة وأن يربي أطفاله على العقيدة الصحيحة.

بعد ذلك غادر الكهان والعريس غرفة العرس والعريس لا يزال ممسكاً بالطبرشيل، وعادوا إلى الكوخ، حيث استمرت القراءات النهائية فوق رأس العريس وهو يجلس فوق الحلقة الطينية جلسة غير مريحة. وأخيراً قام "الكنزفره" بإمرار صولجانه (مركَنه) فوق رأس العريس ثلاث مرات (وبهذا أصبح غير طاهر وأرخى قبضته من الطبرشيل) وانتهت بذلك مراسيم الزواج.

ولا يمكن للعريس أن يقرب زوجه إلا في ساعة فلكية ملائمة، و "الكنزفره" يكشف طالع الزوجين فإذا ظهر أن الساعة غير ملائمة يقوم بحسابات أخرى في الساعات الست التالية.

وبانتهاء حفلة الزواج يمنع التماس مع الزوجين كما يجب على العروس أن تعزل نفسها عن الآخرين كما هي الحال في الولادة. وعليها أن لا تخرج من البيت إلا حين تذهب هي وزوجها للعماد مصطحبين أدواتهما البيتية والأواني التي استعملاها. ويجب أن تقام "زدقه بريخه" باسم الزوجين الشابين حالما تتم طهارتهما.

إن التفاصيل والمراسم تختلف قليلاً في حفلات الزواج المتعددة التي شاهدتها غير أن ما ذكرت آنفاً يغطي جميع الخواص الضرورية المطلوبة لهذه المراسم.

الفصل السادس
الخليقة والتنجيم والأعياد

يأتي ذكر تكوين العالم لا أقل من سبع مرات في كتاب "كنزه ربه" مع بعض الاختلاف في هذا الذكر. فالكائن الأعلى يسمى بأسماء متنوعة فهو ملك النور "ملكه دنهورا" ورب العظمة (مار ادربوثا) والروح العظمى (مانه ربه [١]). وهو الكائن الذي انبعثت منه الحياة الأولى ثم الحياة الثانية. وفي أحد الأقسام يظهر الكائن الأعلى باسم "الحياة العظمى" وهو يخلق "مانه" و "بيره ربه" - الفاكهة العظمى - ... فهل إن هذه الأسماء كنى والقاب أم أنها تصورات منفردة؟ معروض ذلك للبحث. ونرى في أحد الأقسام أن "الحي" في عالم الأنوار يخلق أول ما يخلق الماء ومن الماء والنور ومن النور الضياء ومن الضياء الأرواح (اثرى) [٢] ووظيفتها السيطرة على الظواهر الطبيعية.

يوجد بالمثل في عملية التكوين مساعدون أو وكلاؤهم: "هيبل زيوا" [٣] و"اباثر"[٤] و "بثاهيل" [٥]. وتختلف أدوارهم وصفاتهم. ففي القسم الأول يظهر جبريل كوكيل وحيداً، وفي القسم الثاني ينشئ "هيبل زيوا" عالم النور إلا أن "بثاهيل" يقوم بعملية خلق العالم الطبيعي الحقيقي. وفي القسم الثالث يطابق "بثاهيل" "جبريل" ويصنع العالم بمساعدة الكواكب إلا أنه لا يقدر على خلق الروح في الإنسان. أما من يضع الروح في آدم فهو "أداكاس زيوا" أو "آدم كسيا" أو "منداد هيي". وفي القسم العاشر يظهر "بثاهيل"، الخالق الحقيقي - ويسمى هنا ابن منداد هيي أما "اباثر" فيجلب الروح "مانه كسيه" لآدم، لأن الذي خلقه "بثاهيل" لا يستطيع أن ينتصب. وفي القسم الثالث عشر كما في "ديوان اباثر"، الذي تجد فيه قصة الخليقة أيضاً، يأمر "اباثر"، "ابثاهيل" بخلق العالم، وحين يفشل يدعى "هيبل زيوا" ليتم له الواجب. وهنا يعامل "هيبل زيوا" و "اباثر" ككائنين مختلفين. ولا يظهر أي من هذه الشخوص في القسم الخامس عشر.

وتجد في حساب الصابئين لعمر العالم وللحقب الزمنية تناقضاً أيضاً. ففي أحد حساباتهم تجد أن "الملكى" حسبوا وجود العالم بالحقب والعصور: "فمن آدم إلى نهاية العالم ٤٨٠,٠٠٠ سنة، وتحكم كل حقبة من هذه الحقب إحدى علامات البروج. فالحمل (انبره) فترته ١٢٠٠٠ سنة وفترة الثور (تورا) ١١٠٠٠ سنة وفترة الميزان (صلمى أو صيلميا) ١٠٠٠٠ سنة. ويستمر الحساب على هذا المنوال [٦]. وفيما يلي علامات البروج وقيمتها العددية: -

البرج	القيمة العددية
انبارا (السنة الجديدة) الحمل أو الكبش	١
تورا (الثور)	٢
صيلميا (الميزان)	٣
سرْطانه (السرطان)	٤
أريه (الأسد)	٥
شُمبْلتا (السنبلة)	٦
قينه (القصب)	٧
أرْقبه (العقرب)	٨
هطيْه (الفرس)	٩
كَديّه (الجدي)	١٠
دوله (الجمل أو الدلو)	١١
نُونَه (السمك)	١٢

ويحكم أحد الكواكب في كل يوم من الأيام. ويقسم اليوم إلى قسمين ليل ونهار وكل قسم باثنتي عشرة ساعة. كما يتحكم ملائكة (ملكى) معينون بالأيام، ومن هنا تكون لهم صفات فلكية؛ فيوم الأحد مثلاً الذي تتحكم به الشمس (شامش) يرتبط أيضاً بتجسيد "هبشبه" [٧] أول أيام الأسبوع وهو ملك يطابق أحياناً بالأرواح المنقذة، فهو "ينقل الأرواح الطاهرة في فلكة إلى "اباثر" وإلى عالم النور. وتكون بوابة عالم النور مفتوحة في ذلك اليوم، و "هبشبه" "هوشابه" يأخذ الأرواح إلى وسط عالم الأنوار".

وقد قيل لي بأن "هوشابه" يهبط إلى المطهر (مطراثه) في يوم الأحد ثم يعود بسبع أرواح "مندائية" إلى عالم النور. إن "عجلات النور تدور في هذا اليوم بسهولة أكثر وهذا يساعد الأرواح في صعودها". وهذه القصة تقوم على أساس صلاة الأحد وهي بمفهوم دوران عجلة.

إن الكتابات المحفوظة لدى الكهان لا تصف الجوانب الفلكية للأيام يوماً يوماً فقط، بل وساعة ساعة، بحيث يمكن تدبير شؤون الحياة بنجاح. استمع إلى بعضهم يقول: ـ

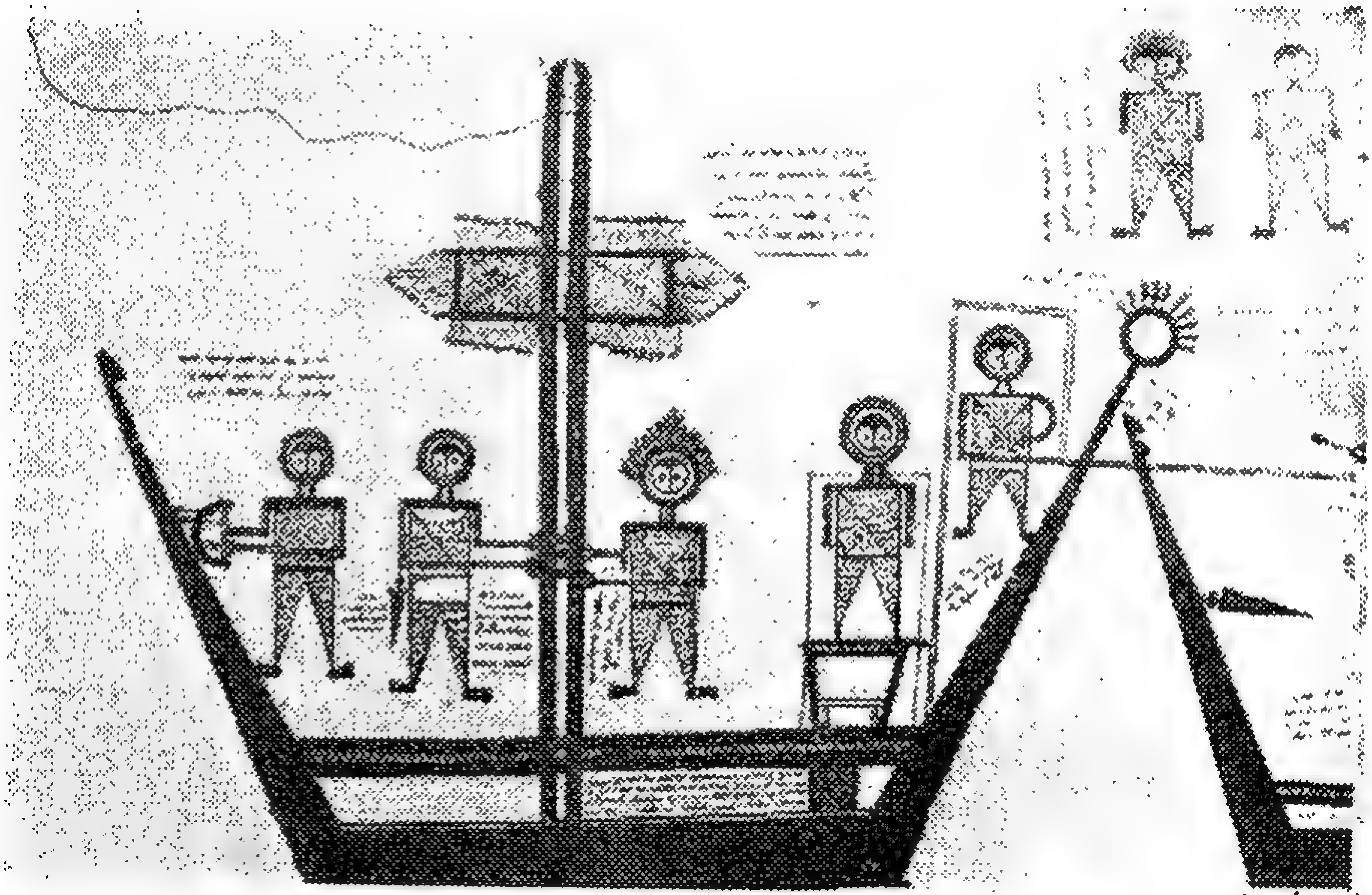
"يوم الأحد تعود الساعة الأولى إلى "شامش" وهي ساعة ملائمة (شبير) للشروع ببناء بيت جديد وللسفر ولارتداء ملابس جديدة وأكل الخبز ومقابلة الملوك والحكام ولشرب الشراب وللبيع والشراء. وتعود الساعة الثانية إلى الزهرة (ليبات) وعليك فيها أن تمكث في مدينتك وأن تكون مع زوجك وأن تأكل خبزاً جديداً وتركب الخيل وتستشير الأطباء الخ...

وليست كل ساعات يوم الأحد صالحة ففي الساعة السادسة ليلاً من يوم الأحد مثلاً يمكن أن يقع مسافر في قبضة اللصوص لأن مارس (نيرغ) يتحكم في تلك الساعة بالرغم من أن الصورة العامة ليوم الأحد مشرقة. ويوم الاثنين (ترين هبشبه) يتحكم به القمر (سين). ويتحكم بيوم الثلاثاء (كلاثه هبشبه) مارس (نيرغ)، ويوم الأربعاء (اربه هبشبه) يتحكم به "انبو". ويتحكم يوم الخميس "همشه هبشبه" "بيل"؛ ويتحكم بالخميس أيضاً في الفترة من الصباح حتى ظهر الجمعة "ملكه زيوا" حيث تكون السلطة بعد ذلك للزهرة. والجمعة (يوم درهاطى) هو يوم الزهرة، ويوم السبت (يوم ادشفته) هو يوم "كيوان".

والمفروض فيما بعد الظهر من يوم الجمعة وليلته أن يكونا أوقات نحس وتحت نفوذ ملك الظلام بصورة عامة. وبالرغم من اعتبار كتاب "كنزه ربه" الكواكب [٨] كائنات مضرة للجنس البشري فإن الفكر الصابئي المعاصر والتعزيم تعزو لبعضها منافع وللبعض الآخر اضراراً.

فالشمس (شامش) [٩] الذي يسير كسائر الأرواح الفلكية في دورته عبر الفلك (انظر الشكل) كوكب ودي؛ واعتباره قوة للخير لا للشر واضح على الأغلب في كتب

الصابئين. وأكثر من ذلك فلدى الصابئين سنة شمسية وأعداد شمسية مقدسة. ويدخل قرص الشمس في رسم الحروف الأبجدية (انظر الفصل ١٤) ويظهر "شامش" مطابقاً لـ "ياور زيوا"، والصلوات له ذات صفة شمسية. والتقاليد تعين له بحارة من سبعة "اثرى" نورانيين ولو أن الصورة في ديوان "اباثر" لا تحتوي إلا على أربعة شخوص يقفون بجانب "شامش" في زورق الشمس. ويعطي الصابئون أسماء مختلفة لهؤلاء البحارة وأنا أميل إلى الاعتقاد بأنهم كانوا بالأصل اثني عشر يمثلون ساعات النهار الاثنتي عشرة. وقد أخبرني أحد الكهان بأن أسماءهم هي: ـ "زهير وزهرون وبهير وبهرون وتار وتاروان وار وسفيان ورابيه وطاليه". وكان الشك ظاهراً على "الكنزفره" حين أعطاني قائمته وكانت كما يلي: ـ "سام زيوه وادوناى برشامش وليوات (ليبات) وأسماؤها الأخرى هي سيمات هيي، وكانات وأزلات وأنهر وسمره و ازفار".



فلك الشمس وتشاهد « ليبات » في الاعلى الى اليمين

وفيما يلي اقتطف قول "يلوفه" (*) من عائلة مثقفة ثقافة كهنوتية حيث قال: إن ضياء راية الشمس يأتي من الأرواح النورانية (اثرى) الأربعة في النجم القطبي:

"من الأربعة هؤلاء تأتي قوة وضياء الشمس، وهكذا فالشمس تستمد ضوءها وقوتها من "ملكه زيوا" وتماماً كما تعكس المرآة الصورة، تعكس الشمس "ملكه زيوا". و"شامش" سيد جميع ملائكة الدنيا المادية. وتستطيع الروح النقية أن تسمع صلواته، فهو يصلي ثلاث مرات يومياً ويتلو ما مجموعه (٣٠٠) دعاء (بوثه) بينما تصلي النجوم الشمالية (اثنتي عشرة) صلاة، وتصلي سائر النجوم سبع صلوات يومياً.

ومع شامش عشر أرواح للقوة والإشراق وهي ترى ما يصنع كل واحد في العالم ولا يغيب عن نواظرها شيء. ويركب مع "شامش" في زورقه ثلاثة آخرون أحدهم يمثل الظلام والاثنان الآخران نورانيان هما "سام مانا" و "سميرا". وبوسع حديد البصر و"الناصورائي" أن يرى ذلك أحياناً - أن يرى أحدهم وهو في فلك الشمس ممسكاً بالعلم (درفشه) المضيء تحيطه ثلاث دوائر ضوئية. وملك الظلام الذي يكون مع الشمس مسؤول عن الضرر الذي تحدثه أشعة الشمس أحياناً ويسمى "ادوناي" ومن عينيه تندلع أشعة تلفح وتحرق ويسبب تطلعه الزوابع الهوائية".

غير أن المشع في "شامش" هو العلم (درفشه) الذي يرسل أشعة نافعة ويهب النور والحياة. وقد يفلح ملك الظلام أحياناً بوضع شيء ما أمام العلم وهذا ما يسبب الكسوف. ويعمل الملكان "سام مانا" و "سميرا" على دفع النتائج الضارة لملك الظلام.

وتسمى الأرواح "اثرى" التي مع الشمس زهير وزهرون وبهير وبهرون وسار وسروان وتار وتروان ورابيا وطاليا. ولا يعمل هؤلاء مع الشمس فقط بل ويقدمون إلى القمر أيضاً. فهم يكونون مع القمر جميعاً في الليلة الرابعة عشرة، والضياء الذي يمنحونه له هو إشراق "ملكه دنهورا" وليس إشراق "ملكه زيوا" فضياء هذا الأخير يشابه ضياء الشمس فوق الأفق عند الظهيرة. وهم يقدمون إلى القمر بالتدريج ويغادرونه بالتدريج أيضاً وحين يغادره آخرهم يكون لملك الظلام (ملكه دهشوخا) وللجن سلطان لإلحاق الأذى.

"وللشمس جانب انثوي ليس بزوجة، بل متمم وشبيه (دموثه). إنها أم جميع الملائكة (ملكى) وأقرب الشبه بالأنثى، وحسبما أعتقد فإن الشمس في شكلها هذا (الشكل الأنثوي) تابعة إلى "ملكه زيوا" ومنها ينبثق العالم واسمها - سيمات هيي -".

(*) يلوفه تعني صابئياً مثقفاً ثقافة دينية بلا درجة كهنوتية .

ويظهر القمر (سين) باعتباره ذا تأثير منحوس نوعاً ما يقول اليلوفا: ـ

"إن وجه القمر (سين) يشبه وجه قطة، وهو حيواني المظهر أسوده، بينما يشبه وجه الشمس (شامش) عجلة من نور. ويستقل السفينة مع القمر ملك الظلام أيضاً وهو يجر الناس إلى ما هو أرضي بليد، نحو الشر والظلمة. إنه يفعل ذلك ما ينبغي له، بالرغم من أنه يعبد الله الذي خلقه، إذ لا بد أن يكون هناك ظلام ونور وليل ونهار. لقد أمره بذلك "رب العظمة" الذي له آلاف الأسماء والذي خلق جميع الكائنات، مرئية وغير مرئية في هذا الكون المخلوق.

إن الأرواح النورانية في القمر تحول بينه هو وملك الظلام،وبين تضليل أبناء البشر، فبتأثير هذين الاثنين يأتي الناس بأعمال معيبة يخجلون من الاتيان بها نهاراً. ولولا التأثير المعاكس لأولئك العشرة (اثرى) لاختفى الحس الخلقي لدى الناس. غير أن ملك الظلام يعجز من أن يؤذي رجلاً يسيطر على نفسه وله إيمان ثابت. فيجب على المرء أن لا يخامره الشك وأن يكون ذا إيمان وطهارة متينين إذ بهذا يشاهد "الملكى" ويقدر على الاتصال بـ "شامش" وعليه ألا يقول: ـ "لا يوجد بل يوجد؛ فالمرء حين يقول إن الله غير موجود فهو واقع تحت سيطرة ملك الظلام بصورة مطلقة ومن الخطر مجالسة ومصاحبة مثل هذا الشخص".

وفي كتاب "ديوان اباثر" تظهر دفة زورق القمر مزينة بالأغصان المورقة (انظر الشكل) غير أن القمر الذي يعتبر مسؤولاً عن الاجهاض والعاهات هو نفسه مرسوم بشكل مشوهٍ.

وينظر للزهرة (ليبات أودلبات) نظرة أكثر وداً. وصيغة الاسم غريبة فالصيغة السومرية ـ البابلية "دل ـ بات" كما يرى بالس Pallis (دراسات مندائية ص٣٦) كانت مهملة في الفترة التي جمعت فيها المخطوطات الصابئية. وهو يظن بأن النساخين حين استنسخوا الوثائق الأولى اعتبروا "الدال" أداة إضافة وليست من أصل الاسم، ثم حذفت نهائياً لعدم ضرورتها. وتأتي في كتاب "كنزه ربه" فقرة تصف مطهراً (مطراثه) فيه أولئك الذين يذهبون إلى بيت "تموز" ـ أدونيس ـ حيث يقيمون هنالك ثمانية وعشرين يوماً "يجزرون الأغنام ويمزجون الكؤوس ويعملون الخبز ويندبون في بيت دلبات". وهناك إشارات أخرى في "الكنزه" باسم "دلبات".

والزورق الفلكي الصغير خلف زورق "شامش" مباشرة في تصاوير "ديوان اباثر" يعود كما يقال إلى "ليبات" وتحت أحد الشخوص فوقه مكتوب: "هذه شبيهة ليبات وهي جالسة فوق جبل شامش ولها سبعة أسماء". وكثيراً ما تذكر "ليبات" في عمل الرقى، ووظيفتها الخاصة أن تساعد في شؤون الحب والتناسل وتنبئ عن المجهول. أما عن علاقتها بـ "زهريل" زوج "هيبل زيوا" المسؤولة عن المحافظة عن الوالدات من النساء فلا ينظر إليها بمقت.

وينظر الأتقياء من الصابئين إلى عمل الرقى باسمها، نظرة تجهم واستنكار، ومع ذلك فتعويذة الزهرة التي أملكها قد كتبها لي أحد الكهان. لقد طلب إلى "ليبات" أن "تجعل وجهي متألقاً جميلاً، وليكن المتضرع والمحبوب متأججين بالرغبة، وأن يكون قلباهما مفعمين بالحب الأعمى وبالرغبة الجامحة؛ سوف لا يأكلان ولا يشربان حتى يمتلك أحدهما الآخر".

ومارس (نيرغ) هو رب السحاب والرعد الذي "يصنع المطر ويسحب بالاشتراك مع "شامش" الماء من الأرض والسماء. والاسم "نيرغ" مشتق من اسم الإله البابلي "نيرغ[١٠] – آل". ويرى "بالس" (دراسات مندائية ص٣٦) بأن النساخين حذفوا "آل" أو إيل" لأن ذلك نهاية تلحق عادة بمن أصلهم إلهي. والصابئون ينظرون إلى "نيرغ" كملك صفته الحرب وسجيته حب الخصام. وجوبيتر (المشتري) - بل أوبيل - نادراً ما يذكر ما عدا في التعويذ عن شياطين المرض أمثال حسد العين (بشره أد أينه). ومن المحتمل أن واجباته قد تولاها "ياور زيوا" و "هيبل زيوا" و "ملكه زيوا".

وعطارد "أنبو" أو "أنوو" هو رب الكتابة والكتب ورب الحكمة والمعرفة. ولا يظهر زحل (كيوان) إلا قليلاً في الرقى ما عدا الدواوين الطلسمية حيث تكتب "القماهه" باسمه لتشفى من الجنون. ولكل ساعة ولكل شهر برج أو بيت فلكي، ويقسم اليوم كما ذكرنا سالفاً إلى قسمين كل قسم باثنتي عشرة ساعة للنهار ومثلها لليل. وهذا يوصلني إلى مسألة الأسماء التي تعتمد على قيمة البروج العددية كما مر سالفاً.

ولكل صابئي اسمان، اسم فلكي (ملواشه) واسم دنيوي. والأخير في العادة اسم عربي يستعمل بالحاجات اليومية أما الاسم الأول فهو اسم الشخص الحقيقي والروحي ويستعمل في جميع المناسبات الدينية والطقسية. وينسب هذا الاسم الروحي إلى الأم عوضاً عن الأب موحياً إلى فترة كانت فيها السيادة للانثى.

والاسم الديني ذو أهمية عظمى، فلو حدث أن غرق أحدهم أو احترق ولم يعثر على جثته يفتش عن شخص حي تشبه أحواله (الروحية) على قدر الإمكان، أحوال الفقيد ويحمل اسماً يقع ضمن نفس دائرة النفوذ الفلكية ليقوم بتمثيل الفقيد حين إجراء الصدقة المباركة (زدقه بريخا) التي يكفر بموجبها عن نقص في طقوس الموت والدفن. كما أن الشخص المختار لينوب عن طفل عاجز بذاته عن الإجابة في عملية التعميد يلزم أن تكون له ظروف فلكية مشابهة لظروف الطفل وبهذا يكون اسمه واقعاً في نفس المرتبة من الأسماء.

ولكل "ملواشه" قيمة عددية عرقية وليس للحروف قيمة عددية كما هي الحال في الحروف العبرية والسريانية والعربية، بالنسبة للكهان الذين يحتفظون بقوائم لهذه الأسماء ويقترحون من بينها واحداً على الوالدين بعد أن يقوموا بحساباتهم. ولا تطلق الأسماء دائماً مأخوذة من الشخوص الدينية أو من الكتب المقدسة فقط، فبين الأسماء الفلكية أسماء مثل ياسمن (ياسمين). واعترف بعجزي عن اكتشاف سبب اختيار هذه الأسماء أو سبب وجود قيمها العددية (*).

وحيث يبحث عن اسم الطفل يأخذ الكاهن علامة البرج للشهر الذي حصلت فيه الولادة ومنه يبدأ حسابه حول دائرة البروج، فيحسب علامة الساعة ولا تدخل في هذا الحساب علامة اليوم. ومن القيمة العددية الناتجة تطرح القيمة العددية لاسم الأم.

فمثلاً إذا ولد طفل ذكر في الساعة الحادية عشرة من شهر "أول كيطه" عام ١٩٣٥ في ٤ شباط وكان اسم أمه الفلكي شارت (قيمته العددية ٢) وعلامة "أول كيطه" هو الأسد (أريه)، يبدأ الحساب من أريه في الدائرة الفلكية مسقطين "اريه" من الحساب ثم نحسب أحد عشر على قدر الساعات، تنتهي بالسرطان وقيمته العددية ٤. يطرح من هذا العدد عدد أرقام الأم وقدره (٢) فالباقي اثنان؛ إن الاسم الذي يختار للطفل هو إذاً زهرون وهو أحد الأسماء التي تقع في مرتبة القيمة العددية (٢). وهكذا فاسم (ملواشه) للطفل هو "زهرون برشارت". ويسترشد الكهان في جميع المعلومات الفلكية بالكتاب الفلكي "اسفر ملواشه" ـ سفر البروج ـ. ويقول الصابئون إن "هيبل زيوا" أعطاه لآدم ليكون قادراً به على التنبؤ بما سيحدث.

(*) انظر الملحق في هذا الكتاب .

والتنبؤ بحوادث المستقبل ليس مقتصراً على الكهان الذين يتفرسون في السماء والغيوم والطيور، ويفسرون ظواهر الخسوف والكسوف، بل إنه هبة طبيعية في رؤية الأشياء الخفية تختص بها بعض الأسر الكهنوتية.

وتقرر أكثر الحوادث الرئيسية في حياة الصابئين باللجوء إلى الكهان الذين يخبرونهم عن اليوم السعيد للزواج أو عن وقت إرسال الوليد إلى المدرسة أو الشروع في عمل جديد أو التهيؤ للسفر. وفي حالات المرض تقع الوصفات والأعشاب تحت تأثير كواكب معينة في البروج، ويجب على المرء أن لا يتناول من العلاج والدواء إلا ما يعود إلى العلامة التي سقط مريضاً تحت تأثيرها، أي الساعة التي مرض فيها، والصابئون على العموم يرفضون تناول الدواء شرباً حتى ولو راجعوا طبيباً، إلا أنهم يؤمنون بالادهان ولا يعترضون على تناول الحقن العضلية أو الجلدية؛ وتثير الطائفة مشاكل للدوائر الصحية، فخلال انتشار وباء الكوليرا صدر أمر حكومي منع الناس بموجبه من شرب أي شيء عدا الماء المعقم بالكلور من الاسالة ـ ماء المدينة ـ وكان من غير الممكن تطبيق هذا البيان على الصابئين لأن الماء الوحيد الذي يعتبر لديهم ماء "حياً" هو "اليردنه" أي ماء النهر الجاري أو ماء العيون، فالماء المغلي أو المعقم بالكلور قد فقد "حيويته" ولهذا فهم لا يشربونه (*).

وإذا سقط أحدهم مريضاً في اليوم الحادي والعشرين من أي شهر فأمله في الشفاء قليل، لأن ذلك يوم يتحكم فيه الجن (شفياهي). واليوم الخامس عشر من كل شهر غير مناسب أيضاً. وكثير منهم يلبس تعويذة (قماهه) خاصة تدعى "شلفته اد مهره" تقيه من المرض في ذلك اليوم.

وأخبرني أحدهم أنه خلال هذين اليومين: ـ

"خير للمرء أن يمكث في بيته وأن لا يتعاطى أي عمل. فالملابس الجديدة لا تشترى ولا يشرع بالسفر ومن الخطر تعاطي التجارة وركوب السفن. وإذا ما مرض أحد في هذين اليومين فمن المتوقع موته مالم ينزف أنفه فإذا حدث ذلك فسيشفى ولكن يجب أن يكون النزيف ذاتياً لا مصطنعاً. ويجب على المرء أن يكون في هذين اليومين طاهراً، فالطهارة تصون المرء وتجعله نقياً وتكسوه بالنور بحيث لا تقدر الشياطين على الاقتراب منه".

(*) يصدق هذا على فئة الكهان والرجال المتعبدين من الصابئين في الوقت الحاضر . كما أنهم يحللون شرب الماء المغلي بعد أن يبرد .

وتقسم السنة (١١) لدى الصابئين إلى اثني عشر شهراً، ولكل شهر ثلاثون يوماً، مع خمسة أيام كبيسة تسمى "بروانايا" وتلفظ أحياناً "برانويا" أو "البنجه" وهي تقع بين الثلاثين من شهر "شمبلته" واليوم الأول من شهر "قينه". وتقسم هذه الأشهر الاثنا عشر إلى أربعة فصول: ـ الشتاءٍ (ستوه) والربيع (أبهار) والصيف (كَيطه) والخريف (بايز). وقد فقدت هذه الفصول علاقاتها بالتبدلات الفصلية الحقيقية من حر وبرد. وكل فصل يوزع إلى ثلاثة أقسام الأول والوسط والأخير (أول وميصاي وأخيرا وخير). وتطلق على هذه الأشهر أسماء أخرى أيضاً هي: ـ نيسان، أيا، سيوان إلخ.. ولكن لاعلاقة لها بالفصل الذي تعود إليه كما تعود مثيلاتها من نفس المسميات اليهودية أو التركية، وإليك أسماء الأشهر: ـ

الشهر الأول	اول ستوا	قام(*) دوله	شباط
الشهر الثاني	ميصاي ستوا	قام نونه	آذار
الشهر الثالث	خير ستوا	قام امباره	نيسان
الشهر الرابع	اول ابهار	قام تورا	أيار
الشهر الخامس	ميصاي ابهار	قام صلمى	سيوان
الشهر السادس	خير ابهار	قام سرطانه	تموز
الشهر السابع	اول گيطة	قام اريا	آب
الشهر الثامن	ميصاي گيطة	قام شمبلتا	أيلول
الشهر التاسع	خير گيطة	قام قينا	تشرين
الشهر العاشر	اول بابيز	قام ارقبه	مشروان
الشهر الحادي عشر	ميصاي بابيز	قام هطيه	كانون
الشهر الثاني عشر	خير بابيز	قام گديه	طابيت (طابيث)

(*) قام دوله أي برج الدلو . . . الخ .

وتسمى كل سنة باسم اليوم الذي تبدأ فيه من الأسبوع فسنة "هبشبه" أي سنة يوم الأحد، وسنة "ارهاطى" أي سنة يوم الجمعة. فمثلاً أنا أكتب الآن في ٢٩/كانون الثاني من عام ١٩٣٥ وهو يقابل لدى الصابئين الخامس والعشرين من "سرطانه" أو "تموز" (خير ابهار) الشهر السادس من سنة الأربعاء (اربه هبشبه). وحسابه هكذا: "الخامس والعشرون من تموز آخر الربيع الشهر السادس من سنة يوم الأربعاء". وسنرى أن التقويم مضطرب لديهم بعض الشيء.

إن أول يوم في السنة الجديدة الصابئية الحالية صادف الثامن من آب أغسطس عام ١٩٣٥ في منتصف حرارة الصيف (قام دوله) وهو في التقويم أول شهر من أشهر الشتاء (*). إن الارتباك في الأوقات والفصول واضح وسبب ذلك يعود بوضوح إلى أن التقويم لا يحسب لربع اليوم في السنة أي حساب وهو ما يجب أن يضاف إلى السنة الشمسية لتتفق الأوقات مع الفصول (١٢).

والاسم الذي يطلق على عيد رأس السنة هو اسم "دهفه ربه" ويعتقد ليدز بارسكي بأن أصل معنى كلمة "دهفه" هو الذبح، إلا أن كهان الصابئين يميلون إلى اشتقاق الكلمة من معنى الذهب "دهبه" لأن الجزر والذبح محرم في أكثر أيام هذا العيد وبخاصة في أول يوم من السنة الجديدة. ويستعمل الصابئون أيضاً الاسم الفارسي "نوروز ربه" ويطلق على أيام الاحتفال المهيب في كتاب "ألف ترسر شياله". وآخر يوم من السنة يسمى (كنشي وزهلي) (١٣). وفي هذا اليوم تذبح الجزور من الكبوش والفراخ لتخزن غذاءً، وفيه يخبز الخبز ويحفظ داخل البيت، كما تصنع الفطائر (منقوش عليها علامة (**) صليب) (١٤). ويطهر التمر والخضر بعناية وتحفظ داخل البيت لئلا تتلوث، كما يجلب الماء في الأواني من النهر مما يكفي لحاجة ست وثلاثين ساعة. ومن صباح ذلك اليوم إلى مسائه يقوم الكهان بتعميد الراغبين. كما يجب أن تقاد المواشي والدواجن قبل غروب الشمس وتؤمن لدى المجاورين من غير الصابئين. ففي الساعات الست والثلاثين القادمة يجب على الصابئين أن لا يمسوا المواشي أو يحلبوها. وقبل أن تغرب الشمس بخمس دقائق تقريباً يغتسل أفراد الطائفة رجالاً ونساء كباراً وصغاراً

(*) أول ستوا .

(**) ان نقش علامة الصبيب أو ما يشبه الصليب على الفطائر ليست من صلب الدين إنما هي عادة مأخوذة من المحيط .

بالارتماس في النهر (طماشه) ثلاث مرات، وتطلق النساء الزغاريد ويعود الجميع إلى بيوتهم، حيث يجب أن يمكثوا هناك ولا يخرجوا لأي غرض. ففي هذه الساعات الست والثلاثين، أي من الليلة التي تسبق يوم رأس السنة ويدعى (يوم الحاجات) ويوم رأس السنة نفسه والليلة التي تليه، خلال هذه الساعات تخرج الأرواح الحارسة من البيت ملبية دعوة الطبيعة. ويقول الكهان إن هذا أمر في غاية الخطورة ولذا يجب اتخاذ الاجراءات اللازمة داخل البيت أثناءه. وعلى الصابئي أن يظل ساهراً طيلة هذه الساعات وأن لا تغمض له عين، ولكن يسمح للأطفال بالنوم لتعذر منعهم من ذلك. وفي يوم رأس السنة (يوم الحاجات) لا تجرى أية طقوس دينية، فإذا صادف أن حضرت أحدهم المنية خلال هذه الساعات يؤجل دفنه ويغسل بالماء المختزن في البيت ويلبس الملابس الدينية (رسته). وحين يلفظ آخر أنفاسه يغطى بالخام الأبيض ويترك على حاله إلى فجر اليوم الثاني من السنة الجديدة حيث يمكن دفنه حسب المراسم المعتادة. وتعتبر الوفاة في مثل هذه الظروف كارثة بالنسبة لروح الميت ولذلك تقام من أجله في أيام البنجه "زدقه ـ بريخا" و "مسخثه" ـ غفران ـ تكفيراً وطلباً للرحمة والغفران (انظر الفصل ١٢).

ولا يظل الكهان عاطلين أثناء سهرهم في العيد بل يسترشدون بكتاب "اسفر ملواشه" للتنبؤ بحوادث السنة الجديدة، عن مناخها لذلك العام، أحسن هو أم سيئ، وعن الكوارث والأزمات وعددها. ويبقى أفراد العامة يقظين يلعبون الألعاب ويقصون الحكايات. وإذا ما مس طعامهم أو شرابهم حيوان أو طير أو زاحفة أو نحلة منع تناوله، أما إذا عض أحدهم كلب أو أفعى أو لسعته نحلة فيجب أن يتناول ستين عماداً. ومن المحتمل أنه كانت هناك بعض التعليمات حول النجاسات الصغرى أيضاً، فقد قيل لي إن الأتقياء من الصابئين يقبعون خلال تلك الساعات في بيوت من القصب تغطيهم الكلل بصورة تامة.

إن الأسباب التي تقدم تبريراً لهذه التحفظات ضد النجاسة هي أن يوم رأس السنة هو ذكرى يوم الخليقة لأن "مانا ربه كبيره" ـ مانا العظيم ـ رب العظمة، قد أتم خلق العالم في هذا اليوم، ولذلك فجميع الأرواح النورانية أينما كانت تغادر مواقعها وتذهب لزيارته وتقديم الشكر له. ويغلق "اباثر" بابه ويرفع الملكان "ندبي" و "شلمى"

حراستهما عن الماء الجاري (يردنه) و "هيبل" و "شيتل" و "انش" يغادرون الأرض أيضاً. وسكان "مشونى كشطه" وعلى رأسهم "آدم كسيه" وحارسهم الروحي "ششلام ربه" - نظير هيبل زيوا - يرتفعون جميعاً إلى عالم النور اللا نهائي. وتستغرق هذه الرحلة اثنتي عشرة ساعة للعروج، حيث يصلون إلى غايتهم في فجر رأس السنة الجديدة ويمكثون هناك متأملين خاشعين للكمال طيلة يوم رأس السنة ثم يعودون إلى أماكنهم الأولى فيصلونها في نهاية الليلة التالية.

ولهذا فالعالم يظل دون حماية وتظل قوى الشر والموت طليقة غير مكبوحة الجماح، وحتى مياه الأنهار والينابيع تصبح ذات خطر يجب أن لا يقترب منها أو تمس فإذا ما غمر المرء إصبعه في النهر خلال تلك الساعات فسيلعن بلعنة "ششلام ربه". وتصبح الأشجار، بالرغم من نفعها مضرة أيضاً، والناس يلفونها إذا كانت في بيوتهم، بالحصران لئلا يمسها الأطفال عن غير قصد. والخلاصة فإن الصابئين يعنون بالمحافظة على أنفسهم من النجاسة خلال تلك الساعات، فهي إذا داهمتهم جسمياً أو روحياً حين يكون الحراس (ناطرى) غائبين فإن قدرتها على إيقاع الضرر تتضاعف عليهم.

وفي اليوم الثاني من السنة الجديدة يخرج جميع الصابئين من دورهم يتزاورون ويبتهجون ويعيّد بعضهم بعضاً، وتكون أول زيارتهم عادة لشيخ الدين (الكنزفره) حيث يخبرهم عن طالع السنة الجديدة. كما يمكن الحصول على تنبوءات فردية عن الحظوظ الحسنة أو السيئة، من الكهان [١٥]. فإذا كان حظ السائل سيئاً ينصح بكتابة تعويذة (قماهه أو زرسته). وتكون أوقات هذا العيد أوقات فرح ولكن دون إجراء عماد أو جزر أو أي مراسم دينية أخرى، عدا عن مراسم الدفن، وهذه يجب أن تكمل في أيام "البنجه" كما مر معنا. ويستمر هذا الحال إلى نهاية اليوم الرابع عشر والليلة التي تليه. (الصابئون يحسبون بدء الأربع والعشرين ساعة للنهار والليل، من الفجر أي أن الثلاثاء مثلاً تتبعها ليلة الثلاثاء في حين أن ليلة الثلاثاء عند العرب هي التي تسبق يوم الثلاثاء) (*).

ويسمى اليوم السادس من الشهر الأول "نوروز زوطه" أو السنة الجديدة الصغرى وهو واليوم السابع يسميان "دهفه اد ششلام ربه" أو كما جاء في أحد الكتب المقدسة

(*) وهذا ينطبق تماماً على تقديمهم للنور على الظلام مع تلازمهما فالنهار يسبق الليل والنور يسبق الظلام .

"دهفه اد شوشيان". والليلة بين هذين اليومين تسمى "ليلة القدر" فيها تفتح أبواب "اباثر" أمام المتقين من الناس فيرون أسرارها ويحصلون على ما يطلبون. وإذا كان المرء تقياً حقاً فلن يطلب أي مكاسب دنيوية بل يكون كل همه التحرر من الخطيئة وكسب الخصائص الروحية، ولا تكون النتائج آنية.

وفي هذا العيد تطفأ جميع الأنوار والنيران (*) وتوزع الأطعمة على الفقراء ويزور الكهان رعاياهم ويعلقون على عتبة الدار العليا في كل بيت اكليلاً من الصفصاف والآس (**) يبقى هناك إلى السنة القادمة باعتبار أنه سيكلأ سكان الدار من الخطر. ولقاء هذا العمل يحصل الكهان على أجور بسيطة. وهم حين يعلقون الاكاليل هذه يتلون هذا الدعاء:

بشم ادهيي رَبي أنْهر كَفنا إبكَوْ مَيّه وتقيّم كَبيري إبيردنه نغدي أنتون راوزي اشكندا إلهاخه اثلخون ياهبن ايلخون الاثرى سَاغى كَدْليلخَون ومثنالخون إبّاب اد هلبوني كَثَ آسَه اد مربّهِ يانقى كَدليلخون ومثنالخون آلمه الكميصات آلمى ابرختون يَردنى ساغيَ برختنخون مَصبته إدْ لبَاطلَه من ريش بريش.

وبما أني أشك في صحة نص هذا الدعاء الذي كتبه لي أحد الكهان من الذاكرة فلا أجرؤ على ترجمته (***). ويقول الكهان إن الأكاليل التي تعلق فوق عتبات الدور تجلب لأهلها بركة الخصب وسلامة الصحة (١٦).

(*) لا تطفأ الأنوار بل على العكس يجب إضاءة جميع أنوار البيت في هذا العيد .

(**) تكون الأكاليل التي تعلق على عتبات الدور في هذا العيد من الصفصاف فقط .

(***) النص الصحيح كما هو مدون في كتاب ترسرالف شياله هو كما يلي : بشميهون إدهيي ربي أنهر كَفنه ايكو ميّ واتقيم كبيري ابيردنه نغبي انتون راوزي شكندا الهاخه ايثلخون بهفينالخون الأثري سفيه كادللخون ومثنالخون باب هلفونى كث آسه اد مربه يانقي كدللخون ومثنالخون آلمه الكيمصات المي ابرخنخون يردنى سغيه برختنخون مصفته إد لا باطله من ريش بريش .

المعنى :

بأسماء الحي العظيم . إن الشجرة الحسنة النامية بالماء ، ستنمو كبيرة بالماء وتعيش . وهي الشاهد الخفي الذي يأتي إليكم ويمنحكم بركة الاثرى . يجدلها ويدسها في أبوابكم وهي كالآس في الشجرة المرضعة ، تجدل وتدس لكم من الآن إلى نهاية العالم .

المياه تبارككم وتبارك معموديتكم حيث لا تعدم إلى آخر الحياة .

ويسمح للصابئين في اليوم الخامس عشر بالجزر وأكل اللحوم (*). إنه عيد بهيج غير أن اليوم الثاني والعشرين يوم نحس يجب عدم التعامل أثناءه كما يجب عدم إجراء أية مراسيم دينية فيه لأنه يوم قليل النفع غير مبارك (مبطلّ). وإذا ما توفي أحد في يوم "مبطل" فيجب أن تقام له صدقة مباركة (زدقه ـ بريخا) في أيام "البنجه" تعويضاً وتكفيراً. واليوم الخامس والعشرون من الشهر التالي (نونه) "مبطل" أيضاً. وليس في شهر "انبارا" أية أعياد خاصة أو أية أيام نحس. والأيام الأربعة الأولى من شهر "تورا" "مبطلة" أيضاً. وفي اليوم الثامن عشر من شهر "تورا" يقع العيد الصغير "دهفه حنينه" ويسمى أحياناً "دهفه طرمه". وقد صادف هذا العيد في عامي ١٩٣٢ و١٩٣٥ الثالث والعشرين من نوفمبر تشرين الثاني، ومن المفروض أنه كان كذلك عام ١٩٣٣ إلا أنني لم أسجل ذلك. وهذا العيد يستمر ثلاثة أيام (**) تقام خلالها مراسم التعميد وقراءات الفاتحة للموتى (لوفاني). وهو يقام احتفالاً بعودة "هيبل زيوا" إلى عوالم الأنوار من عالم الظلام. ويبدو هذا العيد تكراراً لفكرة الموت أو السجن ثم العودة والانبعاث في عيد رأس السنة ثم أخيراً في أعياد "البنجه" ويظهر لي أن سبب ذلك يعود إلى أن الأعياد الثلاثة هذه كانت في يوم أعياد السنة الجديدة وتقع في الربيع من كل عام. وتوجد جذور أفكار الأسى والفرح في هذا الفصل في تاريخ مبكر، لدى البابليين والفرس. ويؤكد لي الكهان أن "البنجه" (التي لها علاقة حقيقية بعيد رأس السنة البابلية الذي يقع في شهر نيسان) قد وقعت في وقت لا يمكن تذكره، في فصل ذوبان الثلوج و ارتفاع مياه الأنهار نتيجة لذلك. ويظهر أن الصابئين يجهلون أية وسيلة لتصحيح التقويم بأسلوب الشهر الكبيسي بعد كل مئة وعشرين عاماً، وهو ما استعمله الفرس القدماء (البيروني صفحة ١٢٠) بالرغم من أن أحد الكهان أخبرني أن تصحيحات كهذه قد حصلت في الماضي حين كان الكهان أكثر علماً وحكمة. والشيء المحقق تماماً هو أن أهم عيد في السنة الصابئية في الوقت الحاضر ليس ما يسمى بالعيد الكبير أو ما يدعى بالسنة الجديدة بل هو عيد الربيع في "البنجه" سأصفه فيما يلي: ـ

(*) يمكن تناول اللحوم في هذه الفترة إذ كانت محفوظة حفظاً جيداً بعد أن تكون قد تبقت من الجزر الذي حصل في آخر يوم من أيام السنة الماضية. (كنشي وزهلي).

(**) مدة العيد الصغير الدينية لدى الصابئين هي يوم واحد فقط تقام فيه مراسم التعميد وقراءة الفواتح وإقامة الأفراح وتستمر الاحتفالات الاعتيادية يومين آخرين لغرض التزاور.

لقد دعيت أخيراً إلى بيت صابئي بمناسبة عيد "دهفه حنينه" وكان النساء على عكس الفكرة الدينية، يلبسن المجوهرات ويرتدين الحلل الحريرية البراقة. وقد رقصت اثنتان منهن مع فرقعة الأصابع والتصفيق بالأكف مع الغناء الذي يشبه أغاني الأعراس الفارسية.

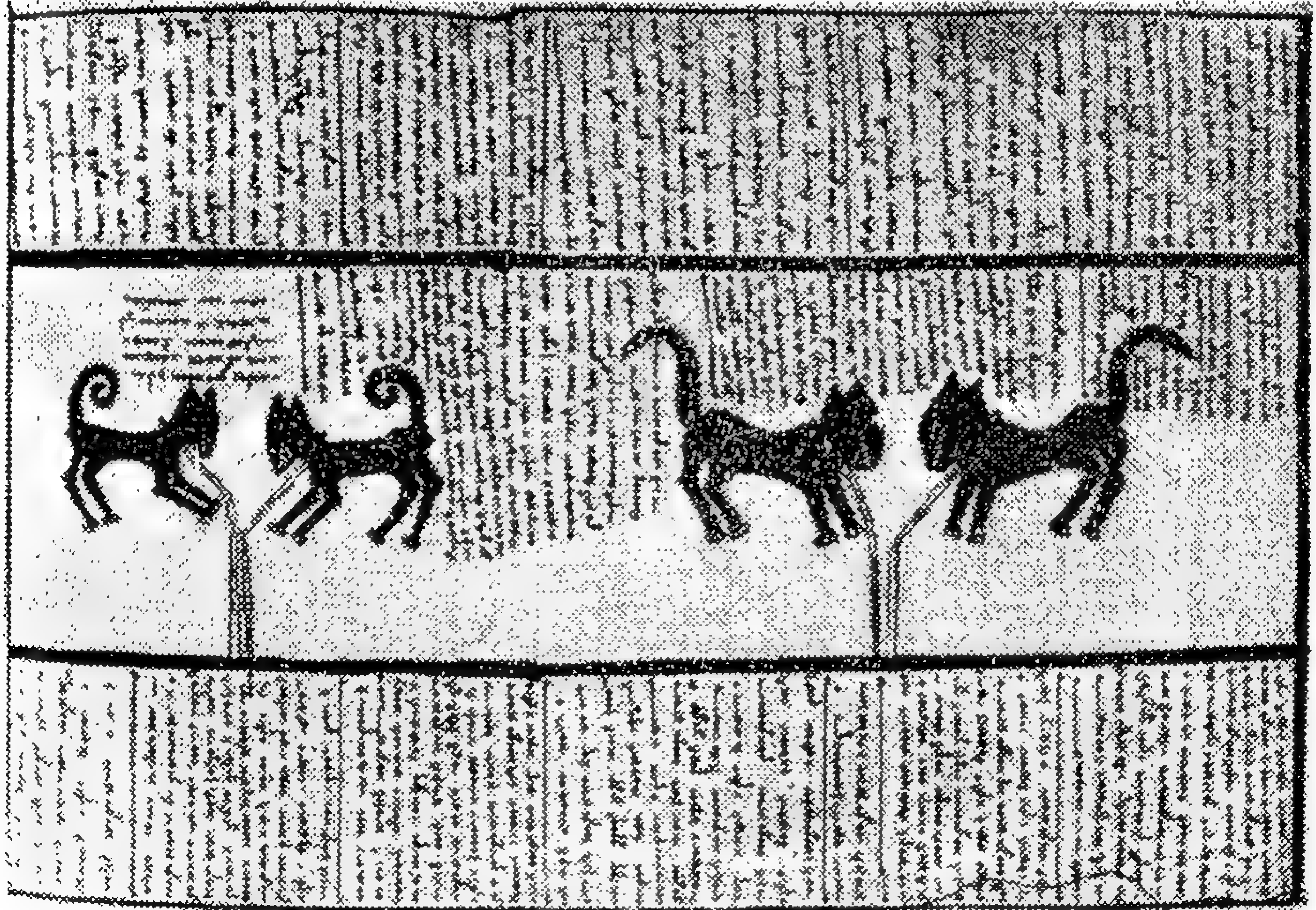
وليس في شهر "صلمي" أي يوم مرموق. وأول يوم من شهر "سرطانه" يدعى "عاشوري" وهو ذكرى غرق المصريين الذين هلكوا في البحر الأحمر (١٧) حيث تقام لهم فاتحة (لوفانى) خاصة بالمصريين الذين يعتبرون أنهم كانوا على دين الصابئين (*). والأيام التاسع والخامس عشر والثالث والعشرون من هذا الشهر "مبطله". وشهر "قام اريا" شهر حسن وسعيد لأولئك الذين يولدون فيه ولكن الزواج محذور خلاله. والأيام الخمسة الأخيرة من شهر "شمبلته" (١٨) (سنبلة القمح ـ برج العذراء) "مبطلة" أيضاً لأنها مكرسة لأرباب الدنيا الخمسة وهم: ـ "شدوم وهاغ وزوجه ماغ وكَاف وزوجه كافان وزارتاي ـ زارتاني وكرون ـ جبل اللحم". وتتطلب هذه الأيام الخمسة "المبطلة" المكرسة لعالم الظلام إعادة تكريس "المندى" (بيت العبادة) في الأيام النورانية الخمسة التالية. هذه هي الأيام الخمسة الكبيسة "بروانايا" أو "البنجه" أسعد أيام السنة على الإطلاق، وفيما يقام أكبر عيد عمادي نهري، وتأتي في وقت ارتفاع مياه النهر بعد ذوبان الثلوج في الشمال أي خلال الأيام الربيعية الأولى الدافئة. وقد جاءت "البنجه" في أعوام ١٩٣٢-١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥ في الخامس من نيسان ولكنها جاءت في الرابع من نيسان عام ١٩٣٦ . ويكرس كل يوم من الأيام الخمسة لروح نورانى حيث تفتح أبواب عالم الأنوار في "البنجه" ليلاً ونهاراً، ولهذا يمكن إقامة المراسم والصلوات في الليل أيضاً، إذ لا يمكن إقامة أية صلوات بعد غروب الشمس في سائر أيام السنة. وإحدى ليالي "البنجه" هي ليلة خاصة بالنعم تشبه ليلة "دهفه ششلام ربه" تستجاب فيها كل دعوة صادقة ترفع إلى رب عالم الأنوار.

و"البنجه" احتفال ديني أكثر مما هي عيد، وفيها يقدم الصابئون من أماكن بعيدة إلى موطن كهانهم للتعميد بقدر ما تسمح لهم ظروفهم ويشاركون في الفاتحة (لوفانى) وفي الصدقة المباركة (زدقه بريخه) وفي الذكرى (ذخرانه) من أجل الموتى. إن الموتى، وقد تجمعوا حول الطعام المقدس الذي دعوا إليه بمجرد ذكر أسمائهم في الصلوات، ينتعشون بهذا الطعام ويباركون الأحياء. أما الأرواح غير المرتاحة لأولئك الذين تلكؤوا في الطريق إلى عالم الأنوار بسبب من موتهم موتاً غير طاهر أي في يوم "مبطل" مثلاً

(*) تراجع الملاحظات حول النبي ادريس .

أو بدون إجراء مراسم دفن ولباس ديني، فيمثلون بمن ينوب عنهم في احتفالات "هافا دمانيا" وفي أيام أخرى حيث يرتدي هؤلاء الملابس الدينية ويتطهرون، وبهذا يساعدون الأرواح تلك على الصعود في طريقها خلال المطهر (مطراثه).

وتدخر العائلات ما يجب أن تدفعه من أجل هذه الاحتفالات فهم يعتبرون الحواجز مرفوعة خلال أيام "البنجه" المقدسة بينهم وبين الموتى من الأقربين والأرواح النورانية التي أنجبتهم منذ عهد قديم. وتمر روح المتوفى خلال أيام "البنجه" بعد قيامها من الحدث في اليوم الثالث دونما عائق خلال المطهر ولا يكون الغفران (مسخثه) الذي يكلف ثمناً كبيراً، ضرورياً عندئذ. ولهذا يود أقرباء المريض مرضاً خطيراً، لو أن مريضهم يموت في هذه الأيام. وقد لاحظت في قرية قبوراً لثلاثة أشخاص ماتوا بأمراض مختلفة في سنة واحدة في هذا الموسم. ولا شك أن تعميداً في النهر كافٍ للوصول إلى هذه النتيجة المرجوة في حالة مريض على شفا الهاوية. والمريض نفسه يتوق لأن يغادر هذه الدنيا في هذا الموسم حيث لا شياطين ولا وحوش مفترسة (زانغويي) لها سلطان عليه أو إيقاع الضرر بروحه في رحلتها، فهو سيتم هذه الرحلة الطويلة الشاقة إلى بوابة "اباثر" في يوم واحد.



زانگويي
(١) اسود نيرغ (٢) كلاب نيرغ

وفي أيام "البنجه" يجب على كل مؤمن حقيقي أن يرتدي الملابس البيضاء بصورة تامة (وهذا لم ألحظه يمارس بصورة دقيقة)، وعليه إما أن ينتعل الصنادل المنسوجة من الألياف النباتية أو أن يسير حافي القدمين.

والحفى هو المعتاد في مثل هذه الأحوال ولو أن الكهان أخبروني من أن الحفى كان يعتبر خطيئة في الأزمان القديمة. إن الغاية الحقيقية من هذا التنبيه هو أن عباد "الحياة" يجب أن لا ينتعلوا جلود الحيوانات الميتة[١٩]. ولا يؤكل من اللحم غير لحم الخروف كأضحية في الطعام المقدس من أجل الموتى. وقبل انتهاء "البنجه" يلزم لتكريس "المندى" تضحية كبش وحمامة وسأصف ذلك في فصل قادم. وهذا العيد يأتي بدخل وفير للكهان.

والعيد الآخر الذي يأتي بعد ٩٠ يوماً من "البنجه" في اليوم الأول من شهر "هطيه" هو عيد "دهفه ديمانه" [٢٠] وهو احتفال بتعميد آدم، وفيه يجب على الأتقياء أن يتعمدوا كأسلافهم. وبما أنه يقع في فصل الصيف فهو مناسبة محببة لتعميد الصغار. ويحصل المتعمد في هذا العيد في ملابس دينية جديدة (رسته)، على ما يعادل بركات ٦٠ عماداً. ويحرم ذبح الحيوانات في اليوم الذي يلي هذا العيد.

والامتناع عن أكل اللحوم هو النوع الوحيد في صيام الصابئين. والأيام الثلاثة الأخيرة من الشهر الأخير في السنة (كديه أو طابيث) والتي تسبق يوم (كنشى و زهلى) "مبطلة" أيضاً.

وقبل الانتهاء من مسألة التقويم من المفيد أن نقارن ذلك مع تسجيل بترمان Petermann فهو يدون بأن "أول كيطه" عام ١٨٥٤ صادف في ٢٣/شباط وأول "بايېز" كان في ٢٨/مارس و "اول ستوه" كان في ٢٦/أغسطس وأول "ابهار" كان في ٢٤/ تشرين الثاني. يوجد إذاً فرق قدره تسعة عشر يوماً بين "أول كيطه" عام ١٨٥٤ وبين "أول كيطه" عام ١٩٣٥ . وإن الأعياد تتأخر ببطء. ولو أريد للبنجه أن تأتي دائماً في أيام الفيضان فيجب القيام بتصحيح التقويم قبل أن تنتهي ثمانون سنة أخرى وإلا فسيقع العيد قبل فصل الفيضان وفي أيام البرد القارص.

وربما كان مما يستحق الذكر قول أحد الكهان بأن طول السنة مبني على المدة التي ينضج فيها الطفل في رحم أمه، وقد حسبها تسعة أشهر وتسعة أيام وتسع ساعات

وتسع دقائق وتسع ثوان ونصف مضافاً إليها خمسة وأربعون يوماً هي مدة طهارة الأم والوقت الذي كان فيه الجنين بذرة في صلب أبيه. وهذا هو تفكير صابئي نموذجي، إلا أنني لم أعثر على ذلك في أي كتاب مقدس (*).

ويقسم تاريخ الإنسان على الأرض لديهم إلى أربعة أدوار تاريخية. في نهاية كل دور منها كان الجنس البشري قد فني ما عدا زوجاً واحداً. فمن خلقة آدم وحواء إلى فناء الجنس بالسيف والطاعون، كانت الفترة (٢١٦,٠٠٠) سنة والزوج الذي نجا هما "رام ورود" - السماء والنهر. وكما هي الحال في الزوج الأول (ادم وحواء) حصل التزاوج بين الذكر ونظيره زوجه النورانية لتحقيق استمرار جنس الصابئين بينما جاء سائر البشر من تزاوج رام ورود (**). وبعد (١٥٦٠٠٠) سنة حصلت كارثة أخرى أفنت الجنس البشري بالنار ونجا زوج آخرهما (شوربى وشرهبيل) (وشوربي تعني كما يظهر، الانتشار أوالتكاثر). وأعيدت عملية الذرية الصابئية وذرية سائر البشر كما حصل قبلاً مع الزوج الأول. وبعد ١٠٠٠٠٠ سنة أخرى طغى الطوفان على الجنس البشري ونجا نوح وزوجه "نهوريتا" أو نوريتا" (كلمة نوح مشتقة من أصل معنى هدوء العاصفة وكلمة نهوريتا لها طبعاً معنى النور).

ويوجد دمار رابع للعالم في الـ "٧٩ سنة الأولى" من علامة السمكة (نونه) وسيكون الخراب بالريح والهواء. وينظر بعض الصابئين إلى الطائرات المحلقة فوق رؤوسهم في العراق الحديث ويتساءلون ما إذا كان دمار البشرية سيكون على هذه الشاكلة؟. ويوضح لي صديقي هرمز (***) قائلاً: - "سيسمم الناس الهواء وهكذا سيموتون" وهو يوحي إلى اختناق الناس بالغازات السامة.

(*) المعلومات حول الجنين وولادته موجودة بالتفصيل في كتاب "ديوان تفسير پغره" .

(**) ليس تجدد الحياة عند الصابئين بعد كل فترة زمنية . كما جاء في كتاب الليدي دراوور . ففي الأساطير الصابئية إن الزوج الناجي هو عادة رجل وزوجه وهما يتناسلان ويلدان بصورة طبيعية شرعية . إلا أن البنين يتزوجون بعد ذلك من بنات نظير أبيهم في الدينا الوسطى "مشوني كشطه" كذلك يتزوج البنات من أولاد نظير أبيهم نفسه . وبهذا يتخلصون من تزاوج الإخوان بالأخوات .

(***) المرحوم هرمز برانهر هو أحد مهرة الصاغة الصابئين ومن المتبحرين بأمور دينهم .

ـ ملاحظات حول الفصل السادس ـ

١- مانه ربه ـ وأحياناً مانه ربه كبيره . مانه العظيم . ويوجد خلاف في الرأي حول معنى كلمة مانه فـ "هوفمان" و"باليس" يميلان إلى أن معناه "كساء" ويطابقناها بالكسوة التعميدية . ويقول "براندت" إنها عادة تعني "اناء" أو "أداة" . ويدعي "نولدكه" أن الكلمة من أصل إيراني .

ويقول الدكتور "جولسون" إن "مانه الفيدية" تعني العقل أو الفكر أو الروح فهم يقولون "فوهومانه" أي العقل النير و "اكيم مانه" أي العقل السلبي ـ وهما حالتا "اوهورا مزدا" اللتان انتجتا العوالم الحقيقية والعقلية . ويقول "ماكدونل" في كتابه "الأسطورة الفيدية صفحة ١٦٦" إن "الفيدا" قد قسمت القانون إلى "اسو" أي نفس ، وتعبر عن الحيوية الطبيعية حتى لدى الحيوانات ، وإلى "مانه" كمستقر للفكر والعواطف وكانت تظهر في "ريكفيدا" مستوطنة القلب (هرد) .

ويعطي أحد الكهان الصابئين أربعة معان لكلمة "مانه" : (آ) روح (ب) حمامة (جـ) كساء (د) بيت . ويقول "جولسن" إن "مان" في الفارسية تعني "بيتا" .

٢- اثرى وملكى . كائنات شبه إلهية موكلة بحمل إرادة الحياة العظمى وتنفيذها . وهي تابعة للخالق وأول مظهر من مظاهر خلقه . وتعني كلمة "ملكا" مَلِكاً وليس ملاكاً . وهكذا يترجمها ليدز بارسكي ومع أن وظائف "المَلكا" تشبه وظائف الملاك العبري ، والملاك في العربية ، وهو الرسول أو الملك . فإن الصابئين يستعملون كلمة "ملاكيا" للدلالة على الأرواح الشريرة .

ويظهر في كتاب "إنوش" (*) المطعون بصحته . تصور لكائنات سماوية ليست بعيدة الشبه بالصابئين إضافة إلى امتلاكها لقوى موكلة بالظواهر الطبيعية كالسحب والبروج . وهؤلاء . في الكتب الصابئية ، بين الأرض المادية المظلمة وبين عالم النور النقي الاثيري ، مباشرو الاتصال ، ويظهرون كتجسيد للصفات المجردة والقوانين أو لقوى الطبيعة المادية .

وهم يشبهون "اليازاتات" في "الافستا" حيث يوجد "يازاتات" للعالم الروحي و آخرون للعالم الطبيعي . وهم يتحكمون بالأشياء المادية في الطبيعة (J.J.M.,P.481)

ويذكر "جوزيفوس" أن الاسينيين قد استعاروا أسماء الملائكة للتصرف بها إضافة للغوامض الأخرى :.

"إنه ـ المهتدى حديثاً ـ يقسم أن لا يبوح بعقائدهم لأي شخص وبأية وسيلة كانت عدا الطريقة التي حصل هو بها عليها . وعليه أن يمتنع عن السرقة وأن يحتفظ بالكتب التي تعود إلى نحلتهم وبأسماء الملائكة" .

ومن الخطيئة لدى الصابئين كشف أسماء "الملكي" ـ جمع ملكا ـ لفرد من غير دينهم . وحين أعطيت اسم أحد الملائكة قال مخبري "إن زملائي سيغضبون عليّ إذا هم علموا بأني قد أعطيتك أسماء سرية" . وكلمة "مَلَك" في العامية العربية العراقية تطلق أحياناً على الروح الشريرة أو الجني . ومما يستحق الذكر هنا أن يرد ذكر "ملك طاووس" اليزيدي أو "الملاك الطاووس" ـ أمير الظلام ـ في كتاب "دراشه إديهيا" حيث يطلق اسم "طاوسه" على ملك ينوح ويندب لأنه قد أخطأ بحق "الحياة العظمى" وأنه سمح لكبريائه أن تقوده إلى العصيان .

إن كلمة "ملكي" لدى الصابئين تطلق عادة على الأرواح الشريرة والطيبة بينما تطلق كلمة "اثرى" على الكائنات النافعة اطلاقاً .

(*) ليس بين كتب الصابئين كتاب بهذا الاسم . وإنما هناك دعاء بهذا الاسم في كتاب "كنزه ربه" .

وعلى العموم فإن "أثري" ومفردها "إثرا" تدل على الأرواح التي تهب الحياة وتديمها وهي ذات صلة بالكلمة السريانية "يثرى" أي يغتني . ولكنني لا أرى أساساً لترجمة كلمة "أثرى" بـ "غنى" كما إني لا أتفق مع ليدزبارسكي في حديثه عن "اثرى وملاخا . ص ٥٢٧-٥٢٨" وقوله من أن الكلمة قد اختيرت لتجنب الالتباس بأسماء الملائكة لدى اليهود والاسلام إذ يبدو توضيحه ضعيفاً . وأنا أرجح اشتقاقها من معناها المجازي : يمتلئ إلى أن يطفح . وأشك بأن يكون للفعل الصابئي (نثر) ومعناه يطفح . أصل ذو علاقة بكلمة "اثر" . ويذكر البروفيسور "روبرتسن سمث" في كتابه "أديان الساميين" اسم إله في الجنوب العربي يسمى "اثتار" يتحكم في الري ، ويقول إن "عثارى" كانت تعني ما يروي من السماء ومن الينابيع (أراضي بعل) . وهنا مصدر معنى أصيل لهطول المياة من السماء على الأرض ، وهو يكتسب لدى الصابئين صفة الماء الحي الآتي من بيت الحياة . وهكذا قد يكون معنى "اثرى" . بالأصل أرواح الحياة التي تهب الخصب والغنى على شكل مطر وينابيع . وفي الأراضي القاحلة التي لا تنبت إلا حين تهطل أمطار الربيع ، فإن رسلاً كهؤلاء هم حقاً "واهبو الحياة" . وإن حقيقة تسمية زوجات "الملكى والاثرى" سحباً وقطرات (انانيا ونطفتا) يلقي ضوءاً على هذا الرأي . وأرى أن كلمة "اثرى" كانت تطلق بالأصل على الأرواح النورانية وأنها أخذت معنى أوسع بالتدريج . إن الاسم العربي لمجموعة النجوم "الثريا" تصغير "ثروة" تعني في الاعتقادات القديمة ، كما ذكر البيروني إن المجموعة هذه كان ينظر إليها كواهبة للمطر .

٣-هيبل زيوا . يترجم الكهان الصابئون هذا الاسم بـ "واهب النور" وهو أسهل وأكثر الأسماء النورانية استعمالاً . ويذكر في التقاليد والأساطير أكثر مما يذكر "منداد هيي" . ويجب ألا يلتبس باسم "هيبل" بن آدم . وأسماء عائلة آدم تشكل جملة هي : "آدم هيبل شيتل" ومعناها (الإنسان منح الذرية للجنس البشري) .

٤- اباثر : يوضح الصابئون أن هناك اباثرين اثنين أحدهما "اباثر موزانيا" وهو ملاك النجم القطبي (ومعه أربعة ملكي أو اثرى) والثاني هو "اباثر راما" وهو لقب هيبل زيوا . وهذا يوضح ما يبدو تناقضاً بين كتاب "كنزه ربه" و "ديوان اباثر" وكتب أخرى : فهيبل زيوا فيها يطابق "اباثر" أحياناً ومتحد مع اباثر أحياناً أخرى . ويتحكم "اباثر موزانيا" بالموازين التي توزن بها الأرواح . ويعتقد البارسيون أن الروح توزن بعداجتيازها جسر "جنفات" من قبل "ميهر دافار" . ميهر القاضي . وفي "اليسنه" يكون "فوهومانا" . العقل النير . هو الذي يزن أعمال الناس يوم الحساب .

٥- إبثاهيل : يربط ليدزبارسكي هذا "الخالق المادي" بالاله "بتاح" لدى المصريين . ويشير براندت إلى أن شخصية ابثاهيل متناقضة . فهو يظهر كشيطان وكآله : وفي الاعتقاد الحالي لدى الصابئين فإن ابثاهيل يحكم على الجن "شفياهى" . وهو يتسلم أرواح الموتى التي تصل حديثاً ويطلقها في رحلة خلال المطهر منتهيا عند "اباثر موزانيا" .

فإذا رجحت كفة الروح في تلك الموازين فإنها تجتاز الامتحان وتعبر في زورق إلى عوالم النور حيث تلتقي بالأرواح الطاهرة الأخرى وبنظيرتها الروح المثلى (دموثه) . والصينيون يعتقدون أيضاً بوزن الروح وبتوقفها في المطهر وبالرحلة بالزورق إلى الجنة وهكذا فالتشابه مع الكتاب المصري يلعب دوراً أكيداً في مصير الروح بعد الموت . ويوصف ابثاهيل في الكتب الصابئية كخالق أو خالق جزئي أولا . وكعاص لدنيا الأنوار ثانياً . غير أنه ندم أخيراً واستجاب . إنه ابن "هيبل زيوا" (اباثر) من زوجه زهرييل وهي روح أنثوية دنيوية . ويعلق "هرمز برانهر" على ذلك فيقول : . "ابثاهيل بن هيبل زيوا وزهرييل فهو ابن النور والظلام وكليهما . إنه ملاك . ملكا . يتحكم بالنجوم الأقل شانا" .

٦-الفترات الزمنية : يذكر الشهر ستاني ومؤلفون عرب آخرون نظرية الصابئين الحرانيين التي تخص هذه الفترات .

فالزمن المخصص لكل فترة (كلبه) ٣٦٠٠٠ سنة . يقول البيروني . ص ١٧ . "إن الفرس والمجوس يظنون أن استمرارية العالم هي ١٢٠٠٠ سنة وهو ما يطابق رقم علامات الروج وعدد الأشهر السنوية" .

٧- هبشبه : ومعناه حرفياً أول يوم في الأسبوع . وتلفظ في الآشوري الذي يتحدث به الأثوريون كما هي لدى الصابئين أيضاً "هوشابا" . والأحد ، مجسداً ، يذكر غالباً في أدبيات الصابئين . ففي أسطورة "هرمز شاه" يظهر "هوشابا" مطابقاً لـ "يوكابر زيوا" . يوخاور زيوا . والصابئون مثلهم كمثل عباد المسيح و "مثرا" يضفون على يوم الشمس شرفاً خاصاً . ففي دين مثرا يكون ذلك بسبب كون هذا الكوكب مركز حياتهم وشعائر الخصب لديهم ، ولدى المسيحيين بسبب ما يقال من أن يسوعاً قد نهض من الموت في يوم واحد ولأن الشمس المشرقة ترمز إلى البعث . فالاعتقاد بأن الشمس تغرب في الغرب الذي يرتبط بالموت وأن شروقها في المشرق الذي يرتبط بالولادة ثانية أو الانبعاث ، إنما هو اعتقاد شائع في جميع أنحاء الكرة الأرضية . ومن المحتمل أن يكون الصابئون قد ورثوا هذا التقليد عن الإيرانيين . ويتحدث كتاب "كنزه ربه" عن تفاهة الاهتمام بالأحد لدى المسيحيين فيقول "في يوم الأحد يبقون أيديهم عاطلةً" مقارناً إياهم بالصابئين الذين لايعتبرون يوم الأحد يوم راحة كالمسيحيين أو كما ينظر اليهود إلى يوم السبت . فالعماد والطقوس الدينية تجري في يوم الأحد وهو أيضاً يوم مبارك للعمل .

٨- الكواكب : يلاحظ البروفسور "مولتون" أن الكواكب في النظام المجوسي مخلوقات "اهرمن" . والشيطان ويقول إنه "يشك ما إذا كانت كذلك حقاً في المزدكية الإيرانية الأصلية لأنها مسماة بأسماء اليازتات" . فجوبيتر اسمه اورمازد وفينوس اسمها أنا هيت إلخ . . (كتاب الشعر الديني المبكر في فارس) .

٩- أوج الموازنة متعددة بين الأفكار والشعائر الصابئية وبين الأفكار والشعائر المثرية والسامية والمجوسية والتي ترتبط فيها الشمس وأشخاصها وأبطالها ورموزها بمبدأ الحياة الإلهي .

١٠- نركَل : كان في الأصل إلهاً شمسياً كشامش (الشمس) ومردخ ، وكان إلهاً للحرب والوباء والخراب ، وأيضاً إلهاً للموتى ، ويرتبط بالآلهة (الاتو) الدنيوية .

١١- البارسيون المعاصرون كالمجوس (انظر البيروني) سنتهم اثنا عشر شهراً وكل شهر بثلاثين يوماً مع خمسة أيام إضافية كبيسة لا تحسب (ايام كاثا) . وقد قسم البابليون السنة إلى اثنتي عشرة فترة فلكية ذات ثلاثين يوماً لكل فترة مع خمسة أيام وربع اليوم إضافة .

١٢- توقف البارسيون عن حساب الأوقات الكبيسة منذ أن هاجروا إلى الهند (بعد مجيء الاسلام حسب قول البيروني) .

١٣- يستعمل المسلمون واليهود والنصارى في العراق هذا النوع من الكعك في الأعياد . وهذه الدوائر المقسمة إلى أرباع وذات النقط تنقش أحياناً فوق الخوانات الطينية في وجبات طقوس الزواج لدى الصابئين . وقد وجدت هذه العلامة قبل المسيح مدموغة في واجهة مزهرية من "تابوس" .

وتستعمل هذه العلامة في الوشم وقد شاهدت الآنسة سميتون W.smeaton شرطياً من عشيرة آل ازيرج في العمارة وقد وشم بهذه العلامة على كلا صدغيه (لأن امه كانت تفقد اولادها فارادت أن تحتفظ بحياته) كذلك تستعمل بالوشم للشفاء من وجع الرأس .

١٤- تصف الألواح الطقسية لإله السماء "انو" في "اوروك" . الوركاء . إنه في شهر نيسان (ابريل) وهو السنة

الجديدة في الحساب البابلي ينهض قبل شروق الشمس ويغسل نفسه في ماء النهر ثم يرتدي ملابس جديدة ويصلي إلى "بيل" . ففي السنة الجديدة كانت الآلهة تتزاور . وفي الفترة الآشورية ـ البابلية ، يظهر أن عيد رأس السنة في شهر نيسان ، كان مرتبطاً بعيد "اكيتو" كما بحث ذلك البروفسور بالس في "عيد اكيتو البابلي" . وتماماً كما يفعل الكهان الصابئون في استطلاع طالع الشعوب والأفراد في تلك السنة كذلك كانت "الواح الطالع" تستشار من قبل الكهان البابليين في رأس السنة الجديدة . وفترة امتناع الصابئين عن الخروج من البيوت في هذا العيد تذكر بانحباس تموز تحت الأرض ثم بانبعاثه وعودة الخصب للأرض في الربيع . ومن المحتمل كما أوضحت أن عيد رأس السنة لدى الصابئين كان في الأصل عيداً ربيعياً .

ويشير البيروني إلى أن نوروز الفارسي قد بعد عن زمانه الأصلي الخاص (ولهذا فهو في زماننا يطابق دخول الشمس برج الأسد الذي هو بدء الربيع) وقد كتب هذا في القرن العاشر للميلاد .

واليوم السادس من شهر "فار داردان" يوم "خرداذ" هو نوروز العظيم وهو عيد كبير الأهمية لدى الإيرانيين . ففي هذا اليوم كما يقولون أتم الله الخليقة وهو اليوم الأخير من الأيام الستة (الأيام الكبيسة الخمسة التي يضعها الصابئون في الربيع أيضاً) التي ذكرت في أعلاه . ففي هذا اليوم خلق الله زحل . ولهذا فساعاته الأكثر حظاً هي ساعات زحل ، ويقولون أيضاً "في نفس اليوم جاء زردشت ليشترك مع الله وكيخسرو في الطعام المقدس ثم ارتفع إلى الهواء . وتوزع الأسهم السعيدة في نفس ذلك اليوم بين الناس فوق سطح الأرض" .

١٥- يذكرنا تعليق الأكاليل على عتبات البيوت بعد الربيع عند اليزيديين حيث تعلق الأكاليل على البيوت بوساطة "القوّالين" . ويقع هذا العيد في نيسان شهر الربيع ويظهر من نواح أخرى في وجبات الطعام الطقسية على أرواح الموتى قريباً من "بروانيا" ، عيد البنجه لدى الصابئين .

١٦- يذكر البيروني صفحة ٣٢٨ أن اليهود يعتبرون اليوم العاشر من شهر محرم "عاشوراء" يوماً مقدساً لأن "الله قد أغرق فرعون في مثل هذا اليوم" .

١٧- هنا أيضاً تلميح لانحباس تموز (انظر الملاحظة ١٤) . فالبارسيون المعاصرون مثلهم كمثل المجوس يعتبرون الأيام الخمسة الأخيرة من السنة مقدسة .

(تعرف الأيام الأولى من هذه الأيام العشرة بـ "بنج ـ آي ـ كي" أي الأيام الخمسة الأقل شأناً . وتعتبر الأيام الخمسة الثانية ـ كاثاكها مبار ـ أياماً كبيسة وتسمى "باغ ـ أي ـ كمى" أي الأيام الخمسة العظمى ويقام لها تقدير عظيم أكثر مما يقام للخمسة الأولى) .

والأيام الخمسة الأخيرة من الشهر (ابان ـ ماه) والتي أولها "اشتان" تدعى (فاردردا جان) ، وخلالها يضع الناس الطعام في صالات الموت ، والشراب فوق سطوح الدور ، معتقدين بأن أرواح الموتى تأتي خلال هذه الأيام من أماكنها في الثواب أو العقاب وتقصد المواعين الموضوعة لها تمتص قوتها وتتذوق نكهتها . وهم يقومون بتبخير الدار بخشب العرعر ليستنشق الموتى عبيره ، أما أرواح التقاة فتسكن مع أسرها وأطفالها وأقربائها في الأعمال ولو أنها لا ترى . وكان بين الفرس جدال حول هذه الأيام فهي لدى البعض الأيام الخمسة الأخيرة من شهر "ابان" ولدى البعض الآخر هي "اندر كاه" أي الأيام الخمسة التي تضاف بين شهر "ابان" وشهر "اذارياه" وحين ازداد الجدل والخصام اختاروا جميعاً عشرة أيام لوضع الأمر على أساس ثابت ، إذ إنه من الأشياء الرئيسية في دينهم ، وهم يريدون أن يكونوا دقيقين ما داموا عاجزين عن التحقق من الأمر بصورة أكيدة . وهكذا أطلقوا اسم "فارورا داجان" على الأيام الخمسة الأولى وأطلقوا على الخمسة الأيام الثانية (فارورا داجان الثانية) . والأخيرة أكثر أهمية من الأولى" ـ البيروني ص ٢١٠ ـ .

والبارسيون المعاصرون كالمجوس يقومون بإجراء شعائر خاصة على أرواح الموتى في الأيام الخمسة الأخيرة من السنة وفي الأيام الخمسة الكبيسة التي تسبق السنة الجديدة كما يقوم النساطرة المسيحيون في العراق بتناول طعام الذكرى (ذخرانه) من أجل أقرباء الميت وأسلافه ومن أجل القديسين في عيد الفصح . ويصاحب عيد الربيع لدى اليزيديين في نيسان تناول وجبات طعام طقسية على أرواح الموتى تتضمن ذبحهم لكبش .

"في اليوم الذي يسبق عيد الربيع يذبح كل يزيدي حملاً أو يشتري لحماً لغرض إهدائه للميت ؛ وفي فجر اليوم التالي يتوجه الشباب والشابات إلى التلال لشم الأزهار . ويزين كل بيت بالأكاليل ، بعد ذلك تأخذ النساء الطعام الذي هيأنه ويزرن قبور موتاهن يصاحبهن "القوّالون" بالطبول والمزامير والصنجات . ويوضع الطعام الذي يعطى بعد ذلك للفقراء فوق القبور بينما يأخذ الكهان بالابتهال ، ولا ينسى النساء تقديم المنح المعتادة لهم . وحين انتهاء زيارة المقابر تقام الأفراح والمسرات في ذلك اليوم" . استيفنس : مع دجلة والفرات .

Stevenes By Tigris and Euphrates. P.185.

(انظر الفصول ١١ و ١٢ و ١٣ من أجل الاطلاع على وجبات الطعام المقدسة على روح الميت لدى الصابئين والبارسيين) .

وليست غايتي هنا الخوض في العقائد والعادات المتشابهة مع اليابانيين والصينيين التي تتضمن الوجبات الطقسية وزيارة الأسلاف والموتى لأقربائهم وتنظيف البيوت إلى غير ذلك . . . يظهر بوضوح أن هذه الشعائر عن الموتى في وقت الربيع منتشرة لدى الأقوام على طول الطريق التي كان يسلكها تجار الحرير .

١٨- قد تكون الفكرة إيرانية . يقول مودى : . "حين يسير المرء حافياً فهو يقترف خطيئة في كل خطوة إلى غاية ثلاث خطوات ، وحين يخطو الخطوة الرابعة تكون الخطيئة "تانا فيرى" . وتعتبر الخطايا هذه مقترفة إذا كان المرء منتعلاً فردة حذاء واحدة وحافياً بقدم واحدة . . ففي الخطوة الأولى التي يخطوها المرء حافياً هكذا يتناقص حليب مئة بقرة ونعجة وجمل ، وفي الخطوة الثالثة يتناقص حليب ثلثمائة بقرة ونعجة ، وفي الخطوة الرابعة يتناقص حليب جميع الأبقار والأغنام وكل ذوات الأربع في القارات السبع (كشفار) . ويوضح مودى أن سبب ذلك هو احتمال تماس القدم بالأشياء الدنسة . والكهان الصابئون يكونون حفاة الأقدام أثناء أداة الصلاة وإجراء الطقوس . وفي بيوتهم يقفون فوق حصير لدى إجراء المراسم الدينية . وقد جاء في كتاب "كنزه ربه" ما يشير إلى اعتبار الحفى خطيئة .

١٩- هذا العيد وهو يأتي بعد ٩٠ يوماً من البنجه يمت بصلة إلى أول "خورام روز" الذي يسميه الفرس أيام البيروني "نواد روز" (الأيام التسعون) ، لوجود تسعين يوما بينه وبين نوروز ، وهذا يقدم دليلاً آخر على أن البنجه الصابئية كانت في يوم ما تسبق السنة الجديدة كما هي الحال في "البنجه المجوسية" .

٢٠- كنشي وزهلي (الكنس والتنظيف) . تطهر البيوت وتزين ولا يخرجون خارج دورهم هكذا وصف البارسيون في سورات خلال "فرافاديكان" .

الفصل السابع
ـ التعميد ـ (مصبته)

إن الطقس الرئيسي في شعائر الصابئين هو الاغتسال في الماء، الذي لا يعتبر رمزاً "للحياة" فحسب بل إلى درجة معينة، الحياة نفسها. وقد قال لي أحد كهان الصابئين يوماً "إن الأرض تشبه امرأة ويشبه السماء الرجل لأنه يجعل الأرض خصبة". ويتكرر هذا الرأي عدة مرات في كتابي "الف ترسسر شياله" وشرح الپغره حيث يعتبر الماء نطفة. والاعتقاد بأن الماء يحتوي على سائل قادر لا على إخصاب الأرض فقط بل والنساء أحياناً، يظهر في سيرة يحيى المعمدان: ـ "لقد اعطى انش اثرا، انشبى ماءً من "اليردنه" لتشرب ومن ذلك أصبحت حاملاً" و "زكريا وانشبى كانا شيخين وحدث أن شربت ماء وأصبحت حاملاً من ذلك الماء".

هاتان الروايتان المختلفتان لنفس القصة رواها لي كاهنان مختلفان. وليست الفكرة خاصة بالصابئين، فهناك أسطورة لدى بعض المسلمين تقول "إنه بعد استشهاد المنصور الحلاج ملأت اخته اناء من ماء النهر واختبأت روح أخيها في ذلك الابريق وحين شربت منه الماء أصبحت حاملاً ثم ولدت ولداً بعد تسعة أشهر" (١). من هنا يظهر الاغتسال في الماء هو اغتسال في سائل الحياة. فهو يمنح الجسم العافية ويقي الإنسان من قوى الموت ويعد بحياة الروح الأبدية (٢). وميزته الثانية هي التطهر، فكما يطرد الماء القذارة والتعفن والنجاسة من الجسم كذلك يطرد الخطيئة والنجاسة من الروح (٣).

والماء الذي يعكس النور يعتبر شكلاً من أشكال النور، فالشخص المتعمد حديثاً يعتبر "مرتديا حلة النور". وفكرة أن الفلك مملوء بضياء سائل وأن الماء شكل مكثف من أشكاله، تظهر في الاعتقاد بوجود الزوارق الفلكية. والماء مع ذلك ليس كله سائلاً

سحرياً واهباً للحياة، إن جزءاً واحداً من تسعة أجزاء منه فقط هو الماء الروحي الحيوي، وسائر الأجزاء تسمى "تاهمي" وهو سائل عديم الحياة يمر باستمرار في طريقه إلى مياه البحار المرة، في حين يقوم الماء الحي بأداء واجبه أو يرتفع إلى السماء مرة أخرى حيث "اليردنه" السماوية "فرات زيوه" أو الفرات النوراني. وقد قال لي "كنزفره" من الصابئين ما يأتي: -

"إن ماء هذا العالم يقسم إلى تسعة مثاقيل، ثمانية منها ماء أرضي وواحد هو ماء الحياة لتقوية جسم الإنسان؛ وما يخرج كفضلات من الجسم البشري هو الماء الأرضي ويبقى الماء السماوي في الجسم ليمنحه الحياة" [٤].

إن طقوس الاغتسال بالماء التي تقام مع إجراءات وصلوات معينة هي احتفال ديني تجلب جميع خواص هذا الماء السماوي وتضعها موضع التطبيق وتجعل متناوله قادراً على الاستفادة منه.

هذه الآراء قديمة قدماً سحيقاً وتشير إلى استمرارية الفكر والتقاليد. فمياه كارون ودجلة والفرات أو الزاب هي ذات قداسة متساوية لأن جميعها تحتوي على هذا الجزء السحري من الماء الحي "ميَّه هيّي" أو ماء الحياة.

واحتفالات الاغتسالات الصابئية ثلاثة أنواع [٥] يسمى الأول "الرشامه" (الوضوء)، ولا تحتاج هذه إلى مساعدة الكاهن، فكل إنسان فيها كاهن نفسه، وكل طفل صابئي يتعلم هذه الصلوات التي تلقن [٦] له. و "الرشامه" يجب أن تجرى يومياً على أن يكون مجريها غير حاسر الرأس، وأن تقام قبل شروق الشمس تماماً وبعد التبرز والتبول، وقبل جميع المراسم الدينية، والخلاصة فهي كالوضوء لدى المسلمين وبخاصة لدى المذهب الحنفي.

والنوع الثاني من الطهارة هو ثلاثة ارتماسات في النهر وتجرى دون الحاجة إلى كاهن أيضاً وتسمى "كماشه"؛ وهي ما يجب أن تجريها المرأة بعد الحيض [٧] وبعد الولادة [٨]، ولو أنها في الحالة الأخيرة يجب أن تكمل بتعميد كامل؛ كما يجب أن تجرى بعد لمس جثة [٩] الميت، وبعد الجنابة في المضاجعة والاحتلام [١٠] أو بعد أية نجاسة كانت أو أي اتصال بشخص نجس، فالنجاسة معدية؛ ومن يمس شخصاً غير نظيف يصبح غير نظيف هو نفسه؛ وفي حالة الجنابة يجب أن يجرى هذا الاغتسال حالاً

من قبل كل من الرجل والمرأة، وفي حالة الموت تجرى أيضاً حالاً بعد دفن المتوفى، وفي حالة الولادة تجرى حالما تستطيع المرأة أن تمشي وبأسرع ما يمكن. والطهارة الثالثة هي التعميد "مَصْبُتَّه" وتلفظ أيضاً "مصفته" وسأستعمل بدلاً من هذه الكلمة اختصاراً، بالرغم من عدم صحة التعبير، كلمة التعميد الكامل، وهذا يتضمن مراسم قداس الزيت والخبز والماء وتصافح اليدين والتقبيل، وهو ما يسمى منح "الكشطه"، البركة الأخيرة التي يمثلها وضع يد الكاهن اليمنى فوق رأس الشخص المتعمد. ويقوم بإجراء هذا التعميد الكامل الكاهن في يوم أحد، إثر نجاسات كبرى (الزواج، الولادة، التماس مع الميت، الخ...)، وبعد خطايا معينة كقول الكذب والنميمة، وبعد عراك حاد، وفي الحقيقة، بعد أي عمل يخجل المرء من إتيانه. وكما قال لي أحد الصابئين، إنه بعد النطق بكلمات فاحشة يقول الإنسان لنفسه من الأحسن لو تعمدت (اصطبغتُ بالعامية العربية). والخطايا الرئيسية كالسرقة والقتل والزنا تتطلب أكثر من عماد واحد. وبصورة عامة فكل ما كثر التعميد كان ذلك أحسن، هكذا يقول الكهان.

إلا أن التعميد لا يجرى إلا يوم الأحد وفي أعياد معينة وبخاصة في الأيام الخمسة الكبيسة (البنجه)، ويكون العامة من الصابئين في مثل هذه الأيام محتفظين عادة بملابسهم الدينية (الرسته) مطوية تهيباً من الطقس البارد مبرزين عملهم بقولهم "كنا مرة نعيش حيث الينابيع الحارة في الشتاء الباردة في الصيف، وحينذاك كانت "المصبته" سهلة في مثل هذه الأيام" (*).

إليك وصف الوضوء الأول (الرشامه) (١١) بصورة مفصلة. حين يقترب الصابئي من النهر يقول: "ابرخ يَرْدنه ربه إدْميه هيي" (ابارك اليردنه العظمى الماء الحي) أو "بشْميهون اديهى ربّي أسوثه وزكوثه نَهفيلَخْ يا آبْ أبوهُن ملكا برياويس يردنه ربه إدْميِّه هيِّي" (باسم الحياة العظمى لك الشفاء والطهر يا أبي وأباهم ملكا برياويز، اليردنه العظمى للماء الحي). وهنا يجب أن يعقد زناراً (هميانه) قبل أن يتقدم إلى الماء بعد ذلك ينحني ويغسل يديه قائلاً: "بشميهون ادهيي ربي هللنين ايدن بكشطه واسفن، بهيمنوتا مللنين امِلاله ادْ زيوه وشرى طبّن بصرى دنوره" (باسم الحياة العظمى اطهر يدي بالصلاح وشفتي بالإيمان لينطقا كلام النور وليجعل وضوئي حسناً بأفكار النور).

(*) يلزم للصابئين القيام بتصحيح التقويم السنوي بتقديم السنة يوماً واحداً كل أربع سنوات. وهو ما أهملوه طيلة هذه المدة - لتأتي البنجه في أيام الربيع الدافئة وهو وقتها الطبيعي في حساب التقويم الصابئي الأصلي.

يغسل وجهه ثلاث مرات ويأخذ ماء بيديه قائلاً "إبرَخْ، إشْمَخْ، مشَبّهْ، إشمخ، مارى منداد هيي، إبرَخ مَشبّه هاخْ برْصُوفه ربَه ديْقار إدْ من نافشي افرش" (ابارك اسمك وامسح اسمك مولاي منداد هيي، حمداً لسيماء الجلال الأعظم الذي قام من ذاته).

يأخذ بعد ذلك ماء في يده ويرسم جبينه من الأذن إلى الأذن مبتدئاً من اليمين إلى اليسار قائلاً "إن فلان بربلانيشا رَشْمنا بروشمه إدهيي اشم ادهي واشم إدْ منداد هيي مَدْخَرْ إلي" (أنا فلان بن فلانة (يذكر ملواشته) ارسم نفسي برسم الحياة اسم "الحياة" واسم منداد هيي منطوق عليّ).

ثم يغمس اصبعيه ثلاث مرات في النهر وينظف أذنيه قائلاً "أدنى شَمِّنْ قال دْهيِّي" (لتسمع اذناى صوت الحياة).

يأخذ ماء في راحته ينشقه بأنفه ثلاث مرات معيداً في كل مرة "نهيرى أره ريهةْ إد هيي" (لتشم مناخيرى رائحة الحياة).

ثم بعد ذلك يغسل الأعضاء السفلى من جسمه قائلاً روشمه إيلاوى لَهْوَه بنُوره ولَهْوَه بمشّه ولَهْوه بِمشيهه، روشمي إمشى روشمى بَيْردنه ربَّه إدْ ميّه هيي اد انش ابهيلى لا مصى اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخرالى". (ليست علامتي هي النار - اشارة جدالية للمجوس - ولا هي الزيت (مشه يساوي زيت او موسى وهنا اشارة إلى اليهود) وليست هي المسح (مشيهه يساوى المسح أو المسيح وهنا اشارة للمسيحيين، إن علامتي هي "اليردنه" العظمى الماء الحي الذي لا يستطيع الإنسان أن يحصل عليه بقوته وحده، إن اسم "الحياة" واسم "منداد هيي" منطوقان عليّ).

ثم يرتشف ماء في فمه من راحته اليمنى يتمضمض به ثلاث مرات قائلاً "بُمِّى بوثُه تشبيه تمله" (ليمتلئ فمي بدعوات التسبيح) ويلفظ الماء إلى الجهة اليسرى.

يغسل ركبتيه ثلاث مرات قائلاً "برِكى إدْ مِبريخا وساغدي إلْهيى ربّى" (لتبارك ركبتاي الحياة العظمى ولتسجدا له).

يغسل ساقيه ثلاث مرات قائلاً "لغرى اد مدريخا دركى كُشطه وهَيْمنوثه" (لتتبع ساقاي سبل الحق والايمان).

يغمس أصابعه في النهر ويداه ممدودتان معاً وراحتاه نحو الأرض قائلاً "أنا بلان بربلا نيشا - الملواشه - صبينا ابمصبته اد بهرام ربه برروربي، مصبتي تناطري وتسق

لريش اشم ادهى واشم اد منداد هيي مدخر اليّ" (انا فلان بن فلانة عمدت نفسي بعماد بهرام الكبير بن القدرة، وعمادي سيحرسني ويرفعني إلى الأعلى - حرفيا الرأس - إلى البدء - وهنا يعني أوج الكمال أي بيت الحياة - اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليّ).

وأخيراً يغمس قدمه اليمنى في النهر مرتين وقدمه اليسرى مرة واحدة قائلاً "لغرى وايديهون ادشفه واترسر لا تتشلط الى اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخرالى. (لتبتعد عن قدمي ويدي سلطة السبعة - كواكب - والاثني عشر - علامات البروج - اسم الحياة واسم منداد هيي منطوق عليّ) (*).

سنرى أن هذاالرسم هو عبارة عن عماد صغير للتخلص من النجاسات الصغرى ولوقاية المرء من الأخطار اليومية، كما أنه تكرار للإيمان بالحياة الأبدية. ولا يذكر في هذا الرسم، أو في أية طهارة أخرى حتى طهارة الأواني، كأدوات الطبخ، إلا أسماء الحياة واسم منداد هيي والاسم الفارسي" بهرام"، وهذا يقابل "يازاتا" (ملاك) نصر لدى البارسيين المتصل بصعود الروح. ففيما يتعلق بهذه الطقوس التطهيرية يمكن أن يعتبر "بهرام" رمزاً لانتصار الروح على الموت والصعود إلى عالم النور. ويرينا استعمال هذا الاسم الطبيعة الجوهرية الفارسية لطقوس امتزجت مع طقوس مائية أصلية وقديمة.

والطهارة الثانية هي الارتماس (الطماشه) وتسمى أحياناً "كَاياس كوميّه"، وقد شاهدتها تمارس بعد دفن أحد الموتى، حيث رأيت أحد حاملي الجنازة يخوض في ماء النهر بعد أن خلع "الرسته" عدا السراويل (شرواله) وحملها صرة معه إلى النهر، وحين بلغ مكاناً عميقاً كافياً، غطس ثلاث مرات تحت سطح الماء ورش الماء على رأسه ثلاث مرات أيضاً، معيداً في كل مرة دعاء كما يلي: -

"بشميهون إدِ هيي ربي انا اثبن بهيله وهيلى يردنه ايلاوى اشرى ايثى انهت اليردنه اصطبه قبل دخيه وروشمه (ملواشه) وسطلى زيوه اترس بريشي كليله روازى اشمدا هيي واشمه اد منداد هيي مدخر اليّ انا بلان بر فلانة (ملواشه) صبينا بمصبته اد بهرام ربه بروربى مصفتى تناطرى وتسق لريش". وترجمتها (باسم الحياة العظمى أسأل القوة لتنعشني قوة اليردنه الماء الجاري، لتأتي إليّ لقد ارتسمت في "اليردنه" تحت

(*) انظر الملحق حول "الرشامه".

سطحها وقبلت العلامة الطاهرة، لقد لبست أردية النور ووضعت على رأسي إكليلا متألقاً، إن اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليّ. أنا فلان بن فلانة المتعمد بعماد بهرام الكبير بن القدرة وعمادي سيحرسني ويرفعني إلى الأعلى).

وأنا أتصور بأن تعبد "الاكليل المتألق" ـ يشير إلى الماء المرشوش فوق الرأس ـ وهنا اعتبر الماء مرة أخرى مرادفا للنور. وطبعا إن جميع أقسام الرسته تكون قد غمرت في الماء وهي في قبضة الرجل.

ومهما كان الطقس بارداً (وفي الشتاء يوجد الجليد في القنوات المائية أحياناً) فيجب إجراء هذه "الطماشه" بعد النجاسات الكبرى. وفي حالة عدم وجود كاهن لإجراء العماد الكامل اللازم إجراؤه في مثل تلك الأحوال فـ "الطماشه" تقوم بدور وقائي موقت ضد قوى الشر وتكون حائلة دون نجاسة الأشخاص الآخرين فالأدوات الأخرى بالعدوى.

والطهارة الثالثة هي العماد الكامل. وأدواتها الطقسية قليلة وبسيطة، إذ يجب أن يكون لدى القائم بها بضعة أغصان طرية من الآس موضوعة في حوض مليء بالماء لئلا تذبل(*) وهذه الأغصان أو "اكَيا" تهيأ لعمل أكاليل الآس (كليله) [١٢] التي يستعملها كل من الكاهن والنفوس وأن النفس (ملواشه) ـ وهذا هوالتعبير الذي يطلق في الطقوس على الأشخاص الذين يتعمدون ويتسلمون القداس وسأستعملها في وصفي ـ فإذا كان هناك علم (درفشه) فأحد الأكاليل تستعمل له أيضاً. ثم يجب أن توجد "الطريانه" أو الخوان الطيني، وهي عبارة عن طبق دائري من الطين المخلوط بالتبن(**) توضع فوق حلقة طينية (كنكانه). وفي "الطريانه" تجويف شبه دائري تحدده حدود تسمى "ميسري" توضع فيه الـ "قَوْقَه"، وهي عبارة عن مكعب من الطين الناعم المفخور في أعلاه انخفاض دائري بسيط بحجم العملة ذات الخمسة فلوس، فيه شيء من البخور (ريههْ) وهذا عبارة عن مزيج من مسحوق خشب الراتنج (سندراش) وخشب الصندل والجاوي. و "البريهى" الذي يحتل سائر "الطريانه" عبارة عن وعاء بيضوي للنار من طين، يحترق فيه الخشب والقصب والفحم كوقود؛ وفي الاستعمال يجب أن يكون الطرف الضيق منه متجهاً نحو الشمال. وحين توقد النار فهي إما أن تستعمل لحرق

(*) ليس من الضروري وضعها في الماء بل المهم أن تكون طرية لتطوى .

(**) يستعمل التبن لتقوية الطين وضمان عدم التشقق وليس مادة مفروضة دينيا .

البخور أو لخبز "البهثه" [١٣] (الخبز المقدس). ومحيط "الطريانه" التي في حوزتي، حوالي ٣٥ انجاً وطول التجويف شبه الدائري (ميسره) حوالي خمسة انجات في القاعدة وثلاثة انجات في الطرف المقابل ومحيط وعاء النار (البريهي) حوالي ١٩ انجا وحوالي الانج والنصف عمقاً وهو أقل عمقاً في الطرف الضيّق منه: وفي "الطريانه" انخفاض يتدرج ابتداء من الحافة إلا أنه ليس عميقاً.

وفي المناسبات التي يتعمد فيها أناس كثيرون أو في مناسبات "اللوفانى" يستعمل إضافة لـ "الطريانه" أو عوضاً عنها، صندوق طيني مستطيل الشكل يكون غطاؤه مقعراً قليلاً وله "ميسره" كـ "الطريانه" تستعمل من أجل حمل "البريهى" و"القوقه" كـ "الطريانه أيضاً".

ويجب أن يكون الدقيق (ويطحن من قبل الكاهن) (*) والملح جاهزين من أجل "البهثة"، كذلك يلزم وجود كاسات ضحلة الغور من أجل الماء المقدس. والكاسات هذه من النحاس ويبلغ محيط الواحدة منها حوالي أحد عشر انجاً أو أقل، وتشبه في الشكل كاسات القداس التي تظهر في أدوات الشعائر المترية. (انظر كومونت (Cumont, monu-ments وتسمى الكاسة هذه (كبثه) وكان الماء الذي تملأ به هذه الكاسات في الأزمنة التي تعاصر العشاء الرباني المسيحي يؤخذ من "اليردنه" مباشرة، أي من ماء النهر او حوض العين أو من دورق زجاجي (قنينه) مملوءة لتوها بالماء، أحياناً أخرى.

ويعمل الخبز كما يلي: ـ يأخذ الكاهن قليلاً من الملح والدقيق في يده ويذهب إلى النهر ويمزج ذلك بالماء في راحة يده وتتكون لديه نتيجة ذلك رقاقة تشبه البسكويت تدعى "بهثه". وفي أيام التكريس الجماعي تكون "البهثه" أكبر حجماً، وهي إن لم تؤكل جميعها في أول وجبة للأرواح المتعمدة، توضع في بعض التجاويف، إما في جدار البيت أو في الجدار الخارجي لـ "المندى". ولا يهم أين توضع ما دام التجويف كان قد طهر بالماء، ثم تستعمل للوجبة الثانية. ويجب عدم الاحتفاظ بها وقتاً طويلاً فالخبز المعمول يجب أن يؤكل في نفس الجلسة (**)، كذلك الحال مع الماء المقدس "الممبوهه"، وبعكس ذلك يفقد الماء المقدس صلاحه إذا ترك قائماً لليلة واحدة.

(*) ليس شرطاً أن يكون الدقيق من طحن الكاهن .

(**) ليس شرطاً أن يؤكل كله في نفس الجلسة .

وتصوّر "البهثه" في كتاب "ديوان اباثر" مستديرة مع علامة صليب فوقها، إلا أنني لم أشاهد مثل هذه العلامة في الطقوس الحالية. إن فكرة الصليب المسيحية الممثلة للتضحية بالدم، هي على الضد من العقيدة الصابئية؛ ولم تكن هذه الإشارة مرتبطة حتى لدى المسيحيين بآلة تعذيب المسيح بل كانت رمزاً "للحياة" أو رمزاً (للشمس). وفي وجبات البارسيين الطقسية يؤشر بعلامة الصليب فوق الوجبة الطقسية من أجل الميت ويظن مودى (J.J.M., P.401) بأنها رمز للجهات الأربع من البوصلة، ويدعم هذا الرأي الطقوس النسطورية، فالكاهن النسطوري حين يضع أربع رقاقات في صحن القربان على هيئة صليب، يدمدم بكلمات "من الشرق إلى الغرب من الشمال إلى الجنوب". ومن المحتمل أنها تمثل رحلة الشمس وعودتها رمزاً للبعث (انظر الفصل ٦ ملاحظة ١٤).

والماء المقدس "مبوهه" أو "مبوغه" هو ماء صرف، ولا تخلط الخمرة أو عصير الفاكهة بالماء إلا في احتفالات "المسخثه" من أجل الميت، وفي احتفالات الزواج، ومن هذا اعتبرتها تكثيفاً لرمز الخصب النباتي. ويصرح الكاهن بأنه "في أي وقت من الأوقات في القداسات العادية لا يشرب إلا الماء الصرف". وآخر أدوات الشعائر هو "الدرفشه" ولا يستعمل في جميع حالات التعميد. فهو لا يستعمل في حالة تعميد امرأة بعد الولادة مع أنه يمكن استعماله في حالة تعميد فرد واحد (شاهدت واحداً يستعمل في التعميد يوم "دهفا حنينا"، العيد الصغير، حين كانت هناك روح واحد يعمد). أما في أيام عماد "البنجه" فهو موجود دائماً؛ إن القسم المتصالب في "الدرفشه" الذي تتدلى منه قطعة القماش الحريري والمخيطة عليه أيضاً قد اعتبر صليباً من قبل أناس أصروا على أن يروا في المندائيين الصابئين شكلاً من أشكال المسيحية، وليس هناك أي أساس لمثل هذا الرأي الخاطئ. إن العلم هو مجرد رمز للنور فالصابئون يتصورون أن نور الشمس والقمر والنجوم ينبعث من أعلام كهذه تماماً.

ولا يدخل الماء في طقوس تكريس العلم بل لا بد من بعض الصلوات، وقد دون ليدز بارسكي قسماً منها. فقطعة القماش عبارة عن حرير أبيض غير مطبوع وقد قال بعض الصابئين إنه يجب أن يحاك بعدد معين من الغرزات، وقال آخرون بعكس ذلك. والنماذج التي رأيتها ولو أنني لم أتمكن من مسها (*) لقياسها كانت متساوية الحجوم

(*) يجوز مس العلم (درفشه) في غير أوقات إقامة العشائر الدينية .

وإذا حكمت بالمشاهدة فقط كان طول القطعة ثلاث ياردات وكان عرضها ذراعاً واحداً (انظر الفصل السادس ملاحظة ٤). وبما أن ارتفاع السارية كان حوالي ياردتين فقد كان القماش يرفع إلى الأعلى لئلا يتماس مع الأرض ويلقى حول السارية. ونهاية القماش ذات أهداب، وينزلق من فوق السارية اكليل من الآس. في نقطة التقاطع تماماً مختبئة عن الأنظار. وتوضع قطعة من سلك ذهبي يسمى"اران درفشي" (*) مع سبعة أغصان من الآس. والسارية تكون من أي نوع من الخشب ويكون أسفلها المدبب المغروس في الأرض مغلفاً بالحديد. إن قطعة القماش لا قطعة الخشب هي التي تخص بالتكريس، ولو كانت هناك أية أهمية للسارية ولقسمها المصلب لعين نوع الخشب ولكان من الأنواع الطاهرة كالصفصاف أو الزيتون. و "الدرفشه" لا تحمل بالمسيرات والاحتفالات (**).

وقبل التعميد تمسك "الأرواح" بالقسم الأدنى من السارية، ثم بالقسم الأعلى بأيديهم اليمنى، معيدين في كل مرة دعوات بعد الكاهن، وتكون يد الكاهن اليمنى، فوق أيديهم (أو فوق يده إن كان المتعمد واحداً) وهو يمسك بـ "الكبثه" و "والاكليل".

ولم يكن في التعميد الذي رأيته، وكان تعميد امرأة بعد الولادة، "درفشه". وأعتقد أن تدوين ملاحظاتي لهذه المشاهدة ذو أهمية لأنها ملاحظات شاهد عيان لماكان يجري، بالرغم من أنني أضفت بعض التصليحات والملاحظات بعد ذلك.

.تعميد امرأة بعد الولادة.

جرت العملية في يوم أحد في العمارة حيث لم يكن هناك "مندى" بل كان النهر هو مسرح الغطس بالماء. بدأت المراسم في الضحى بحيث كان اليوم والساعة مشمسين، وقد وصلت في الوقت المناسب وحين ذهب "الكنزفره" لارتداء "الرسته" أرتني اخته "گرطاسه" الدقيق، وأغصان الزيتون الطرية في الماء والأدوات الشعائرية الأخرى. أوقد "الكنزفره" نفسه النار في الخشب والفحم في وعاء النار (البريهى) الذي كان قائماً فوق الخوان الطيني (طريانه) وكان أول عمل قام به هو الوضوء (الرشامه) (وقد وصفته فيما

(*) أي (عران) أو قرط العلم والعران حلقة معدنية تعلق في أرنبة الأنف للزينة .

(**) يحمل العلم (درفشه) وراء جنازة الميت التي يسير وراءها الكهان ومعهم الكتب الدينية .

سبق). وفي عودته من النهر إلى البيت (وكان البيت قريباً من النهر وليس على ضفته) أخذ مكانه حافي القدمين، مرتدياً "الرسته" كاملة، فوق حصير، وظهره نحو الشمس مواجهاً النجم القطبي، الذي كان يجلس خلفه كما أوضح "اباثر موزانيه" على عرشه. ثم بدأ "الرهمى" وهي صلوات لن أصفها هنا لطولها بل سأكتفي بوصف الفعاليات التي صاحبتها وكانت تتضمن صلوات الأحد، لأن لكل يوم "رهميا" خاصاً به. وسأنقل من ملاحظات مطبوعة كملحق لكتابي "مع دجلة والفرات (By Tigris and Euphrates) مع تصحيحات قليلة.

يتفقد "الكنزفره" يلفظ أيضاً "كنزه" مع الدعاء، كل جزء من أجزاء "الرسته" يمسها واحدة بعد الأخرى. وتكون تلاوته في صلاته هذه سريعة وجهورية بحيث ينبهر نفسه أحياناً فلا يعينه. يأخذ التاج (تاغه) بيديه ويمس بها، مستمراً على التلاوة، فمه وعينيه وجبينه ثم يضعها تحت عمامته فوق رأسه. يرفع يده اليمنى إلى الجهة اليمنى من عمامته ويبقيها هناك لحظات يلتقط بعدها وعاء البخور ويمسه بيده عدة مرات. بعد ذلك يقبض بأصابعه شيئاً من البخور ويتوقف عن التلاوة لحظة يلتقط أثناءها عوداً طويلاً من القش يحرك به النار في وعائها ثم يعيد وعاء البخور إلى "الطريانه" ويستأنف دعاءه ثم يلقي بقبضة البخور إلى النار الموقدة قائلاً "ريهه اد هيي بسم" (*) يتوقف عن التلاوة ويفتح سدره إد نشماته يقرأ فيه بسرعة وبنفس الترتيل الدعائي. ينحني بعد ذلك مستمراً على القراءة ثم يجلس القرفصاء وهو لا يزال يقرأ ويأخذ بطرف "نصيفته" الطويل بيده ويرفعها إلى عمامته بينما هو لا يزال مقرفصا قارئاً متأرجحاً من اليمين إلى اليسار. ويكون الصولجان "مركنه" مستنداً إلى ثنية الذراع اليسرى. يرخي يده التي تمسك بطرف "النصيفة" إلا أنه يظل ممسكاً بها. يقف ثانية مستمراً على القراءة وعاملاً بعض الإشارات بيده اليمنى. يأخذ قبضة أخرى من البخور و يلقيها في النار واضعاً صولجانه للحظة في يده اليمنى (لاحظ أنه لم يمس الصولجان بيده اليسرى مع أنه يستند إلى ذراعه الأيسر خلال قسم من المراسم). يجلس على عقبيه ثم يذهب إلى النهر ويمزج الدقيق والملح بالماء لصنع الخبز المقدس (بهثه) بينما تلبسّ "كرطاسه" ابن أخيها الصغير (شكنده) "الرسته" وكان ينظر إليّ بابتسام. (كانت كرطاسه تدير

(*) عطرة رائحة الحياة.

معي حديثاً طيلة الوقت دون الالتفات لما هو جار). يعود "الكنزفره" حاملاً رقاقة صغيرة غير مشويه من عجين ويقدر بسكتة صغيرة، يضعها على جمرات في وعاء النار ويشويها. يأخذها بيده بعد تلاوة دعاء طويل ثم يأكلها ويشرب ماءً من دورق (قنينه) كان قد ملأه حين ذهب إلى النهر لعمل العجينة. بعد هذه الإجراءات القداسية يعود إلى النهر ليملأ "الكبثه" ويرمي الماء ثلاث مرات على طرف صولجانه. يكرر تلاوة دعاء "مقيمتون هيي قد ماي) (*) إحدى وستين مرة وهو ممسك بطرف "نصيفته" بكلتا يديه حاسباً العدد على مفاصل أصابعه (يفعل هذا مرة أخرى في ساحة الدار). ينحني وهو لا يزال ممسكاً بـ "النصيفه" ويفتح راحتيه إلى الأعلى ويداه ممدودتان إلى الأمام ثم ينحني ثلاث مرات ويداه مسبلتان إلى جنبيه. يدعو بعد ذلك ولده (**) ليعيد الدعاء بعد أبيه وهو ممسك بـ "نصيفته". يضع "الكنزفره" طرف "نصيفته" فوق عمامة الصغير ويستمر على التلاوة عجلان ممسكاً بطرف "النصيفه" مسندة إلى الجهة اليمنى من عمامته. بعد ذلك يأخذ التاج (تاغه) ويمس بها عينيه وفمه وجبينه إحدى وستين مرة وبهذا ينتهي "الرهمى" (الدعاء التمهيدي في طلب الرحمة).

يحمل المساعد الصغير (شكنده) أغصان الآس ويحمل "الكنزفره" "الطريانه" والأدوات الأخرى ويسيران مشيرين إليّ أن أتبعهما. اجتزنا الشارع القصير بين البيت والنهر حيث يقوم هناك بيت ولجت بابه إلى فسحة بهيجة في وسطها نمت الأشجار والنباتات وكان ينتظرنا هناك كهان ونساء ورجال.

أخذ كاهن شاب الشيخ عبد الشيخ مجي أسود اللحية يرتدي "رسته" بيضاء أغصان الآس من القندلفت وأزال من أطرافها السفلى الورق ثم فلقها كل واحدة إلى شقين تاركاً الأقسام العليا مورقة. وكان "الكنزفره" في هذه الأثناء مشغولاً بعمل فطيرة قداسية أخرى شواها ووضعها على قماش أبيض، ثم أخذ غصناً من الآس وفعل به مثل ما فعل الكاهن من قبل. ترك البيت بعد ذلك وتوجه إلى النهر (بقيت أنا حيث كنت) ولدى رجوعه قام هو والكاهن بعمل ثلاث حلقات من الآس. اخرج "الكنزفره"التاج من تحت عمامته ووضع إحدى الحلقات بخنصره الأيمن (الخنصر الذي به

(*) ثابت الحي القديم .

(**) ليس شرطاً أن يكون هذا الشخص ابن الكاهن إنما يجوز أن يقوم مقامه أي شخص لائق دينياً صغيراً أو كبيراً ويصح أن يقوم بالعمل المرأة إذا لم يتيسر سواها .

الخاتم الذهبي الكهنوتي - شوم ياور) وشرع يصلي و "نصيفته" مدسوسة في "الهميانه" ماساً عينيه وفمه وجبينه بالتاج وبالاكليل الذي كان موضوعاً مع التاج تحت العمامة. أخذ الطرف المدلى من عمامته وأداره حول حنكه. التقط وعاء البخور بيده اليسرى ووضع فيه قبضة من البخور ثم أعاد وضع الوعاء إلى مكانه. وقف ثانية وشرع بالقراءة بسرعة كبيرة وحين انتهى، دس أطراف قميصه السفلى في حزامه وترك النصيفة مرخاة بطولها، ثم رفع النهايتين ووضعهما على كتفيه ثم عقدهما أخيراً معاً بينما كان يكرر صلاة واحدة مرات عديدة.

عاد من بيته إلى النهر مستمراً على التلاوة ثم خاض في الماء إلى حَقْويه. غمس الصولجان مرتين تحت الماء ونصبه قائماً في النهر مسنداً بالعقدة التي شكلها بـ"نصيفته" ثم ترك الاكليل (حلقة الآس) الذي كان في خنصره ليذهب مع التيار. غسل يديه بالماء وأمسك بالصولجان ثابتاً في الطين في قاع النهر.

كانت المرأة التي يراد تعميدها (كانت في فراش الولادة وفي الأحد الرابع بعد ولادتها) والتي ترتدي عباءة سوداء فوق "الرسته"، واقفة على ضفة النهر تعيد تلاوة الدعاء بعد "الكنزفره"، ثم بعد ذلك خاضت في الماء إليه. غطست المرأة تحت الماء ثلاث مرات بينما هو يرش الماء عليها من خلفه وتقدمت إلى الجانب الأيمن من "الكنزفره" فأخذ برأسها وغمر جبينها تحت الماء ثلاث مرات ثم رسمها بإمرار يده ثلاث مرات عبر جبهتها من اليمين إلى اليسار وألبسها اكليل الآس. شربت الماء من راحة يده ثلاث مرات وأعادت بعد تلاوة "كشطه اسيخ قيمخ" (*) وهي ممسكة بيده اليمنى.

خرجت المرأة من الماء إلى الضفة، وفي هذه الأثناء خاض الماء نحو "الكنزفره" عدة أولاد صغار يحملون أدوات طبخ منزلية وقدوراً (كل ما استعمل أثناء تلك النجاسة) قدموها إليه ليغمرها بالماء ويديرها من خلفه حول جسمه ثلاث مرات وهي في الماء قائلاً: "قازغان اصبينا ابمصبته اد بهرام ربه برروربى مصفتخ تناطرخ وتسق للريش اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخر الخ" (**) على كل أداة من الأدوات.

(*) معناها : "العهد يحفظك ويثبتك" .

(**) معناها : لقد عمدنا القدور بعماد بهرام الكبير العظيم . وعمادك يحرسك ويرفعك إلى العلا : اسم الحي اسم منداد هيي منطوق عليك .

أخذ الجميع طريقهم إلى الدار ولم ينقطع "الكنزفره" عن التلاوة وجلست المرأة المتعمدة وهي تقطر ماء أمام "الكنزفره" مديرة نحوه ظهرها. أخذ هو قليلاً من السمسم من كيس واستخرج عصيراً بمزجه مع الماء في (الكبثه) ورسم به جبين المرأة ثلاث مرات وهي مقرفصة أمامه على عقبيها. بعد ذلك مس يدها فنهضت للذهاب معه إلى النهر(*) حيث رش الماء فوق ذراعها اليمنى العارية مستعملاً يده اليمنى لا اليسرى. ولدى عودتها من النهر حافظت المرأة على يدها ممدودة أمامها لئلا تمس أي شيء. وقد أخبرني النسوة أنه لا يسمح لها في هذه الحالة أن تفتح شفتيها.

أخذ الكنزفره بعد ذلك "البهثه" وأعطى المرأة لتأكل ثم صب ماء من القنينة في "الكبثه" وأعطاها لتشرب، وعندما فعلت ذلك صب ثانية وشربت هي ثانية ثم صب للمرة الثالثة ولكن لترميه في هذه المرة من فوق كتفها الأيسر وهو يقول لها "عن شمالك"، ثم وضع يده فوق رأسها وأخذ بالتلاوة. بعد ذلك مد كل من "الكنزفره" والمرأة ذراعيهما اليمنيين نحو النهر والمرأة تعيد بعده يمين الشهادة كلمة فكلمة. جلس "الكنزفره" خلف المرأة محترساً ألا يمس شيء من ملابسه الأرض، ثم نهض الاثنان وظهر المرأة دائماً إليه، وانحنى عدة مرات وتقدم ووقف بجانبها وأخذ يدها اليمنى في "الكشطه". حيته وهي تتلمس قلبها (**) وفمها وجبينها ثم جلس الاثنان القرفصاء مرة أخرى.

توقف هدير الدعاء لحظة حين غادر "الكنزفره" الدار إلى النهر. ثم عاد وقد جلب معه ماء لعمل "بهثه" أخرى (***) وهو يقبض على عجينة غير مشوية في يده اليمنى وعلى قنينة في يده اليسرى. خبز وأكل "البهثه" وشرب الماء ثم نزع "البندامه" عن وجهه وذهب إلى النهر ثانية، وحين عاد رش ماء على صولجانه ثم أخذ طرف عمامته (رغزه) بيده وكرر دعاء "مقيمتون هيي قد ماي" احدى وستين مرة.

ويظهر أن هذه المراسم عبارة عن اعادة الطقس الأول. أمسك الكاهن بعمامته بين يديه وانحنى عدة مرات ويداه ملتصقتان بجسمه.

(*) ذهاب المرأة إلى النهر في هذه الحالة إنما هو لغرض قيامها هي نفسها بغسل يدها اليمنى لتتناول بها الخبز والماء المقدسين حين تعود إلى مجلسها العمادي الأول .

(**) تمس بيدها اليمنى فمها وجبينها فقط على شكل تقبيل وتحية .

(***) لا لعمل "بهثه" جديدة إنما لقطع قطعة صغيرة من البهثه السابقة وأكلها . فهو لا يخبز بهثه جديدة إلا إذا تأكد من نجاسة الأولى .

أعطى القندلفت يده "للكنزفره" وأعاد بعده تلاوة دعاء. انزل "الكنزفره" ذيل قميصه ومس كل جزء من "الرسته" بالترتيب مصلياً من أجل كل جزء ثم سحب "التاغه" و "الكليله" التي معها تحت العمامة ورفعهما إلى فيه ثم إلى كل من عينيه بالتناوب إحدى وستين مرة؛ وبهذا انتهت المراسم بعد صلاة قصيرة وبعد أن استمر هذا الحفل ساعتين كاملتين.

بعد احدى عشرة سنة حضرت عيد العماد الأكبر (بنجه) في العمارة وقلعة صالح ثم قمت بزيارة تلك الربوع سنوياً. وقد حصل التعميد في قلعة صالح في ساحة "المندى" حيث توجد بركة ماء وقناتان من وإلى النهر مارتين بتلك القناة (انظر الشكل) وقد حفرن وطهرن لاستقبال الأيام الخمسة العظيمة، أيام القداسة والطهارة. كانت طقوس التعميد التي ترجمها "ليدز بارسكي" هي نفس الطقوس التي وصفتها فيما مر أعلاه وهي دائماً يسبقها "الرهمى" وتفقد الكاهن لنفسه وملابسه وأدوات التعميد، مع الصلاة الخاصة بذلك اليوم، ولكن هناك بعض النقاط التي يجب ملاحظتها. أولاً كان هناك "درفشه" منصوباً في الساحة بين جدار المندى الشرقي وسياج الساحة القصبي، وكان الصابئون يأتون أفواجاً لنوال التعميد ويمسكون، جماعة "الدرفشه" بنفس الحالة التي وصفتها سابقاً، قبل أن يذهبوا الماء الواحد بعد الآخر، لأن الارتماس في الماء فردي دائماً، إذ يجب أن لا تكون في الماء أكثر من "نسمة" واحدة في وقت واحد. وعند خروجهم من الماء يطوفون حول النار وأوعية البخور و "الدرفشه" دورة عقارب الساعة من اليسار إلى اليمين، وتنتظر "الأرواح"، وهي مبتلة (مرتجفة أحياناً)، الأفراد إلى أن يتجمعوا انتظاراً للقداس الذي يعطى للجميع مرة واحدة. وأعني بالقداس، الرسم بالزيت ثم "الكشطه" و "البهثه" و "الممبوهه" ثم أخيراً وضع اليد فوق الرأس ثم "الكشطه" الأخيرة أو تصافح اليدين. وجميع هذه المراسم تقام جماعة. وحين يكون الجو بارداً والريح عالية (وغالباً ما يكون هناك جليد) توقد نار من أجل "الأرواح" المبتلة المنتظرة، وبعضهم شيوخ كبار السن، ومن المعتاد وضع لوح خشبي فوق الأرض ليجلسوا عليه، إذ يحرم الجلوس على الأرض بعد الطهارة، كما أن الركوع ليس من شعائر الصابئين. وحين يقرفصون لتناول القداس فهم يجلسون على أعقابهم. وبالنسبة للصلاة، بصورة عامة، فالسجود والركوع غير معروفين، كما لا تعرف تغطية الوجه باليدين في أي مناسبة كانت.

تظل الرأس منتصبة وتظل اليدان إما عاطلتين عن العمل ملتصقتين بالجسم (السجود عندهم هو انحناء بالقسم العلوي من الجسم فقط) أو تقومان بإشارات طقسية كاللمس أو حل بعض العقد من الملابس، أو تمدان إلى الأمام والراحة إلى الأعلى. ويجب الاعتناء التام بعدم السماح لأي جزء من أجزاء "الرسته" بالتماس مع أي شيء غير طاهر. وتوضع في ساحة "المندى" الداخلية أرائك وكراس، وبخاصة إزاء الجدارين الشرقي والغربي لجلوس المشاهدين، وكان بعض هؤلاء يجلسون على الأرض، وكان المشاهدون يدخنون ويأكلون ويتناقشون، يدخلون ويخرجون كيفما شاؤوا غير مهتمين أدنى اهتمام بخفض أصواتهم وغالباً ما كانوا يوجهون للكاهن القائم بالعمل سؤالاً يجيبهم عنه بعد أن يوقف التلاوة متحلياً بروح فكهة، ثم بعد ذلك يستأنف صلاته. ويتعمد الرجال والنساء كل على حدة، وبأوقات مختلفة، الرجال بـ "الرسته" والنساء كما أشرت في ملاحظاتي السابقة يضعن عباءة سوداء فوق "الرسته" تلتصق بالجسم احتشاماً حين تكون المرأة مبتلة. وخلال هذه المعموديات الجماعية تجرى عملية تعميد الأواني مع تلاوة الدعاء الذي أشرت إليه سابقاً بين كل معمودية وأخرى، وفيها يكون الكاهن في الماء إلى ركبتيه ويتسلم كل آنية بالترتيب ويمرها حول نفسه ثلاث مرات من اليمين إلى اليسار وهو يدمدم بكلمات تعميد على كل منها، ثم يضعها على الضفة بينما يستلم آنية أخرى. ولا يمكن أن لا يتعرض لهذه المعمودية السنوية أي قدر أو مقلاة لدى الجماعة، وهم يأتون بها وقد علاها السخام الذي ينشر فوق سطح ماء البركة طبقة سوداء يطردها التيار ببطء. وتوضع القدور بعد تعميدها مبتلة سوداء في الساحة شمالي "الدرفشه" لتجف، أما القدور النحاسية فيجب تجديد طلائها قبل التعميد لمنع التسمم بالزنجار.

يجهز كل متعمد بإكليل آسي يحتفظ به في خنصره الأيمن إلى أن ينزعه منه الكاهن في البركة ويضعه فوق رأسه. وقبل أن يخطو المتعمد إلى الماء للارتماس يضع هبة مقرونة بغصن من الآس على ضفة البركة ويرش هديته بماء البركة ثلاث مرات.

ولا تقدم العطايا للكاهن دائماً بهذه الطريقة، إذ يمكن أن توضع في "الطريانه" أيضاً. ويختلف مبلغ الهبة باختلاف الواهب ومكانته المالية، فقد شاهدت على "الطريانه" ربع دينار، وعملة تعادل فلساً. ويعمد المعدمون مقابل لا شيء، إلا أن هذا

"فقدان لماء الوجه" لا يحب المتقون أن يفعلوه. ولا يجمع الكاهن الهبات أمام أنظار الناس بل يأخذها غير متباهٍ بها بعد الاحتفالات من المكان الذي وضعت فيه.

بعد إعطاء (الكشطه) يخرج كل متعمد من الماء وقد توج باكليل الآس تتدلى أوراقه الخضر فوق صدغه الأيسر، ويجلس بانتظار القداس الذي سيتناوله المتعمدون جماعة كما وصفنا فيما سلف. يجلس المتعمد على عقبيه أو على لوح من الخشب بمواجهة الشمال أو "المندى" إذا وجد. هناك يجلس يدفئ نفسه قرب النار إذا كان الطقس بارداً وملابسه تقطر ماء بانتظار تجمع الآخرين. وحين يبلغ العدد الخمسة أو السبعة أو أي عدد مناسب، يخرج الكاهن من الماء ويرسم جبين كل منهم بالسمسم ثلاث مرات، ذلك السمسم المسحوق في "الكبثه". بعد هذا يمد كل "روح" ذراعه اليمنى مع تلاوة: "بي وشكه امروشتمه" (سل وابحث وتكلم اسمع)، ثم يذهبون إلى البركة لغسل أذرعتهم، وهم لا يمسون الماء بأيديهم اليسرى بل يرشون عليها الماء باليد اليمنى ثم يعودون ويجلسون صفاً نسقاً ممدودي الأيدي وراحاتها إلى الأعلى (*)، ليتناولوا "البهثة" أجزاء صغيرة من رغيف مسطح كبير يستعمل لأكثر من جماعة واحدة. وحين يؤخذ الرغيف من تجويف الجدار يرش بقليل من ماء القنينة. والخطوة الثانية هي الماء المقدس "ممبوهه". يملأ الكاهن قنينته من ماء البركة مصطحبا معه "الكبثه". وأثناء صلوات القداس يتحدث المتعمدون ويمزحون مع المتفرجين. ويوجد عادة نوعان من "الكبثه" واحدة للكهان وأخرى لأفراد العامة. وتعاد تلاوة "بي وشكه" أثناء عودة الكاهن بالماء. ويملأ الكاهن "الكبثه" ثلاث مرات لكل متعمد، يشرب اثنتين منها، ويرمي الثالثة فوق كتفه الأيسر بينما يقول له الكاهن: - "أشَر وبدلْ لشمالخ" (**). يذهب الكاهن ويقف خلف المتعمدين الجالسين القرفصاء ويمس رؤوسهم بأطراف أصابعه عدة مرات يمدون بعدها أيديهم اليمنى نحو "اليردنه" مشهدينها على معموديتهم. هنا يأتي الرفض التام لقوى الشمس والقمر والنار حيث يقولون: "مبطلّ

(*) تمد الأيدي اليمنى بدون تقيّد بكون الراحات إلى الأسفل أو إلى الأعلى ، مضمومة الكف أو مفتوحته إنما المهم هو تهيؤهم لتناول الخبز والماء المقدسين بأيد طاهرة مع عدم جواز النطق في الفترة ما بين غسل اليد وتناول الخبز والماء المقدسين .

(**) يجوز أن يعطي الكاهن للمتعمد جرعة واحدة ثم يأمر بالذهاب إلى النهر وفي يده "الكبثه" ليشرب من النهر الجرعة الثانية وليرمي الغرفة الثالثة فوق كتفه الأيسر إذا كان عدد المتعمدين كثيراً وكان الماء في القنينة لا يكفي الجميع ويجري هذا عادة في أيام البنجه لكثرة عدد المتعمدين جماعة .

باطلى شامش... مبطلّ باطلى سره.. مبطلّ باطلى نوره (عبادة الشمس باطلة وعبادة القمر باطلة وعبادة النار باطلة).

والرفض هذا، بموضعه الهام في المراسم، يظهر كما لو أنه حشر حشرا أو أدخل للتحذير من الهراطقة والمرتدين. وفي الصلاة النهائية يقف المتعمدون جميعاً ويعطيهم الكاهن "الكشطه" الأخيرة ويده مغطاة بـ "النصيفه". وعند الانتهاء من القداس يرمي كل متعمد اكليله ببركة الماء. وحين ذهبت إلى اللطلاطه (قرية صغيرة قرب قلعة صالح) كانت "أرواح" الشيخ يحيى عدداً من فقراء الصابئين القادمين من الأهوار، وكانوا ذوي تراكيب بدنية أدنى من إخوتهم في المدن، بالرغم من وجود شيوخ بينهم، كانوا في غاية الوسامة.

وحصل التعميد في النهر كما جرى في العمارة. نصب "الدرفشه" في الساحة أمام بيت الكاهن وكانت الكتب المقدسة موضوعة فوق كرسي مغطاة بالخام الأبيض.

وبالرغم مما ذكرت عن وضع المتفرجين فلا يوجد أي شيء مستهجن في سلوكهم، فهم لا يعتبرون القداس مفيداً للنفوس فقط بل وللأبدان أيضاً فهو وقاية ضد هجمات الشياطين (شفيا هي) والأرواح الشريرة الأخرى التي تجلب المرض والموت وسوء الطالع. وقد سمعت سيدة كبيرة السن وهي تخرج من الماء بعد ارتماسها الثالث وقد أبقاها الكاهن منتظرة أكثر مما ينبغي كما ظننت، سمعتها تقول ما يفهم منه طلب الإسراع بالإجراءات من الكاهن، وكانت محقة في ذلك فقد كان الرجل الطيب قد تلكأ قليلاً للوقوف أمام آلة التصوير. إلا أن الصابئين يسافرون عدة أيام ويتحملون كثيراً من المشاق لغرض الاستفادة من القداس. إن مضايقات وسخريات غير المؤمنين، أو أية صعوبة أخرى ليست بقادرة على منعهم من المشاركة فيما يعتبرونه بركات لا تقدر بثمن [١٤].

ملاحظات حول الفصل السابع

١- الماء وأرواح الأسلاف . انظر مولتون Moulton حول فراقاشي . الشعر الديني المبكر في فرس . ص ١٤٢ . فريزر J.G.FRAZER في الطوطمية والزواج بالأباعد . وأدونيس واتيس وازيريس لنفس المؤلف .

٢- الماء والخلود : . في ملحمة على لوحة في تل العمارنة أن "ادابا" الرجل الأول ، استدعى أمام "انو" إله السماء حيث قدم إليه خبز الحياة وماء الحياة إلا أن "ادابا" رفض لأن "ايا" كان قد حذره مسبقاً من أنه سيقدم إليه خبز الموت . ويأسف "انو" لذلك ، فقد رغب في أن يمنح الإنسان الذي كان قد وهبه الحكمة ، المنحة العظمى منحة الخلود ، إلا أن "ادابا" جعل ذلك غير ممكن برفضه .

ويذكر غالباً "ماء الحياة" بصورة خاصة في شعائر "ايا ومردخ" كما يقول الفريد جريمياس Jeremias الذي اقتبست منه في أعلاه عن مقالته "السماء البابلي والجحيم" . يقول جريمياس "إن ماء الحياة كان يشرب أيضاً ولا يستعمل فقط لرش الماء المقدس وللتطهير كما نوضح ذلك في قصة "ادابا" وكان ينظر إلى دجلة والفرات كأنهار مقدسة تجرى الأضاحي لمياهها . كما تبرهن على ذلك النقوش التاريخية . وتقام على ضفافها التطهيرات المقدسة . و "ايا وابنه مردخ" هما إلها "ماء الحياة" .

بأمر "ايا" يجب أن تفتح الدنيا ينبوعها من الماء الخالد . كما نقرأ في تعاويذ المرض عندهم : . "اذهب يا بني مردخ . . واجلب الماء من فم النهرين واعمل تعويذتك النقية وقدسه بتعويذتك الطاهرة هذه ، ورشه على الرجل ابن الرب" .

ومرة أخرى يأتي ذكر "الماء الطاهر . . . ماء الفرات . . الماء المختبئ في المحيط قد طهره فم"ايا" الطاهر . . . أبناء المياه العميقة والسبعة قد جعلوا الماء نقياً طاهراً ورائقاً .

ويسمع المرء تكراراً ، (اناء مردخ التطهيري) . وكان كاهن "بارو" يجري التطهير في النهر كجزء من شعائره وبخاصة عند شروق الشمس . وقد جاء في ألواح تتعلق بشعائر شامش في "شيبار" أن بيت لتطهير (يشابه ربما المندى الصابئي) يقام على ضفة النهر مع بيت عبادة وبركة للسماح بمرور الماء الجاري من النهر وإليه بقناتين (انظر الفصل القادم) .

مع جميع هذه الأدلة لا أرى من الممكن الشك في أن شعائر الماء لدى الصابئين ، المقامة منذ أول ظهور شعائر الماء ، إنما هي في الأساس شعائر تمت إلى سكان البلاد الأصليين وقد استمرت تحت تأثير أديان مختلفة وحافظت على تقليد طقسي مستمر لا توقف فيه .

٣- الماء الجاري كمطهر من الخطيئة الطقسية والخطأ الخلقي . (انظرالملاحظات حول المقدمة رقم "٣") . وهذه الفكرة في لدين الفارسي القديم تظهر لدى البيروني ص٢٠٢ يقول : . "امر" "ياما" الناس بأن يغسلوا أنفسهم بالماء ليتطهروا من خطاياهم وأن يفعلوا ذلك كل عام لينجيهم الله من مصائب ذلك العام . . وبالنسبة لرأي آخر فإن سبب الاغتسال هو أن هذا اليوم . يوم رأس السنة . هو يوم "هاروذا" المقدس . ملاك الماء الذي يتحكم به . لذلك كان الناس ينهضون من النوم في هذا اليوم مبكرين مع انبثاق الفجر ويذهبون إلى ماء الينابيع والآبار . وباستمرار . يأخذون الماء الجاري بإناء ويصبونه على أنفسهم معتبرين ذلك فألاً حسناً ووسيلة لنجاتهم من الضرر . وهذا "الهاروذا" يمكن أن يكون هو "هاور فاتات" . الروح المجسدة للصحة والانبات . وبهذا يكون التماثل هنا مع فكرة الصابئين قوياً جداً .

ويرسم هيرودوتس صورة لتبجيل الفرس للأنهار والنهيرات ، وهنا يظهر مرة أخرى أن هذا عقيدة قديمة أصيلة .

إن لدين "مثرا" الفارسي الذي انتشر بسرعة وقوة لينافس الكنيسة المسيحية الأولى ارتماسا في الماء أيضاً وهو رمز واضح لتطهير الروح كما أن لهم أيضاً رسماً للجبهة وتكريساً للخبز والماء كطقوس الصابئين . ويقول كومونت Cumont في "اسرار مثرا" عن المسيحية والمثرية :- "لقد اكتشف كلا الخصمين ، مندهشين ، ولكن دون التلميح للأصل ، التشابه الذي كان يوحدهما وكانا يلعنان روح الخديعة التي عملت على تشويه طقوس كل منهما الدينية" . ومن غير الممكن هنا إعطاء تفصيل عما يعرف بالنحل التي كانت تمارس التطهر بالاغتسال والتي كانت تبرز من فارس ومن بابل ، فعند براندت ورايدزن شتاين في كتابيهما ما فيه الكفاية :

1- Brandt die Judischen Baptismen und L1 chasal.

2- Reitzenstein Die Vorgeschichte Der Christichen Taufe.

إن النحلة المغتسلة السامبيسية (sampsaeans) توحي بشيء خاص ، إذ لا يوجد فيها أي أثر للمسيحية وإن الوصف المعطى لمراسمهم يظهر تشابههم القوي للشعائر الفارسية والصابئية . ويعطي رايزن شتاين ص ٢٠٣ . وصفا للاغتسالات الهندية التي تجرى في عيد "افارونا براغاسا" وفي تضحية "سوما" ؛ ونكليهما أفكار أصيلة متشابهة ـ التطهر من الخطيئة وصيرورتهم أبناء للنور واكتساب الخلود . والألفاظ التي يتفوه بها القائمون بهذا العمل حين يغادرون الماء بعد آخر إجراءاتهم تشبه إجراءات الصابئين بشكل يلفت النظر فهم يقولون :- "لقد شربنا سوما وأصبحنا خالدين وذهبنا إلى النور" .

٤- ماء الحياة : في قسم الخليقة في كتاب "دراشه اد يهيا" جلب "هيبل زيوا" "يردنه" لف بها الأرض (أره اد تيبل) على شكل دائرة ونصب هناك مقياساً كان يقيس به الماء ، ثم يصب به الماء الحي : "وحين دخل الماء الحي في الماء الفاسد ناح الماء الحي وبكى" .

٥- يمت هذا بصورة تامة إلى "باداياب" و "نان" و "البارشنوم" ، الزردشتية ، فالأولى بسيطة جداً وهي تستغرق دقيقة أو اثنتين وتقام دون مساعدة الكاهن (J.J.M.,P.91).

و "نان" هوالحمام ، و البارشوم هو الطقس المعقد الطويل الذي يتضمن ثلاثة حمامات طقسية . ومراسم (اليسنا) التي تعني المشاركة في الخبز المقدس (دارون) والشراب الطقسي (هوما) بمراسم تشبه "اللوفاني" {انظر الفصل ١٣} . والفرق بين "النان" وبين "الطماشه" الصابئية أن الأخيرة لا تتطلب كاهناً لتقيام بها .

٦- يجب أن تجرى "الباداياب" بعد الاستجابة لنداء الطبيعة لدى النهوض من النوم وقبل تناول وجبات الطعام .

٧- الحيض :. (آ) البارسيون والفرس القدماء يقولون : "إن النزيف يجعل الشخص ذكراً كان أو أنثى غير طاهر ، وليس الشخص وحده فقط بل ، والذين يلامسونه ، قبل أن يطهر نفسه بالاستحمام ويصبح طاهراً" . "ويظهر في إيران القديمة . . . في كل قرية أو شارع أنه كان يوجد أيضاً "داستانستان" أو بيت للنساء الحائضات . وكان المفروض أن يكون هذا المكان على بعد (١٣) ياردة من النار والماء في البيت ، ومن محلات العبادة ، وعلى بعد ($\frac{١}{٢}$) ياردة من المحلات التي يتردد عليها الرجال باستمرار . . . وإن عليهن أن لا يمسن أي شيء . فكل ما يمسسنه يصبح نجساً . وإذا كان معهن أطفالهن وأريد إخراجهم من "الدانستانستان" تغسل أولاً أيديهم ثم جميع أبدانهم بالماء . وإذا مس امرؤ امرأة حائضاً أصبح نجساً ، فإذا كان فعله هذا عن قصد منه فعليه أن يطهر نفسه بالاستحمام" . (J.J.M.P.171'172).

ويصف "السير جيفانجي" الطعام الموصوف لامرأة حائض فيقول : "كان عليهن أن يتسلمن وجباتهن بأوان معدنية ، لا خشبية ولا خزفية . لأن السوائل تنفذ في هذه أكثر مما تنفذ في الأولى ويكون من العسير تطهيرها . ولهذا فضررها بالصحة يكون أكيداً للذين سيستعملونها بعد ذلك . كما عليهن أن لا يستعملن أيديهن عاريات عند تناول الطعام بل عليهن أن يرتدين قفازات أو أكياساً في أيديهن ثم يأكلن بوساطة الملاعق" .

"وفي اليوم الذي يتوقف فيه النزيف على المرأة أن تطهر نفسها بالاستحمام قبل الاتصال بالأشخاص الآخرين وبالأشياء ، ويجب غسل وتنظيف فراشها وملابسها الخارجية ، وعلى الذين يلامسونها أن يغتسلوا أيضاً .
ويعطي "دستور داراب بهلان" في فرزيات ناما الفارسي" النصائح التالية مأخوذة من تعاليم "بهلوى زند" و"بازند" فيقول : (١) حين تظهر الأعراض ، على المرأة أن تغير ملابسها الاعتيادية . (٢) أن تبحث عن مكان منعزل وأن تبتعد ، أو أن لاترى ماء أو ناراً أو رجلاً مقدساً ، ولا الشمس أو القمر ولا السماء أوالجبال ولا النجوم أو الأشجار . (٣) إن كل ما تراه يلحقه الضرر أو النقصان . (٤) وعليها حين تأكل أن تضع فوق يديها قطعة من قماش عتيق وأن تأكل بالملعقة وعليها حين تشرب أن لا تدع نقطة ماء واحدة تسقط على بدنها . (٥) عليها أن تعتزل الناس من ثلاثة إلى تسعة أيام تغمس بعدها نفسها بالماء و "الكوميز" . (٦) فإذا فشلت في أداء أي من تلك الفروض فعليها أن تقوم بصلاة الندم .

(ب) الصابئون : يذكر ميمونيدس في "دليل المعقدات" نظريات مشابهة فيما يخص الحيض لدى صابئة حران ويقول بأن الصابئي كان يعتبر نفسه نجسا حتى بسبب الريح التي تهب عليه من طرف امرأة حائض . وكان الحلاق بسبب عملية الفصد وقص الشعر يعتبر عندهم غير طاهر "وأن كل من أمر موسى فوق بدنه كان أيضاً غير طاهر إلى أن يطهر نفسه بالاغتسال" .

(جـ) اليهود : اللاويون المنتسبون للسلطة الكهنوتية يمكن أن يكونوا قد تأثروا بالأفكار الفارسية فيما يخص النجاسة .

٨- يلزم على المرأة والرجل البارسيين أن يستحما (نان) بعد الجماع .

٩- الرشامه والبادياب : (والبادياب أبسط أشكال الطهارة أوالوضوء الذي يجب على البارسي أن يمارسه عدة مرات يومياً . وكلمة بادياب هي الشكل الحديث لـ "بايتي . آب" وفي الأفيستا والذي صيغته الفهلويه " بادياف" . وتعني الكلمة رش الماء (آف) فوق الأجزاء المكشوفة من الجسم (بايتى) . وفيما يأتي وصف مراسم البادياب : يوجد ثلاثة أقسام في البادياب تعرف جميعاً باسم "باديبا . كوستي" . والقسم الثاني أو المركزي هو البادياب الخاص الذي تسبقه الصلاة وتتلوه . والشخص الذي يقوم بإجراء البادياب يقول أول ما يقول : "افعل هذا من أجل مسرة اهورامزدا" . ثم يتلو الصيغة القصيرة "شوم فوهو" وبعد أن ينتهي من ذلك يغسل وجهه والأجزاء المكشوفة من بدنه كاليدين والقدمين وهذا هو البادياب الخاص) . (J.J.M.,P.92).

و "الرشامه" تشبه الوضوء عند المسلمين ، فالمسلمون كالمندائيين ، يتلون دعاء قصيراً يصاحب كل عملية من عمليات الوضوء . {انظر كتاب وورتابيت . الدين في الشرق ص ٢١٢} .

١٢- من المحقق أن استعمال الصابئين لطقوس الآس قريب من طقوس البارشوم الزردشتي . والبارسيون المعاصرون يستعملون بدل الآس أغصاناً معدنية كانت في الزمن الغابر أغصان شجيرة أو شجرة . والصيغة التي يستعملها الصابئون حين يشمون الآس أو أي نبات عطري هي "ربهه اد هيي بسم" رائحة الحياة منعشة . تذكر بتاريخ طويل لطقوس قديمة تتصل بالخصب والحياة . إن الكتابات التصويرية التي تمثل إنساناً يشم غصناً قد وجدت في الوركاء على لوح يعود إلى ما قبل التاريخ (حفريات الوركاء) ويصف ايزيكيل في "المكروهات" وهي عبادة الشمس والكواكب . النساء النائحات على تموز وخمسة وعشرين رجلاً يعبدون الشمس متجهين نحو الشرق . لو . وهم يضعون أغصاناً على أنوفهم .

ويلبس الكهان المجوس أكاليل من الآس ، وكان السومريون والبابليون يمسكون بأوراق النبات أمام الآلهة التماسا للخصب .

١٣- البهثة : يرى زميرن Zimmern ونولدكه Nöldeke أن هناك علاقة بين البهثه . الخبز المقدس لدى الصابئين . وبين طقوس "بِت . پي" أي فتح الفم و "مِس . پي" أي غسل الفم البابلية . ومن المحقق أن تعليقات الكهان في

طقوس وجبات الطعام على روح الميت لدى الصابئين (كتاب الف ترسر شياله) تقول بأن روح الميت تتوقف عن الحيوية وعن العمل إلى أن يؤكل طعام باسمها . وأكثر من ذلك فإن "ذخرانه ربه" أي القداس السنوي على روح الموتى الذي يقام في عيد الربيع كما هو مدون في كتاب "شرح بروانايا" يسمى "بثاها" . فتح . . وأخيراً فإن "بثاهيل" هو الملاك الموكل بتسلم أرواح الموتى . ولكن البراهين على هذه النظرية قليلة للغاية لوجود مراجع ضئيلة في هذا الشأن .

١٤-يرى البروفسور ليتز مان Lietzmann في إطلاق المسيحيين السوريين كلمة "يردنه" على البركة برهاناً على أن الصابئين قد أخذوا تعميدهم عن الطقوس المسيحية . ويضيف برهاناً آخر هو أن الكنيسة السورية تدع المهدات للمعموديات تجري بينما تكون البركة فارغة من الماء ، ثم يسمح للماء بعد ذلك بدخولها لإجراء الارتماس الفعلي . وعملية السماح بدخول الماء يسمى "پارا" . وجاء في الأساطير الصابئية (الكنزه) أن منداد هيي أمر يوحنا أن يدع اليردنه تجري طليقة . وفعل في هذا "بارا" أيضاً . والآن فإن هذا الجريان الطليق أمر ضروري في بركة "المندى" . فإذا اعتقد الكاهن بأن الماء قد أسن أمر بتنظيف القناتين ليعود الماء "حيا" أي جاريا . ويقول ليتز مان :

"إن جميع شعائر التعميد لدى المندائيين ماهي إلا تقليد لاحتفالات التعميد لدى السريان المسيحيين ، وهي تتماثل وجميع المعموديات في الماء (يردنه) . ويعتقد ليدز بارسكي بأنها شعائر قديمة ويستنتج من ذلك برهاناً على أن أصل المندائيين هو نحلة عمادية تسكن حول ضفتي الأردن . . . من كل هذا ينتج : أن المندائيين لا علاقة لهم بيوحنا أبي المسيحيين الأوائل ، وأن جميع القصص والحكايات حول يحيى في الأدبيات المندائية قد جاءت من العهد الجديد والأساطير المسيحية وأضيفت إلى الصورة الدينية لهذه الطائفة أخيراً إبان الحكم العربي ، أي ليس قبل القرن السابع" . (Ein Beitrag zur Mandäerfrage).

من المحتمل أن تكون كل قصة يوحنا مأخوذة من المصادر المسيحية . ولو أني أشك في ذلك ما دام يوجد . كما أشار ليدز بارسكي ، حذف واختلافات لا تعد في القصص الصابئية حول يوحنا والتي تحدث أيضاً في العهد الجديد .

أما أن فكرة الطقوس التكريسية الصابئية مسروقة أيضاً أو أنها "نسخة من طقوس الكنيسة السورية الشرقية" حسب التعبير الذي استعمله البروفسور ليتز مان فهو أمر لا يمكن الدفاع عنه مطلقاً . إن فكرة التكريس الصابئية أقرب إلى الفكرة الزردشتية منها إلى المسيحية ولها وحدة جوهرية تنقص الطقوس المسيحية . إن وجود تشابه بين الطقوس المسيحية الأولى وبين الطقوس والعقائد والشعائر الصابئية والزردشتية ممكن جداً إلا أن جميع الدلائل تشير إلى أن المندائية (الصابئية) والمسيحية قد تطورتا من مركزين مختلفين وتحت تأثيرات مختلفة .

ومن المحقق كما أشار إلى ذلك براندت وبوسيه وشتاين من أن شعائر التعميد كانت منتشرة بصورة واسعة بين عدد من النحل إلى درجة من الصعب جداً معها أن تقول كيف انبثقت كل منها : لقد مارسها الكاشيون لا كطقس منفرد بل كطهارة متكررة كما يفعل الصابئون . (مشاكل الغنوصية ص ٢٧٧-٢٩٦) .

ويقول جوزيفوس Josephus في المجلد الرابع ص ٢٢٢ إن الطهارة لدى الاسينيين شكل من أشكال التعميد لأنها كانت تمارس قبل وجبة الطعام اليومية العمومية ، أو إذا تدنس "اخ" بتماسه مع أفراد فئة أدنى منه دينياً . أو في حالة قبول مرشح عضواً في النظام الكهنوتي . كما أن فئات يهودية أخرى كالهميرو المعمدانيين كانوا يمارسون تطهيراً طقسياً ويقولون : "نحن نأسى لمسلكك أنت يا من تنطق بالاسم الآلهي صباحاً دون استحمام" .

لقد كانت تلك الارتماسات التطهيرية جزءاً من طقوس دينية كانت تمارس في العراق لعدة آلاف من السنين قبل المسيح كما أشرنا إلى ذلك سابقاً .

الفصل الثامن

ـ المندا ـ بيت العبادة ـ

المندى أو بيت العبادة ويسمى بالنصوص الصابئية (مندا) أو (مشكنه) هو من السمات البارزة في مندائية الوقت الحاضر. وإن حقيقة وجود قواعد صارمة يجب ملاحظتها فيما يخص بناءه وشكله واستعمال القصب والطين مختلطين في تركيبه (في بلد لا يستعمل فيه الآجر إلا للبنايات المهمة كالمساجد والقصور والكنائس) ثم اتصال الكوخ بقناة ماء جار للطهارة، كل ذلك يشير إلى الارتباط بعبادة الماء القديمة البدائية. فالتركيب والنسب والمواد والشكل كلها موصوفة كتابة ومعروفة شفاها، ويؤكد لي الصابئون قدم هذه الأمور قدما سحيقا ـ من عهد آدم .. وتوجد حقاً أسطورة تقول: "كان المندى قبل يحيى يشبه بيتا من بللور ولكن حين طرد الصابئون من (أورشليم) كان عليهم أن يتخذوا له شكلاً من أشكال البناء مما يمكن إقامته بسهولة". هذه هي الحكاية التي يحبون أن يقصوها عن الزمن القديم. وبسبب الاعتقاد بأن البللور عبارة عن ماء متبلور أو متجمد فهو يمكن أن يعني تبجيلاً لفكرة كوخ العبادة أي بيت الماء.

هنا تخطر على الذاكرة الصورة البابلية والسومرية لـ "ايا" آله المياه وهو يجلس في مقصورة من الماء الجاري. ومما يوحي إلى ذلك أيضاً مؤلف مسز فان بورن (Van Buren) الساحر (المزهرية الجارية والآلهة ذو الجدول) والذي تترسم فيه عن طريق فن الصور المنقوشة عبادة هذا الآله، إله الأعماق والأنهار، من الزمن السحيق المهجور إلى زمن البابليين المتأخرين، وهي توضح عمق واستمرارية تراث الاتجاه الديني نحو الماء لدى قوم يعتمدون كلية على الأنهار والسيول في خصوبة أرضهم. وقد سبق أن بحثت في الاشتقاق المحتمل لكلمة "مندا" بمعنى بيت العبادة ولا أستطيع أن أوضح لماذا قلبت كلمة "مندا" إلى "مندى" في لغة الحديث والتي تعني صيغة الجمع. و"المنادى" التي

شاهدتها تختلف قليلاً في الحجوم لا في النسب أو في التخطيط العام. وفي الأيام الخمسة التي تسبق "البنجه" - الأيام الخمسة الكبيسة - يعتبر المندى غير طاهر لأن تلك الأيام الخمسة مكرسة لقوى الظلام. ولهذا السبب كنت قادرة على تدوين ملاحظات دقيقة عن تركيبه ومقاييسه وعلى أخذ الصور الفوتوغرافية له.

يقام المندى دائماً على ضفة نهر ويحاط بسياج من قصب وطين (وهذا ليس ضرورياً من الناحية الدينية وإنما غايته حجب الطقوس عن الأعين المتطلعة) وهو بلا تغيير، تلتحق به بركة للطهارة تقع في الجنوب منه تتصل بها من طرفيها قناتان واحدة تأخذ الماء من النهر والثانية تصبه فيه أو في الحقول المجاورة لغرض إبقاء الماء جارياً بصورة مستمرة وليكون في البركة ماء حي لا راكد [١].

ويحتوي السياج القصبي أو الطيني كلاً من "المندى" والبركة ويمر عبر القناتين. وفي أوقات احتفالات الارتماس التالية ينصب العلم الحريري (درفشه) على ضفة البركة إلى الجنوب الشرقي من الجهة اليمنى من الكوخ.

والكوخ عبارة عن بناء بسيط من القصب والبواري المطلية بالطين. والصرائف أو أكواخ القصب هي المساكن المعتادة لسكان الأهوار وللمعدان في الجنوب، بينما تدل بيوت الشعر السوداء على أن ساكنيها أعراب من الصحراء أو بدو رحالة كالصلبة والغجر (نايير في المندائية) أو أن نقول إنها بيوت الرحالة والرعاة بدلاً من أن تكون بيوت القبائل المستوطنة أو شبه المستوطنة. وتبنى قرى أعراب الأهوار من القصب كلياً بينما يتخذ الرعاة والقبائل الصحراوية أصحاب الإبل الخيم الصوفية السوداء بيوتاً لهم بصورة شاملة، فإذا ما استوطنت قبيلة رحالة فهي تستعمل أول ما تستعمل البواري بدلاً من نسيج الصوف، كما هي الحال مع بني تميم الذين استوطنوا خلال الخمس عشرة سنة الماضية. وعلى الأغلب فإن ضواحي أية مدينة في جنوبي العراق من بغداد فنازلاً عبارة عن أكواخ من القصب يسكنها فلاحون أو معدان متجولون يزودون أسواق المدن بالمنتجات اللبنية وبالدواجن والأغنام.

يوجد عدة أنواع من بيوت القصب، والنوع العام هو الكوخ الذي تكون دعائمه حزما من القصب تجمع إلى بعضها وتشد وتربط من الرؤوس العليا لتشكل أنصاف أطواق وهذا يستعمل في الأهوار بصورة تامة. والنوع الثاني هو ما يسمى بـ "الجمالي"

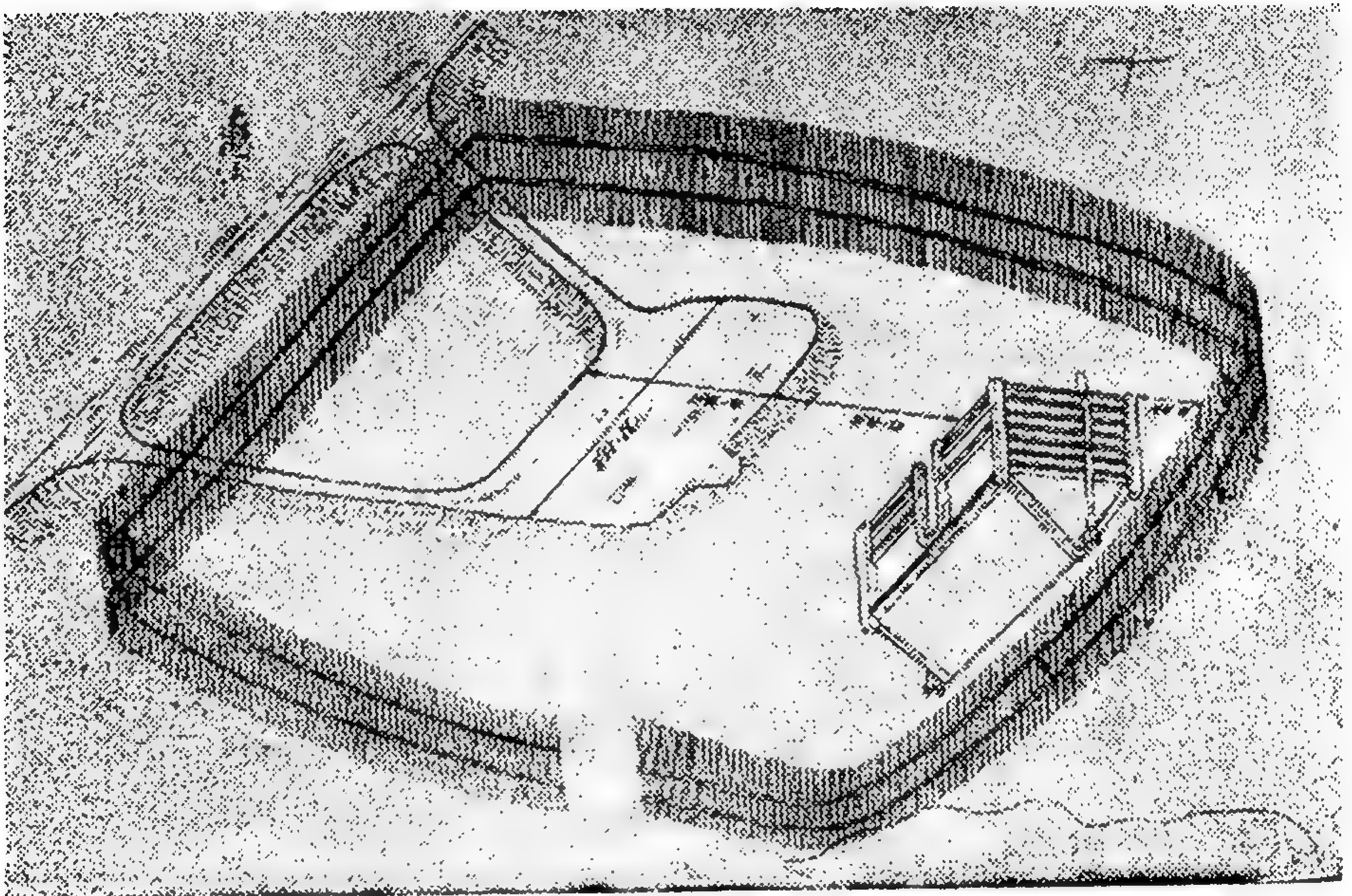
والذي هو أكثر ثباتاً ومقاومة للطقس، ويختلف في البناء عن الكوخ. فهنا يوضع جسر للسقف يستند إلى قائمتين أو عمودين متشعبين من الرأسين أو إلى "شبتين" من القصب تتشعب كل منهما في الرأس إلى شعبتين (٢). والجسر هذا يسند البواري التي تلقى فوق السقف المنحدر إلى الجدارين الجانبيين المنخفضين، ويكون الجداران الآخران أعلى من الجدارين الأولين كما هو الحال في الكوخ الإنكليزي المسقف بالقش. وتتألف الجدران من قوائم من حزم من القصب مربوطة بالبردى أو بحبال من الحلفا مع حزم أخرى عرضية تربط بها وتشد إليها إلى أن تصل إلى الأعلى. والبواري التي تغطي كلا من السقف والجدران تطلى غالباً بالطين، وتكون جدران "الجمالي" لدى الجماعات الأكثر استقراراً أكثر تطوراً منطقياً، إذ تبنى باللبن بدلاً من القصب. وبهذا يصبح شبه الرحالة مستوطني بيوت. ويزداد شيوع استعمال الجمالي كلما اقترب المرء من البصرة أو إلى أي من الحدود الإيرانية، وهو شائع جداً في جنوبي العراق. وقد قيل لي إن الكوخ من القش ذا السقف القصبي أو المسلح سقفه بالقش وله أربعة جدران من الطين يوجد بأعداد كبيرة قرب بحر الخزر، حيث يذكر الزائرين بأكواخ "ديفون المستديرة". وربما استنبط هذا السقف المنحدر لغرض انحدار الثلوج منه إلى الأرض.

والمندى من نوع الجمالي الذي يوحي بأصل إيراني. وهو مستطيل الشكل وأطول جداريه هما الشمالي والجنوبي ويبنى بحيث يواجه الداخل إليه من فتحته الصغيرة النجم القطبي، الذي يجب أن يتجه إليه الشخص حين يقوم بأداء الصلاة. وفتحة الباب ضيقة وعرضها حوالي (١٤) عقدة وارتفاعها حوالي من ٦٠-٦٥ عقدة، وأعلاها أضيق قليلاً من أسفلها. والطين المملوط على الهيكل القصبي للباب مقولب على شكل قوس ثلاثي. ويجب أن تزين حافة الجهة العليا الجنوبية للمندى بقنوات ثلاث تدعى "ميسرى"، وهذا لا يعمل على شكل واحد. وجسر السقف (هردى) البارز من جهتي المندى يستند على حزمتين قويتين من القصب المملوط بالطين، وفي حالة "المنديين" اللذين شاهدتهما لأول مرة كان للجسر البارز من السقف مسندان آخران على شكل عمودين متشعبين في الرأس لدعمه. وكان العمودان ـ وهما من خشب الزيتون، على بعد بضع عقد من عمودي القصب الأصليين، وكانا منعزلين عن البناء نفسه لأن الجسر الذي كان يمتد من الشرق إلى الغرب كان أطول من الكوخ. وقد تختلف الأبعاد، إلا أن

الصابئين أخبروني أن عدد حزمات القصب يجب أن لا تختلف، والقوائم التي تنهض من الأرض إلى الجسر (ارضانا) [٣] في جانبي المندى الشرقي والغربي (بضمنها القوائم التي تسند الجسر) تسمى (شباب) ـ مفردها "شبّه" وهي الكلمة المعتادة لدى سكان الأهوار والأعراب وعدد الهطر ـ الحزم الأفقية التي تتصاعد إلى الذروة ـ سبع وبهذا يكون عددها جميعاً في المندى اثنتين وأربعين، ويسمى العمود الذي يسند طرف الجسر "تكمه"، وطول جزء التكمه الذي يبرز من الوجه الملوط للجدار حوالي (٥٧) سم. وصورة المندى الفوتوغرافية في (اللطلاطه) ترى كيف تستعمل الأقسام المتقاطعة. والمساند المائلة الظاهرة في الجدارين الشمالي والجنوبي تسمى أجنحة (كادفى) وعددها سبعة، أربعة في الشمال وثلاثة في الجنوب.

وداخل المندى يوضح تركيبه أكثر مما يوضح خارجه، إلا أنني لم أكن قادرة على أخذ صورة شمسية له لعدم وجود الضوء الكافي. ففي الداخل يرى المرء تحت البواري طبقة من القصب اليابس مركومة فوق بعضها البعض يشدها رباط حولها (الرباط يلف كل قصبة على حدة ولكنه غير معقود) وبهذا يتكون نسيج يذكر بالستر القصبية اللاتي يصنعها النساء لتحجبهن عن أعين الرجال في الخيمة. ويعترض تلك الطبقة من القصب في الزاويتين اليمنيين من جهتي السقف المائلتين سبع ربطات من القصب تعارضها مرة أخرى ثلاث ربطات طويلة تمتد من الشرق إلى الغرب. ولا توجد في المندى نافذة ولا أية زينات داخلية، وكل ما يمكن ملاحظته في الداخل هو وجود علاقتين "شكاصه" تبرزان كحرف (٧)، واحدة في كل تكمة، وضلعا الزاوية في شكل (٧) غير متلاقيين في نقطة الزاوية، والغاية من هاتين العلاقتين ايجاد مشجب لتعليق الملابس وما شابهها.

ولم يستعمل في بناء المندى أي حديد أو مسمار مطلقاً ولكن من المحتمل أن لاتكون لهذا أية أهمية دينية لأنه ينطبق على كل كوخ قصبي في الأهوار. والنور الوحيد في المندى يأتيه من الباب، وليست هنالك زينات داخلية أو فراش للأرض. ولاتجرى أية شعائر دينية داخل المندى مما يجوز لأفراد العامة الاشتراك فيها، وحتى الصدقة المباركة (زدقه بريخه) أي الطعام المهم من أجل روح الميت تجرى خارج جدرانه في الساحة من حوله.



المندى وبركة المـاء

ويتوصل إلى البركة عادة بدرج بسيط يستطيع بوساطته الموكل بالطهارة النزول والصعود دون صعوبة، والبركة عميقة في جانب ضحلة في جانب آخر ليستطيع الأطفال والبالغون أن يجدوا العمق المناسب لكل منهم.

ويجب تطهير المندى سوياً بعد النجاسة التي تسببها له الأيام الخمسة التي تسبق "البنجه" - وهي مكرسة لقوى الظلام الخمس - وتجري هذه الطقوس قبل آخر يوم من أيام "البنجه". كنت إذ ذاك في قلعة صالح حين جرى التكريس فرأيت قسما من الاحتفال (يسمى بالرطنه طراسه اد مندى)، وفي المرة الثانية شاهدته عياناً من البدء إلى الانتهاء وقد استغرقت "الطراسه" من اثنتي عشرة ساعة إلى ثماني عشرة دون توقف.

وفي كل مناسبة وبالرغم من وجودي في ساحة "المندى" في ساعة مبكرة فقد كنت متأخرة بالنسبة للممهدات التي تتضمن كنس وتنظيف الساحة وتطهير ضفاف البركة. كان المندى قد طلي بطين جديد قولب فوق الباب ليشكل قوساً ثلاثياً مستديراً عند القمة ولظهور هذا الشكل بوضوح في التصوير فلست بحاجة إلى أن أصفه أكثر مما فعلت. غرس إلى اليمين من المندى "درفشان" أي علمان طقسيان ووضع بجانبهما خوان طيني (طريانه) وعليه أدواته المعتادة وأوقدت على الأرض نار تسعر في كل مرة بقصب مطهر، وكانت الأرض أمام الكوخ مهيأة من قبل خادم حافي القدمين كان قد قام بعمل أخاديد ضحلة الغور عرضها حوالي ثلاث عقد تسمى "ميسرى" تبدأ من بيت العبادة وتتجه إلى البركة وقد وضع التراب المزاح في سلة ورفع. وأول جدول أو أخدود كان يمتد من يمين موقع الباب، والثاني من يسار موقعها، والثالث عن يمين الأول، ويمتد الرابع من الزاوية الجنوبية للجدار الشرق، والخامس من الزاوية الجنوبية للجدار الغربي. هذه الجداول أو الأخاديد تمتد بخطوط مستقيمة وفي نظام دقيق. وأخيراً قام الخادم بعمل جدول أفقي يمتد من الجدول الثالث إلى الجدول الرابع تاركاً قطعة أرض مربعة إزاء الكوخ.

وهذه الحدود (ميسرى) تحدد مناطق مطهرة، فإذا صادف أن مست احداهما نجاسة أمكن تطهيرها حينئذ وحدها. ولا شيء أقرب من ذلك إلى "كرشا" البارسية وإلى الساحة المغلقة لديهم "پاڤي". وقد حدثت مثل تلك النجاسة مرتين أثناء مشاهدتي للاحتفال حين اجتاز أحد الأطفال الحدود، وعندها قام الكاهن الموكل بالعمل بالذهاب

إلى البركة وبعد تطهير نفسه غمر البقعة النجسة بإلقاء الماء من الإناء عليها بينما كان يتلو دعاء الطهارة.

وقد نقلت إلى داخل الساحات المطهرة، بعد أن غمرت بماء البركة ثلاث مرات مع دعاء (بهرام)، قدور وأوان وكؤوس وملاقط للنار وطوق رحى و أحواض ومدقات وهاون وسكاكين لا قبضة لها، كانت تستعمل في الاحتفال. وقد استعمل قماش الموزلين الأبيض الجديد لغربلة دقيق الحنطة، وقد غمر بالماء أيضاً كما غمرت بالماء إبرة أيضاً (لم أستطع أن أكتشف لماذا استعملت هذه الإبرة) (*).

وقد اشترك في هذه المراسم "كنزفره" وكاهنان وقندلفتان (شكنده) ولكن "الكنزفره" - الشيخ رومي - لم يكن رئيس الاحتفال من الأول إلى الأخير. فقرب نهاية المراسم قام بدور الرجل الميت لأن "الطراسه" يجب أن تكون باسم "ريش امه" (**) وكانت في هذه الحالة باسم من يدعى "بهرام يحيى" وهو من أجداد الشيخ رومي الأوائل، فهو بهذا يجسد أسلافه الخاصين. (يجب أن يكون "الريش أمه" من عائلة كهنوتية عالية الشرف من عشيرة المندوية) (***). ولهذا السبب، لبس في الأخير "رسته" جديدة كاملة لأن (كماسترى بعد ذلك حين أصف طقوس اللوفانى) الذين يمثلون الميت عليهم أن يرتدوا ملابس طقسية جديدة. إن الموكل بإجراء الطقس الرئيس الذي يأتي بعد "الكنزفره" كان كاهناً (ترميده) - الشيخ عبد الله - وكان حاضراً في كل المراسم والطهارات منذ الفجر، وقد وجدته لدى وصولي إلى المندى يقوم بالطقوس المحكمة التي تؤهله للقيام بهذا الدور والتي كانت أولاً تدبير القداسات الخمسة لـ"الكنزفرا" ولزميليه الكاهنين والقندلفتين الاثنين (شكندا). بعد ذلك تبع هذا عمل إكليل الآس وتدشين الملابس ووضع "البندامه" على الفم وهكذا. بعد ما قام الشيخ عبد الله بدوره بتعميد "الكنزفره" وزميليه الكاهنين والقندلفتين، وحين تجمع الكل على الضفة بملابسهم المبتلة، تمّ رسمهم بالسمسم المسحوق.

(*) ليس للإبرة أي دور في هذه المراسم وقد تكون قد شاهدتها المؤلفة صدفة .

(**) درجة "ريش امه" أعلى من درجة "كنزفره" .

(***) يمكن أن يصل إلى رتبة "ريش امه" أي "كنزفره" بعد إجراء الطقوس اللازمة . ولا يشترط أن يكون من عشيرة المندوية .

والفرق بين هذا القداس والقداس العادي هو أن الكاهن و "الكنزفره" يشتركان بالمراسم في ترتيل الصلوات بدلاً من الوقوف صامتين كالعامة أو كالقندلفتين. قام الشيخ عبد الله بعد ذلك بملط تجويف صغير أو عش في الجدار الشرقي الخارجي للمندى بطين طري ثم ملأ قنينته ورش الجدار بالماء من البركة، وبعد ذلك صنع "البهثه" ـ الخبز المقدس ـ حيث أخذ حفنة من الدقيق والملح وذهب إلى البركة وعجنها بقليل من الماء في راحته ثم قبض عليها ودخل قبضته مع يديه الأخرى في الماء. ولدى عودته وضع العجينة المستديرة، على النار (وكانت تستعر بالقصب المطهر) على رماد حار وغطاها بوقود مشتعل وفي دقائق أصبحت خبزاً. ثم قام بوضع قطع منها في التجويف المشار إليه في أعلاه. شرع بإعطاء الخبز المقدس والماء إلى أربعة من المشتركين معه؛ ومرة ثانية اختلفت الإجراءات عن الإجراءات المعتاد للعامة لأن "البهثه والممبوهه" قد أعطيتا الواحدة بعد الأخرى لكل فرد في وقت واحد عوضاً عن القيام بذلك مرتين. بعد ذلك أعطيت البركات وتحرك "المحتفل" إلى الخلف وإلى الأمام على الخط بضع مرات واضعاً يده على رأس كل منهم ثم جاء بعد ذلك يمين "اليردنه" المعتاد حيث مد المشتركون أذرعهم اليمنى خلفهم باتجاه النهر لا البركة (هذه قاعدة لا تتغير فالنهر ما دام يغذي البركة يمكن أن يكون بأي اتجاه بينما يجب أن يكون المندى على الضفة اليمنى مواجهاً الشمال وبركته إلى الجنوب منه). وخلال كل عمليات العماد والقداس كان الموكل بإجراء الطقوس هو الوحيد الذي يلتم وجهه بـ "البندامه" غير أن "الكنزفره" والكاهنين الآخرين يحتفظان بصولجانيهما (المركنه). وقف الجميع بعد ذلك وأخذ الكاهنان من بينهم يرتلان، والقندلفتان صامتان، ثم أعطيت أخيراً "الكشطه" النهائية للكاهن الموكل بالعمل الذي أكل بعد ذلك "البهثه" وشرب "الممبوهه". تلا ذلك، الصلوات الطويلة والمراسم التي تحرر الأجزاء المختلفة من "الرسته" من قدسيتها الخاصة التي لحقتها عن طريق التكريس أثناء المراسم الأولى. وقد اشترك "الكنزفره" والكاهن في هذه العملية. وحين نزعت "التاغات والاكليلات" رميت الأكاليل في الماء.

وبهذا انتهى ما يمكن أن يسمى الفصل الأول من المراسم. أما القسم الثاني فقد ظهر فيه الكهان وهم يقومون بدور الذباحين والطحانين والطباخين والخبازين، وأصبحت المساحات المقدسة داخل الحدود "ميسري" مسرحاً لفعالية نشطة.

وأثناء هذه العمليات لاحظت أن جميع القدور والمقالي التي كانت قد غمرت في الماء قبل إدخالها في "الميسرى" مطلية من الداخل والخارج لأنها كانت تلتمع وهي على الأرض.

قام "الكنزفره" للتحضير لعمله، بإزاحة عمامته و "نصيفته" وتعليقهما فوق سطح "المندى" وهكذا ظهر شعره الطويل بضفائره الصغيرة تنوس حول رأسه. وخلع الكاهنان قسماً من ثيابهما وشرعا بالعمل بكنس المناطق التي كانت مقسمة بحدود فكنسا جميع ما فوق سطح الأرض من طين وأوساخ ورمياها في البركة، وبقيت ثلاث كرات من الطين في إحدى الساحات استعملت أخيراً كما أظن لتكون أثافي (مناصب) للأواني التي توضع فوق النار إلا أني نسيت أن أسأل عن الغرض(*) منها.

غيّر الـ "كنزفره" الآن ملابسه قطعة بعد قطعة بملابس جديدة، وبعد أن انتهى من ذلك ذهب إلى البركة وغطس ثلاث مرات، ثم أخذ إناء ورش بمائه جميع أنحاء "المندى" وهو يتلو الدعاء. وهكذا غسلت الجدران الخارجية والسقف جميعاً، إلا أن الجدار الشمالي لم ينله ما نال الآخرين ولو أن الماء كان يصل إليه من الأعلى. وكان "الكنزفره" يتلو اسم "الحياة" واسم "منداد هيي" على كل عمل يقوم به: "اشم اد هيي واشم اد هيي مدخر الخ".

بعد ذلك قام برش داخل "المندى" بالماء من قنينته وهو واقف في عتبة الباب ثم غسل حوضاً مطلياً حديثاً وملأه من ماء البركة، وبعد أن تم هذا دخل "الكنزفره" إلى الكوخ وغسل المندى كاملاً بغمره من ماء ذلك الحوض الكبير، وهو واقف على القاعة المبتلة، وقد أصاب التطهير هذا السقف والضلوع وكل قسم من أقسام "المندى".

بعد ذلك أدخل إلى الساحة نصاً طقسياً مكتوباً على صفائح من الرصاص ملفوفاً بقماش أبيض، ثم غمرت هذه اللفة ثلاث مرات بالماء، وكان النص يحتوي على "المسخثه" (اجراءات من أجل أرواح الموتى) وطقوس الصدقات المباركة (زدقه بريخه)، تلك الدعوات التي تقرأ خلال الاجراءات التي تلي؛ واستمر "الكنزفره" والكهان على غسل "المندى"، الأول من الداخل، والآخران من الخارج، وأخذ أحد القندلفتين من الخارج حزمة من القصب المقشر غمرت ثلاث مرات في الماء، كما جاء بالقمح والسمسم

(*) الغرض من الكرات الثلاث المذكورة هو استعمالها كأثافٍ فقط.

والحبوب المختلفة الأخرى، ملفوفة بقماش أبيض، وكان القصب يشبه الوقود الذي كان يستعمل لإيقاد النار.وهكذا في هذه الحال يجب أن لا يمس أي مشترك مطهر أي شيء غير مطهر، ولهذا ولأجل أن لا يمس المطهرون أي شيء غير مطهر كان الوقود يرسل إليهم عائماً عبر البركة. وفي كل وقت يمس أي شخص داخل "الميسرى" أي شيء خارجها عليه أن يرتمس ثلاث مرات في الماء. أما الخشب المبتل والحبوب (والأخيرة منشورة على قماش أبيض فوق سطح المندى) فإنها تجف بسرعة بتأثير الشمس والرياح. وقد لاحظت أن "الكنزفره" والكهان كانوا يأكلون من حين لآخر من الحبوب والفواكه، لأنهم كانوا صائمين إلا من الخبز المقدس والماء ولا يمكنهم الخروج من (الميسرى) لأي غرض آخر.

أوقدت نار في إحدى الساحات، وقد أشعلت أعواد القصب بواسطة قصبة موقدة مدت إلى الداخل من خارج الساحة، ثم نقلت ربطات مغسولة من القصب إلى داخل الكوخ لتستعمل أخيراً في أوعية البخور (بريهى).

شرع الكهان الآن بتحضير الطعام، بخبزالخبز أرغفة مستوية. والأطعمة الخماسية المقدسة التي جيء بها من أجل "المسخثه" والتي ستجرى عليها المراسم في المندى هي: -

١- حب الرمان.

٢- جوز الهند.

٣- سفرجل.

٤- لوز.

٥- زبيب أو عنب طري أبيض (*) حين يكون في موسمه.

إلى جانب هذا كانت هناك الفواكه والخضراوات الموسمية التي طهرت من أجل "الزدقه بريخه". وكان هناك التمر والسمسم والملح التي ستوضح استعمالاتها فيما يلي:

عند هذا الحد، وقد مر على حضوري أكثر من أربع ساعات، تغيبت لمدة ثلاثة أرباع الساعة، وفي هذه الفترة كانت تجرى عمليات مختلفة. فالطحين كان يطحن داخل "المندى" قبل صنع العجينة التي ستستعمل لـ "المسخثه". وبالإضافة إلى ذلك فقد كان

(*) المهم وجود العنب أبيض كان أو أسود .

الكهان يخبزون أرغفة مستوية صغيرة، بعد أرغفة صغيرة أخرى ليأكلوا، كبحاً لجوعهم. وقد وضع الزبيب وحبوب الرمان على طبق من القصب لتطهيرها ثم جففت في الشمس وهكذا صنع بالأطعمة التي هيئت من أجل "المسخثه والزدقه بريخه" وقد وضع السمسم لمدة قليلة فوق النار، ونزعت قشوره ثم وضع في الهاون ودق مع بعض التمر ووضع المزيج بعد ذلك من قبل الكاهن في زاوية من قميصه ثم عصر بعصارة حديدية كانت النتيجة سائلاً (مشه) يسيل في "الكبثه" ثم ينقل بعد ذلك إلى "القنينة"،وهذا هو العصير من مزيج السمسم مع التمر الذي سيستعمل أخيراً في رسم أرغفة "المسخثه" (فطيري). وقد كانت القطرات التي تتساقط بعد كل عصرة قليلة ولذلك كانت العملية متعبة، ومع هذا فقد أخبروني أنه في العام السابق كان الكاهن قد نجح في استخلاص ما يكفي لملء "القنينه".

ولدى عودتي كانت التحضيرات للمسخثه تأخذ مجراها، حيث مسك بحمامة من نوع "الحر" ذكرا (*) كامل الخلقة قد ربي لهذه الغاية، وكان ولد صغير يمسك به خارج الساحات المطهرة، وقد وجدت نفسي مدفوعة لمداعبته بنتف ريش الطير. بعد ذلك فتحت الخامة البيضاء التي تلف النص الديني المكتوب على الرصاص وأخرجت الصفائح الرصاصية ووضعت عمودية تواجه ساحة المندى مستندة إلى جداره داخل أحد المربعات. والشيء الغريب في تضحية الحمامة في المسخثه عدم النطق بأية كلمة بصوت عال سواء كان ذلك من قبل القائم بالعمل أو من قبل القندلفت الذي يساعده [٤].

وكان القندلفت يحمل الحمامة والسكين التي ستستعمل في الذبح وقطعة الخشب التي ستمسك مع السكين وغصناً من الآس ملقى على كتفه الأيمن؛ وذهب إلى البركة وارتمس ثلاث مرات قبل أن يلتحق بـ "الكنزفره" ويأخذ موقفه إلى الشرق منه.

قام "الكنزفره" بالدعاء الصامت في تضحية الطير وهو يواجه "المندى" جالساً على عقبيه ماسكاً الحمامة بحيث تتحرك السكين في قطع رقبتها من الشمال إلى الجنوب. وكما هو دائماً، فالذباح كان يمسك بقطعة صغيرة من الخشب مع سكينة. وقد قيل لي إن "الكنزفره" وهو يمسك بجناح الحمامة يدوس على جسمها بقدمه اليمنى الحافية، وحين راجعت مخطوطة تصف هذا الطقس وجدت استعمال القدم اليمنى في ذبح الحمامة منصوصاً عليه.

(*) المهم هو الحمامة دون الاهتمام بجنسها .

أخذ القندلفت جثة الحمامة والسكين إلى البركة وغمرهما ثلاث مرات وسمح لقطعة الخشب أن تطفو ببطء على سطح الماء والتحق بعد ذلك بـ "الكنزفره" في ساحة التضحية ثم غادراها معاً.

أخذ "الكنزفره" جثة الحمامة ووضع قليلاً من الملح على الجرح وعرّض الرقبة ثلاث مرات إلى لهيب مشتعل من حزمة قصب (كانت قد طهرت سلفا) كان يمسك بها القندلفت ثم بعد ذلك أخذ هو والكاهنان الحمامة ودخلوا بها إلى "المندى" وقد كان الثلاثة قد قاموابغسل أيديهم قبل الدخول إلى الكوخ.

إن طقوس "المسخثه" داخل المندى تطابق طقوسها التي تقام عند تكريس الكاهن التي سأصفها في فصل قادم. وقد اعتمدت في وصف هذه "المسخثه" وغيرها من "المساخث" على الكهان إذ لا يسمح إلا لهم بدخول المندى للقيام بذلك العمل، فمن الضروري أن تستر عن الأعين الدنسة إجراءات تكريس الفطائر الست والستين وأكل الطعام المقدس (طبوثه) مع لحم الحمامة وشرب الخمرة والدفن الأخيرة لبقايا الحمامة والفطائر مع ما عليها من قطع اللحم المقدس. وكل ما رأيته من هذا الاحتفال هو اتمام دفن اللفافة التي تحتوي على كل ذلك في بقعة في الشمال الغربي من المندى. ويجب أن لا يكون الدفن وراء الجدار الشرقي للمعبد كما يجب اختيار بقعة بكر دائماً؛ ولست أدري ماذا يحصل لو كانت المساحة قد استعملت كلها سابقاً. وبما أن ذلك لم يحصل منذ سنين عديدة فقد يعود ذلك إلى أن الدفنات السابقة قد نسيت أوان (منادى) أخرى قد كرست. والفرق بين "المسخثه" من أجل "الكنزفره" وتلك التي من أجل "الشوليه" قد بحث بدقة أكثر في الفصل الأخير الذي يعالج تناول الطعام على روح الميت، كذلك عن طبيعة "الزدقه بريخه" الكاملة التي شاهدتها بعتمة على ضوء الشموع. إلا أن "الزدقه بريخه" والدفن الأخير قد كانا في نهاية يوم مليء بالعمل، وواجبي هنا أن أصف ما شاهدته حقيقة.

كانت الضحية الثانية كبشاً سيستعمل شحم إليته في "الزدقه بريخه" (*)

وكان الكبش ينتظر الذبح مربوطاً في ساحة "المندى" خارج الساحات المقدسة. غادر الكاهنان "المندى" وتركا "الكنزفره" وحده ومعه الحمامة المذبوحة والمساعد، وكان

(*) ليس لاستعمال الشحم هنا أية أهمية دينية و إنما يؤخذ لمجرد استعماله كدهن للرز .

صوته يسمع مرنما من داخل المندى المظلم، كذلك أنشد الكهان ورتلوا أيضاً، ولكنهم كانوا منشغلين بالضحية الثانية وبالاستعداد لذبحها. قص القصب قصيراً وأخذ إلى البركة وغسل غسلا تاماً ثم وضع في إحدى الساحات على شكل بساط (جباشه) ستطرح فوق الضحية [شاهدت ذبحاً آخر لكبش من أجل "اللوفاني" وكانت الضحية مطروحة فوق فراش من سعف النخيل على جانب النهر وتحيط بالبقعة "ميسرا" مربعة تمتد أخاديدها نحو النهر][٥].

ألقي الكبش (لا يجوز ذبح النعجة) على أحد جانبيه خارج الحدود المقدسة وأظلافه مربوطة معاً، وتقدم "حلالى" لتنظيف سيقانه وأظلافه. كان غسل الأظلاف دقيقاً وشاملاً، وقد استغرق حوالي عشر دقائق، تلا ذلك تنظيف الذيل والإلية وجميع صوف القسم الخلفي بغسلها على نفس الدرجة من الدقة، وكان هناك كاهن ينظف صفائح الرصاص الطقسية ويغسلها (قد دنسها كما افترض ذبح الحمامة). في هذه الحالة حصل التلوث في "الميسرى" بعبور أحد الأطفال إليه، فتوقفت الإجراءات مؤقتاً ما عدا وظائف "الكنزفره" الذي كان في داخل المعبد. وانتهى هذا الحادث العرضي الصعب بعد أن رفع "الحلالى" الكبش وحمله معه إلى البركة وخاض به الماء وغطسا معاً ثلاث مرات ثم خرج يحمله بصعوبة ومشقة، إذ لم يكن الكبش المبتل مجزوز الصوف، ثم وضعه فوق القصب ورأسه إلى الشرق وذيله إلى الغرب وغسلت السكين مع الدعاء الاعتيادي وقص رباط الحلفاء الذي كان يشد ربطة القصب فانبسطت، ووضع إناء كبيراً تحت رقبة الكبش ليتساقط فيه دمه. قام "الشيخ عبد الله" الموكل بالذبح بإجراء "الرشامه" ورش عصاه بالماء، وتفقد كل جزء من ملابسه بمسها، مكرّساً إياها، ثم وضع التاج والإكليل على رأسه مع الدعاء المعتاد. ولا تلبس التيجان الحريرية إلا في أيام "البنجه".

في غضون ذلك كان يتبادل الكاهن الآخر والمساعد الدعابات مع المتفرجين. وقف المساعد بجانب الشيخ عبد الله كشاهد على الذبح (الشاهد ضروري في عملية الذبح)، وكان الشيخ يجلس على عقبيه جنوبي الضحية متجهاً إلى الشمال. قص حنجرة الكبش وهو يهمس بأذنه منحنياً عليه: - "بِشْمْ إدهيي واشمِ اد منداد هيي مدخر إلخ، بشاهيل قريَخْ هيبل زيوا فَقَدْ إلَخْ مِينَخ سخ بسرخ دكيه كل من آكل منخ نهبى نِتسيُ نتقيّم اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخر الخ...".

وترجمتها: ـ "باسم الحياة اسم منداد هيي منطوق عليك بثاهيل يدعوك هيبل زيوا أمر بذبحك أيها اللحم الطاهر. كل من أكل منك سيعيش وسيكون سليماً راسخاً. اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليك".

كانت السكين كجميع السكاكين التي يستعملها الصابئون في الضحايا أو الطقوس، من الحديد وكانت قد حميت في النار إلى حد الاحمرار بعد أن انتهى الذبح لغرض تطهيرها تطهيراً تاماً، وكانت قطعة الخشب الصغيرة وطولها حوالي (٦)(*) عقد تمسك لصقها أثناء قص الحنجرة، ويمكن أن تكون هذه القطعة، من خشب الزيتون أو تمر الهند أو الصفصاف أو التوت أو من أي خشب طاهر آخر (**). والإيضاح الوحيد الذي حصلت عليه من الكهان حول هذه العادة هو: أن الذبح بالحديد (برزله) فقط، محرم[٦]. وكما حدث سابقاً في ذبح الحمامة أخذت السكين وقطعة الخشب إلى البركة ونزل الشيخ عبد الله في الماء ليطهر نفسه. خلع ملابسه إلا من السراويل ثم غطس ثلاث مرات وهو يفرك القميص بين يديه يزيل منه بقع الدم، وفي الوقت الذي كانت تغسل فيه السكين بعناية سمح لقطعة الخشب أن تطوف على سطح الماء. وكان الدعاء أثناء هذه الطهارة كما يلي: "اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخر الى. نخست ابرزله وهللت بيردنه انا نكاسه ما ري هياسه وشرلى وشفقلى هطا يى هوفى (هوباي) اشخلاثى وتقلاتى وشب شاثي ديلى بلان بربلانيثه (اسم القائم بالذبح واسم امه) اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخر الى". وترجمتها:

(اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان علي لقد ذبحت بحديد وتطهرت في الماء الجاري اعف عني يا آلهي أنا الذباح اغفر لي وحررني من خطيئتي وآثامي وحماقاتي وأخطائي وأعمالي الشريرة أنا فلان بن فلانة. اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان علي).

ويلاحظ أن الأسماء النورانية النقية لا تقحم في هذا الدعاء، فالخطيئة التي ارتكبت إنما هي خطيئة ضد الحياة العظمى باغتيال حياة.

كذلك صب ماء من البركة على رقبة الكبش الذبيح ونشرت ملابس الكاهن المبتلة فوق سطح "المندى" لتجف. وحين لفظ الكبش آخر أنفاسه جيء بمشعل من القصب

(*) يكون طول قطعة الخشب عادة بقدر ثلاث عقد تقريباً .

(**) انظر الملاحظة .

وقرب من عنقه ثم قطعت أظلافه وفصل رأسه ووضع في طشت وشرع بسلخه وتقطيعه من قبل الذباح نصف العاري يساعده أحد المساعدين. نتف الصوف أولاً وقطع قليل من شحم الإلية ووضع داخل "المندى" من أجل "الزدقه بريخه". وقد أجريت كل تلك العمليات والكبش راقد فوق حصير القصب وكان الكاهن يغسل يديه بين حين وآخر. بعد ذلك عُوِّم لوح من الخشب عبر البركة وباتجاه الكاهن ومن خارج الحدود (ميسرى). وبعد أن تعرض للغطس ثلاث مرات اتخذ الذباح تلك الخشبة لتهريم اللحم. وبينما كانت هذه الأعمال جارية ظهر "الكنزفره" من داخل "المندى" مرةأخرى وأجرى "الرشامه" وملأ قنينتين من ماء البركة أخذ واحدة معه ووضع الثانية بجانب ضلع الباب الأيمن "للمندى" واختفى، يتبعه المساعد، في داخل المندى ليظهر مرة أخرى فقط ليجيب عن سؤال وجهه إليه بصوت عال أحد الكهان (ولم يكن من بين المشاركين) وكان يجلس خارج الحدود.

وكان هذا الكاهن قد وجه نقداً حول الطريقة التي كانت تجري فيها الطقوس وكان بيده كتابه (شرح بروانيه). وليس مثل هذه الاعتراضات بمستنكرة ولهذا قرئت إحدى فقرات الدرج ونوقشت وسويّ الأمر وعاد "الكنزفره" إلى تعازيمه داخل المندى. وكان الكاهن الثاني الموكل بالقداس - الشيخ فرج - قد تعرى إلا من سراويله وغطس بماء البركة ثلاث مرات وغسل ملابسه (رسته) وارتدى قميصاً ثم غسل السراويل وحدها ونشر بعد ذلك ملابسه جميعاً فوق نار المدخنة لتجف.

تلا ذلك شيّ اللحم، فقد وضعت في إناء قطع صغيرة من اللحم رش عليها الملح وألقيت كما هي فوق النار. بعد ذلك بقليل رفعت قطع اللحم ورش عليها الملح مرة أخرى ثم وضعت في طبق آخر وكانت النتيجة قطعاً من اللحم محترقة يغطيها الرماد والملح لا تثير الشهية. وكان الكهان والمساعدون يتناولون قطعاً من اللحم بين حين وآخر. ونقل الجلد والصوف وبعض من اللحم غير المطبوخ إلى خارج المندى، وقامت امرأة برمي الأحشاء في النهر. وحين انتهى التهريم والطبخ جيء باللوح الخشبي المدمى وبالقصب وألقيا على النار واستعملا وقوداً بالتدريج.

يبدأ الآن الدور الثالث حين ارتدى الكاهنان ملابسهما كاملة وغسلا صولجانيهما ثم دُعيا من قبل "الكنزفره" الذي خرج ليملأ ثلاث قنينات بالماء، فدخل الثلاثة جميعاً إلى الكوخ لتلاوة "الرهمى" وباقي "المسخثه" التي سأصفها في فصل قادم.

وكانت أصوات التراتيل تسمع لوقت طويل، فقد عدت في الظهيرة وبعد الظهر ثم في الغروب إلى الليل ومن وقت لآخر كنت أسمع وأنا في الخارج وقع أجسام تترنح وهي تقرأ ذلك القداس الطويل.

وأخيراً جاء الدور النهائي وهو "زدقه بريخه" باسم "الريش امه" الميت وكان النظر إلى الأشياء يبدو كليلاً على ضياء النار التي لا تزال - محترقة، وعلى ضياء المصابحين المعلقين على العصا. خرج "الكنزفره" والكاهنان من الكوخ واجتازوا الحدود واتخذوا أماكنهم بجانب العلمين "درفشه" المغروسين بالأرض في النهاية الشرقية للساحة. قاموا أولاً بكنس الأرض ووضعوا "طريانه" كبيرة عليها ثم وضع فوقها وعلى أخرى قريبة منها ملح وخبز وقشور برتقال وقطع صغيرة من الشحم المشوي (شحم من إلية الكبش الضحية) مع رز وسمك (*) وزبيب وحب الرمان ومأكولات أخرى تكون طبيعتها جميعاً نباتية ما عدا شحم الكبش الذبيح والسمك. وظهر المساعد (شكنده) كالشبح في الظلمة وجلب غصناً من الآس وضعه فوق هذه المائدة للنعمة (طبوثه) كما كان يدعى ذلك الخليط من المأكولات. كان العلمان إلى شرق هذا المنظر الغريب قليلاً. حدث بعد ذلك تفقد "الرسته" الاعتيادي قطعة بعد قطعة حيث كانت تمس وتكرس، وكان المساعد جالساً يواجه الكهان ويمسك بيده أغصان الآس. بعد ذلك جاء دور "الذخرانا" أو الذكرى أو التذكر الجليل للأرواح المباركة لأولئك الذين في عالم النور وبضمنهم روح "الريش أمه" الذي كان قد مات منذ أمد بعيد.

أخذ كل من "الكنزفره" والكاهنين قبضة من الطعام وأمسكوا بها بينما كان أحد الكاهنين يتلو صلوات "الزدقه بريخه" مع دعاء "ابا هاثان" (انظر فصل ١٢) ثم وضعوا الطعام في أفواههم وأكلوه. كان "الكنزفره" يقوم بدور صامت خلال هذا الاحتفال وقد قال المشاهدون إنه خلال هذه الإجراءات إنما يمثل سلفه الذي باسمه وباسم زوجته تقام هذه الدعوات (انظرالفصل ١٢ ... من أجل الطقس الكامل لهذه الزدقه بريخا). وحين أكل بعض الطعام الذي كان أمامهم أمسك "الكنزفره" بقطعة من الآس وأخذ يقرأ في كتاب. وضع الثلاثة أغصاناً من الآس (٧) في عمائمهم كالريش وشرب الواحد بعد الآخر خمراً (همره) من الكاسات (كبثه) التي معهم باسم الميت. بعد ذلك

(*) لا يستعمل السمك في زدقه بريخه المندى مطلقاً .

نهض الكاهنان ووضعا طرفي طبرشيليهما (نصيفه) على رأس شخص "الكنزفره" الصامت الجالس على عقبيه وأخذا يصليان.. سلم "الكنزفره" بعد ذلك الكتاب الذي كان يقرأ فيه إلى الكاهن القائم بالعمل (الشيخ عبد الله) الذي أخذ يقرأ فيه بدوره. وقد سمعت في هذه القراءة، قائمة بأشخاص الموتى: - "فلان ابن فلانة لتغفر له خطاياه".

في نهاية هذا المطاف الطويل جاء دور تحرير "الرسته". وكان الثلاثة المتعبون في ذلك الضياء الخافت ينحنون لشم الآس قائلين:

"ما أحلى رائحة الحياة يا مولاي منداد هيي". كان ذلك هو النهاية وقد رأيت في الظلام كاهناً يحفر قبراً للحمامة والفطائر ويدفنها ويذهب إلى البيت.

ـ ملاحظات حول الفصل الثامن ـ

١-يظهر أن البركة الطقسية (ابسو) ذات العلاقة بـ "ايا" آله ـ المياه ـ كانت تشكل جزءاً من العقائد السومرية في "اريدو" المدينة القديمة التي تقع خرائبها على مسافة قريبة من "مندى" حديث في سوق الشيوخ . وقد بحث الأب (بوروز Burrows) مشاكس من ابسو . روما ١٩٣٢" عن "ابسو أو ابزو" واستنتج بأنه لم يكن مبزل سوائل كما اقترح سابقاً ، بل لا بد أنه كان حوضاً أو بركة ، وأشار إلى أن بعض أسماء شعائر "ابسو" في "لاكَاش" تشير إلى برك متصلة بقنوات أو ما يشابهها .

٢- انظر مقالتي "كوخ العبادة لدى المندائيين" في "مجلة مصر القديمة والشرق حزيران ١٩٣٤" حول تعليق الدكتور موري (Murray) الهام عن الأعمدة القصبية المطلية بالطين . ويظهر أنه كان للبنايات ذات السقوف المنحدرة أهمية دينية في العراق في الأزمنة الأولى . وقد كتب (مالاوان) (Mallawan) (العراق مجلد ٢ القسم الأول) عن الحفريات الحديثة في "الارباشية" فقال إن السقف المطلي في القرون الأولى والمصور على ألواح نضيجة من "العبيد" ، وهو الآن في المتحف البريطاني ، إنما هو تأكيد لتفسيرنا لتعويذة على حجر . من فترة تل الحلاف الذي يظهر أنه سقف انحداري ذو عمود ـ تكمه ـ منحنٍ إلى السقف .

لقد كان للشكل "المُجمْلَن" للبناء معنى ديني في العصر الزردشتي الفارسي الأول ، وإلى ذلك يشير قبر كورش في "بارزاكَادا" وهو على شكل المندى ، كذلك تشير بنايات أخرى إلى تلك الفترة .

والبناء كأنموذج يمكن أن يؤخذ على أنه يمثل ، على شكل أكثر ثباتاً ، الخيمة ذات الجسر ـ هردى ـ الأفقي الذي يسنده عمودان قائمان . إنه شكل عزيز على الرجال الذين يختارون عيشة الاستقرار . وقد قيل لي إن معبد "شنتو" وهو أيضاً من هذا الصف المجملن إنما هو على هذا الشكل ، لهذا السبب .

٣- لقد اندهشت حقاً وأنا أقرأ الطقوس الأكدية لـ "ثورو دانجن" (Thureau - Dangin) لتشابه بين "طراسه المندى" وطقوس الأكديين في تكريس المعبد بعد النجاسة أو الزلزال أو الاعتداء . لقد ترجم المؤلف عدة ألواح مكتوبة توضح هذه المراسم وفيها تظهر عدة مظاهر للطقوس المندائية وبخاصة في ذبح حيوان على فراش من قصب ، وفي التلاوة عليه قبل تضحيته برش الماء النقي ، وفي الخوانات الثلاث للطعام وإشعال النار ، وفي المناحة ـ قريبة من المسخنه ـ ، وفي جلب الحبوب والزيت والطحين والفاكهة والأطعمة الأخرى ، وفي "الماء فوق الخوانات" . وفي رؤيتي للمراسم الأولى شاهدت مرة ثلاث قطع من الخام الأبيض منشورة أيضاً إلا أنني أخبرت أخيراً أن هذا قد حصل عرضاً ، وقالوا إنهم سابقاً كانوا يفرشون قطع الخام الأبيض أحياناً ، غير أن ما شاهدته كان قطعاً نشرت لتجف .

٤- الصلاة الصامتة : تكون الصلاة صامتة حين يعتبر المصلى ميتاً طقسياً ، أو أنه في مناسبة غاية في القدسية ، وفي حالة العروس أثناء تعميدها . ويظهر أن لذلك علاقة بصلاة البارسيين (باج) ، فهي تتلى في مناسبات أخرى ، أي في ذكرى الأشخاص المتوفين .

٥- أشرت سابقاً إلى أن عادة ذبح ضحية على فراش من قصب ترجع إلى الأزمنة الأكدية . ويظهر أن المجوس قد مارسوا عادة مشابهة ، يقول هيرودوتس : "الإنسان الذي يرغب أن يضحي يجلب ضحيته إلى قطعة طاهرة ، وهناك يذكر اسم الإله الذي يرغب في تقديم الضحية إليه . ومن المعتاد أن يكون في العمامة إكليل من الآس في أغلب الأحيان ولا يسمح للمضحي أن يصلي طلباً للبركة لنفسه فقط بل أن يصلي من أجل الملك ومن أجل جميع الشعب البارسي الذي هو واحد منه . ثم يقوم بتقطيع جثة الضحية إلى قطع ويغلي اللحم ويضع فوق

الأعشاب الطرية المتيسرة ومن بينها البرسيم بصورة خاصة" (العمامة والإكليل تطابقان العمامة والإكليل لدى الصابئين) .

٦- يتحدث مولتون (Moulton) في "الزردشتية الأولى ، ص ٤٠٨" عن المجوس فيقول إنهم كانوا يجزرون ولكن ليس بالحديد بل بالخشب ؛ لاحظ أيضاً أن المجوس كانوا يلبسون البياض والعمامة وإكليل الآس ويجزرون بجانب الماء . لقد كانوا يعنون كثيراً بأن لا يدنسوا الماء بالدم .

٧- الكليلة أو إكليل الآس في مراسم التعميد توضع بين العمامة والتاج (تاغه) إلا أنها في هذه المراسم التي وصفتها هنا توضع في طيات العمامة .

الفصل التاسع

- الكهانة - تدشين الكاهن أو الترميده

الكهانة كما ذكرت سابقاً آخذة بالتضاؤل، فليست سلطة الكاهن كما كانت عليه من قبل، كما تناقص دخله وجعلت الحياة العصرية من الصعب عليه متابعة وظيفته الشاقة المفروضة عليه عقيدة، وإطاعة الأوامر التي ينصح هو الآخرين باتباعها. إن الطهارة والاغتسال ضروريان دينياً بحيث يجب عليه أن يقوم بهما في محلات طاهرة من النهر، ولهذا فحياة المدن لا تلائمه، وإذا سكن بعيداً عن المدن فإن أتباعه من سكان الأهوار الفقراء لا يقدمون له ما يكفي لأن يعيش به.

والكهانة وراثية [١]. وتوجد عوائل كان فيها الأب والابن كاهنين ولعدة قرون دون توقف، ولا أعني بذلك أن الكهانة مغلقة على غير الأسر الكهنوتية، فالصابئي المتحدر تاريخياً ولبضعة أجيال معينة بطهارة معينة ويمتلك الصفات البدنية والعقلية الضرورية، يمكن أن يصير كاهناً، إلا أن الكهانة من الناحية العملية تميل إلى أن تتسلسل من الأب إلى الابن.

ويبدأ التدريب عليها منذ الصغر حيث يلبس الصغير "الرسته" ويقوم بوظيفة القندلفت (اشكنده) لأبيه. ويبدأ بتعلم الأبجدية منذ الثالثة أو الرابعة من عمره وحين يتعلم القراءة و الكتابة يطلق عليه اسم "يلوفا". ويبدأ بحفظ الأدعية والصلوات حين يكون قادراً على النطق. وما كان يسمح في الأزمنة الأولى للسكين أو المقص أن ينالا من شعر الطفل المرشح [٢] للكهانة منذ زمن الطفولة فصاعداً، أما الآن فيمكن أن يهيأ الصبي للكهانة على أن يمتنع عن قص شعره بعد سن البلوغ، كما عليه أن يكون سالم الأعضاء البدنية تماماً.

ولا يمكن أن يصبح كاهناً من كان مختوناً أوغير منجب أو خصياً، فالجسم يجب

أن يكون "سليماً نقياً كاملاً". وإذا ما حدث أن تعرض كاهن لضرر يفقده رجولته أو أحد أعضاء جسمه فلا يسمح له بممارسة وظائفه الدينية. ومن الواضح أن فقد العين الواحدة أو بتر عضو داخلي من جراء عملية جراحية لا يؤبه له في الوقت الحاضر ولو أن بصر الكاهن حسبما جاء في ديوان "ألف ترسر شياله" يجب أن يكون لا غبار عليه. ويعتبر الجنون بعد تدشين الكاهن حالة ممكنة الشفاء إلا أن الكاهن المجنون يمنع بطبيعة الحال من ممارسة وظائفه الدينية.

وليس بدن الكاهن فقط هو ما يجب أن يكون سليماً، بل وسلالته أيضاً، إذ عليه أن يكون متحدراً من دم صابئي نقي وأن تكون أسرته طاهرة جسمياً لعدة أجيال ومن جهتي الأم والأب. وتاريخ الأسر معروف لدى الصابئين وبخاصة أسر الكهان الذين يحتفظون بالأنساب الطويلة مدونة عادة في حواشي الكتب المقدسة، وهي ترجع إلى ما يقارب الخمسمائة عام أو أكثر. فلا يسمح للفرد أن يصبح كاهناً إذا كانت إحدى جداته خلال فترة ثلاثة أجيال قد تزوجت مرملة أو ليست بعذراء ومن هنا يمكن أن يقال إن كل كاهن قد ولدته امرأة عذراء.

وقد قيل لي عدة مرات إن الجنس ليس حائلاً دون الكهانة، فقد وجدت كاهنات من النساء وحتى كاهنات من الدرجة العليا (كنزفرى)، ولو أن "الكنزفره" حين يكون امرأة لا يستطيع أن يعقد أكثر من زواج واحد في اليوم الواحد. ويوجد في كتاب "الكنزه" ذكر لكاهنات صابئيات، ومع ذلك فديوان "ألف ترسر شياله" يحذر من تدشين امرأة ككاهن حيث يقول "احذروا أن تدشنوا امرأة كاهناً" (ازدهرّ دلا تطرسون تاغه ال انثى). ولم أصادف أنا كاهنة ولم أسمع من يتحدث عن واحدة لها وجود في الوقت الحاضر، ولكنهم أكدوا لي أنه كان يوجد منهن في الزمن الماضي وأن أسماءهن تذكر في دعاء الأسلاف (ابا هاثان).

وحين يكون الصبي قد حفظ ما فيه الكفاية من الطقوس والصلوات ويكون قد اعتاد على القيام بالعمل كقندلفت ودرس الكتب المقدسة تحت إرشاد كاهن أو أستاذ (كنزفره) يكون بهذا جديراً بتسلم أولى درجات الكهانة ليصبح "ترميده". والسن الاعتيادي لاكتساب هذه الدرجة هو بعد سن البلوغ عادة. ويكون تدشين الكاهن أكثر تعقيداً إن كان متزوجاً، إذ يجب أن تثار في مثل هذه الحالة مسألة ما إذا كانت زوجه

في فترة طهارة أو لا، فالزوجة إذا ما أدركها الحيض أثناء القيام بتكريس الكاهن الزوج أو إذا ما أسقطت أو ولدت فإن نجاسة كبرى تحل بالتكريس كله ويتعرض جميع القائمين بالعمل إلى تناول العماد، مبتدئين بتعميد "الكنزفره" القائم بالعمل إلى تناول العماد، مبتدئين بتعميد "الكنزفره" ثلثمائة وستة وستين عماداً. وإذا ما حدث أن نجست أيضاً زوج "الكنزفره" القائم بالعمل فيمنع من أن يبلغ درجة رئيس أمة "ريش أمه" إضافة إلى الثلثمائة وستة وستين عماداً الأولى.

وعندما يزكي "الكنزفره" "الشوليه"، كما يسمون المرشح للكهانة، ويجده على درجة كافية من المعرفة بالطقوس والعقائد والكتب المقدسة تبدأ احتفالات التدشين في يوم السبت من الأسبوع.

ولم أشاهد أنا الحفل إلا أنني حصلت على عدة أفراد رووا لي الإجراءات بتفاصيل تامة وكانت رواياتهم متطابقة.

يجب أن يكون كل شيء جاهزاً قبل البدء بالمراسم، القصب والكبش الضحية وكلما هوضروري من أدوات الشعائر. ويتجمع الصابئون من جميع النواحي، فتدشين كاهن حدث يستدعي السرور والبهجة، وتسبقه عادة أحاديث كثيرة عنه. يجمع "الكنزفره" الذي يقوم على رأس الحفل ويدعى "ربى" أكبر عدد ممكن من الكهان ـ يجب أن يكون هناك ما لا يقل عن سبعة كهان وقندلفتين (*) ـ ويعمد هؤلاء بعضهم بعضاً في النهر (أو في المندى)؛ ويتناول المرشح نفسه عمادين أحدهما على يد "كاهن" والآخر على يد "الربى". ويحضر كبش بعد أن يغسل ويطهر كما مر معنا. ويذبح بجانب الماء فوق نفس الفرشة المعتادة من القصب والمحددة بحدود "ميسري". وهذا الكبش كما أوضح أحد الكهان عبارة عن فداء (فدوة) (٣) للمرشح، بعد ذلك يؤخذ "الشوليه" إلى المندى أو إلى بيت "الربى" حيث يتأكد الكهان من سلامة جسمه بصورة نهائية (٤) أو كما وصفها "الكنزفره" بأن "المرء حين يشتري ياقوتاً يختبره ويفحصه ليرى أنه صاف لاعيب فيه هكذا هم يفحصون جسم الشوليه". بعد هذا الامتحان يرتدي المرشح ملابسه (رسته) وتقوم امرأتان عجوزان ـ تجاوزتا سن الحيض ـ بغسل ساقيه واحدة من اليمين والثانية من اليسار.

(*) المهم في هذه المراسم وجود "كنزفره" ولا عبرة بعدد الكهان

بعد ذلك يبني الكهان كوخاً من القصب في الطرف الجنوبي من ساحة بيت "الكنزفره" ويشبه هذا الكوخ كوخ الزواج ويسمى "انديرونا"، وهي كلمة تذكر بالاسم الذي يطلق على قسم الحريم في بيت بارسي "انديرون". والكوخ مستطيل الشكل وزواياه مستديرة وفي الجدار الشمالي منه بروز من الجهة اليمنى من المدخل وسقفه مستوٍ مغطى بستارة من الموزلين المصبوغ باللون الأزرق(٥)، وعندما استفسرت عن معنى هذه الستارة الزرقاء امتنع بعض الكهان عن الإجابة، وحين ألححت قالوا إنها عادة ليست بذات أهمية. أما بالنسبة لصديقي "هرمز" فالستارة الزرقاء هذه تدعى "عباءة الروهه". واللون الأزرق بالنسبة للصابئين هو لون حجاب الروهة، كما أن اللون الشاحب والعنبري والأزرق السمائي هي ألوانها الرمزية أيضاً. وأظن أن "الانديرونا" تمثل الروح الأرضي أو الحيواني (الروهه) أو نفس الحياة وقد ارتبط اللون الأزرق في أذهان الكهان "بالروهه" أم الكواكب فهو يخص الناحية غير الدينية من شعائرهم أو ما ندعوه بالأحرى بالتعزيم. ويبدو الرمز بسيطاً، فانتقال "الشوليه" من كوخ إلى آخر يعني أنه يمر من حياة تسيطر عليها روح أرضية إلى حياة تسيطر عليها روح نورانية(*).

وقد قيل لي إنه في الماضي كانت تدس قطعة من خيط أزرق بين أوراق الكتب المقدسة رمزاً أو تعويذا ضد الروح وهذا كان يدعى "سهم روهه" أي حصتها. ويقال الآن إنه يدس في مكان ما من التجليد إلا أنني لم ألاحظه.

وحين يكون الكوخ جاهزاً يقوم "الكنزفره" والكهان والقندلفتان بالوضوء ثم بإقامة "الرهمى"، وبعد الممهدات هذه يأخذ الكهان السبعة ومعهم الأستاذ أمكنتهم داخل "الانديرونا" متجهين إلى الشمال، ويقف "الكنزفره" في أقصى اليمين، وأمام كل منهم كتاب مفتوح هو كتاب "سدره اد نشماثه".

إليك الآن وصف المشهد تفصيلاً: الساحة تغص بالناس وأمام "الانديرونا" تترك مساحة يجلس فيها المرشح بملابسه الجديدة وقد خيطت في جهة الطبرشيل اليمنى قطعة من الذهب وفي الجهة اليسرى منه قطعة من الفضة. هناك يجلس فوق كرسي مواجهاً

(*) قال الشيخ عبد الله (وهو كنزفره معاصر) إن انتقال "الشوليه" من "الانديرونا" إلى "الشخنته" يعني أنه قد ارتقى من درجة فئة المندائيين العامة إلى درجة (الترمذه) أي أدنى درجات الكهانة .

مدخل "الانديرونا" وبين يديه كتاب "سدره اد نشماثه"، مغلقاً، ومعه غصن طري من الزيتون وقد نصب علمان "درفشه" واحد عن يمينه والآخر عن يساره شمالي "الانديرونا" وجنوبي المرشح الجالس على كرسيه. وعن يسار كل علم وضعت "كنثه" (صندوق من الطين فوق غطائه توجد أدوات المراسم)، وفي الزاويتين الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية من الساحة يتجمع المشاهدون من الصائبين ويقف النساء والأطفال بنين وبنات في الزاوية الشمالية الغربية يطلقون صيحات الفرح من وقت لآخر.

وفي الزاوية الشمالية الشرقية كان هناك نساء (*) مهمتهن خياطة التيجان (تاغى). وفي شرقي الساحة كان يقف أناس سنتبين واجباتهم فيما يلي:

يؤتى بقماش حريري أبيض وبنسيج قطني أبيض أيضاً عرضه حوالي الذراع ويسلم إلى "الكنزفره" في "الانديرونا"، ويكون الحرير من نوع القز، أي حرير طبيعي منسوج، باليد، يقوم "الكنزفره" بقصه إلى قطعتين يصنع من واحدة منهما تاجاً له ومن الأخرى تاجا للمرشح. ثم يأخذ النسيج القطني ويقطعه إلى قطع عرض الواحدة حوالي الثلاث عقد، فإذا كان هذا التكريس أول تكريس يجريه، فإنه يقطع القماش إلى ثلاثين قطعة، أما إذا كان التكريس الثاني أو أكثر فإنه يقطع القماش إلى أربع وعشرين قطعة. ويأخذ أحد المساعدين هذه القصاصات إلى النساء الموكلات بالخياطة حيث يطبقن كل واحدة طولاً ويخطن الحواشي الخشنة لكل قصاصة ويوصلن الحافتين ويخطنها أيضاً، بعد ذلك يأخذ الناس الواقفون إلى الشرق تلك القصاصات ويقلبونها ظهراً لبطن ليكون الخياط إلى الداخل ويعيدونهن إلى الخياطات اللواتي يتممن عملهن بخياطة نهايات هذه القصاصات أو الشرائط ليعملن منهن حلقات. وهذه التيجان تخص الكاهن الجديد، وتقرأ الأدعية على كل واحدة منها في اليوم التالي.

يتلو المرشح من الذاكرة "سدره إد نشماثه" بأجمعها، بينما يتابعه الكهان الجالسون في "الانديرونا" ونسخهم من الكتاب نفسه مفتوحة أمامهم ليتأكدوا من عدم وجود أي خطأ. فالشخص لا يعتبر مستحقاً للكهانة إن لم يحفظ "سدره اد نشماثه" عن ظهر قلب، كذلك حفظ "القداس الكامل للمسخثه" و "الرهمى" (٦).

وبعد كل تلاوة ناجحة يطلق النسوة أصوات الفرح. فينهض المرشح بعد ذلك ويؤذن

(*) يجب أن تكون هؤلاء النسوة عذراوات وأن يكون عددهن ٢٦ وليس بينهن من هي في أيام الحيض .

له بدخول "الانديرونا" حيث يقبل يد "الكنزفره" وأيادي الكهان ويأخذ مجلسه بجانب "الكنزفره". تقرأ فوق رأسه تسع صلوات، ثم بعد ذلك يصرف الوقت بالتعبد إلى الغروب. يخلع الكهان ملابسهم ويخرجون ومعهم المساعدان من "الانديرونا" تاركين "الربى" والمرشح في داخلها وهما في ملابسهما الكاملة.

يقوم الكهان - يساعدهم أفراد من العائلة ببناء "شخنْته" مقابل "الانديرونا" تماماً بحيث يكون مدخلها مقابل مدخل "الانديرونا" بالضبط (ليس للبيت هذا أي باب أو نافذة) أي في الجدار الجنوبي (للشخنته) ويبنى هذا الكوخ من القصب على شكل "جمالي" مستطيل بسقف منحدر الجانبين، ويشبه في الحقيقة "المندى" إلا أنه لا يملط بالطين وليس على تلك الدرجة من التعقيد. ففي جداره الشرقي يوجد ثلاث قوائم وثلاث عوارض، وفي جداره الغربي أربع قوائم وأربع عوارض، ويغطي أعلاه بالموزلين الأبيض. وحين يخيم الظلام يقضي "الكنزفره" والمرشح الليل في "الانديرونا" يقرأان الكتب المقدسة أو يقيمان الصلوات. ويوضع في "الانديرونا" كل ما يمكن إيجاده من الكتب المقدسة وبالأخص كتابان هما ديوان "آلمه ريشايه" وديوان "ملكوثه اليثا"، فإن لم يكن هذان الكتابان من بين الكتب اعتبرت المراسم باطلة.

ولا يظل المرشح واستاذه "الكنزفره" يقظين وحدهما بل ويظل معهما كذلك جميع الكهان وأفراد العامة، حيث يقضون الليل بالمرح ودق الطبول وإقامة الأفراح. فإذا رغب المرشح بمغادرة "الانديرونا" فله أن يفعل ذلك لمدة قصيرة على أن يبقى هناك "الكنزفره"، فإذا خرج هذا فعلى "الشوليه" أن يبقى لأن "الأنديرونا" يجب أن لا تكون خالية (*).

وفي الفجر الباكر قبل شروق الشمس يخرج "الشوليه" واستاذه (ربى) أي "الكنزفره" من "الانديرونا" ويقفان بين الكوخين، حيث يبدأ المرشح بتلاوة كتاب الأرواح (سدره اد نشماثه). وبعد أن ينتهي من ذلك يدخل "الشخنته" بينما يذهب الكهان إلى "الانديرونا" ويقومون بهدمها وتخريبها (**). ويقول "سيوفى" بأنها تحرق، ولكن جميع الذين سألتهم عن ذلك استنكروا هذا مع الدهشة.

(*) لا يجوز الخروج من الانديرونا لكليهما في الليلة الأولى .

(**) في يوم الأحد الأول بعد يوم السبت وهو بداية العمل يقوم الكنزفره ببناء (الرهمى) وتعميد (الشوليه) وعلى هذا أن يقوم بتلاوة صلاة استئذان وطلب الغفران (مشبه زيوه الكبير) وبعد الانتهاء من تلاوتها يدخل إلى الماء ليتعمد حتى إذا انتهى من ذلك خرج من الماء وأخذ كتاب (كنزه ربه) ووضعه فوق رأسه مسنداً إياه بيده اليمنى وهكذا يأتي من الماء ليدخل إلى "الشخنته" .

يجب أن يبقى المرشح داخل الكوخ الجيد (شخنته) إلى صباح يوم الأحد الثاني، لايخرج منه إلا لإجراء الوضوء (الرشامه) أو استجابة لنداء الطبيعة، أو لغسل طعامه في ماء النهر، ويقول الكهان إن المرشح يستطيع من الناحية العلمية مغادرة الشخنته لمدة ساعة تقريباً إذا حل الكنزفره محله، لكنني أميل إلى الظن بأن ذلك لم يكن ممكناً في الأيام الخوالي.

ولدى أول دخوله في "الشخنته" يرتدي "الشوليه" رسته جديدة (كان يرتدي رسته جديدة في اليوم الأول) ويقوم الكهان وقد انتهوا من تكريس أرديتهم (رسته) بعد الطهارة الأولى بتزيينه بحلقة الكهانة (شوم ياور) وبتيجانه والاكليل (اكليله) والصولجان (مركَنه) أي بجميع شارات درجة الكهنوتية. وتكون حينئذ الصلوات طويلة ولا يمكن تدوينها هنا. تؤخذ بعد ذلك إبرة وخيط وتفحصان جيداً ثم تخاط كل قطعة وكل عقدة في الملابس المقدسة في محلها الخاص ويصنع "بالكنزفره" مثل هذا الصنيع.

ويجب أن يقضي الأسبوع الأول في حالة من الطهارة المطلقة(٧). فيصرف "الكنزفره" أكثر وقته في الكوخ مع المرشح يرشده ويصلي معه، وباعتبار هذه الأوقات أوقات سرور فالمرح والفكاهة قائمتان على قدم وساق خارج الكوخ، ولا يمنع المرشح من تناول لحوم الضأن والخضراوات والفواكه والسمك إذا ما طهرت بصورة صحيحة وهيئت وطبخت من قبل أحد الكهان. أو من قبل امرأة تنحدر من عائلة كهنوتية وقد تجاوزت سن الحيض (*). ويجب أن يقوم المرشح بصنع خبزه بنفسه، وقد هيئت له "طريانه" و"بريهى" لهذا الغرض (**)؛ وتعامل هذه الأشياء بعناية تامة، إذ إن أية حادثة عرضية تحدث لأي أداة من أدوات الشعائر خلال عملية التكريس تستدعي إجراء العديد من المعموديات. فإذا انكسرت "الطريانه" خلال الأسبوع الأول أو في أيام الطهارة الستين التي تلي بعده، فعلى المرشح أن يتعمد ستين عماداً، وكذلك بفعل استاذه - ربى - فإذا كان المكسور "البريهى" تعمد كلاهما لدى خمسة كهان، أما في حالة كسر "الكنكانه" فلدى ثلاثة كهان وإذا ما عامت "المركنه" فوق سطح الماء أو إذا ما كسرت، فعلى كل منهما تناول خمسين عماداً، وإذا فقد الخاتم "شومياور" فخمسين عماداً أيضاً، وستين

(*) لا يجوز أن تقوم امرأة بعمل طعام المرشح في مثل هذه الحالات.

(**) ليس فرضا أن يصنع المرشح الخبز بنفسه إذ لا يجوز له ترك الانديرونا لمدة طويلة.

في حالة التاج، فإذا تضررت السراويل أو "البرزنكه" أو "الهميانه" أو "الطبرشيل" (نصيفه) أو فقدت فعلى "الكنزفره" والمرشح تناول عماد ثلاثي على يد ثلاثة كهان.

وأخطر تلوث خلال الأسبوع الأول هو الاحتلام الليلي. ولهذا السبب لا يسمح للمرشح بالنوم طيلة أيام الأسبوع، وذلك بإحداث ضجيج مستمر يمنعه ويحرمه من النوم حيث تقرع الطبول ويرتفع التصفيق ويشارك الضيوف بصيحات الفرح التي تصم الآذان، ويكون السرور مستمراً وبضوضاء. فإذا ما هوم المرشح من وقت لآخر وخزه الكاهن، ولكنني أستنتج أنه لا بد أن يعطى مجالاً قليلاً إذا كان النعاس خفيفاً. فإذا ماحصل، رغم كل التحفظات أن حدث مثل ذلك التلوث خلال الأيام الثلاثة الأولى ولياليها يخضع "المرشح" و "الكنزفره" لثلثمائة وست وستين عماداً يتناولانها في نهاية مدة الاحتفالات. وإذا حدث التلوث في اليوم الرابع أو في ليلته فعليهما إجراء ستين عماداً؛ وخمسين في اليوم الخامس وثلاثة عمادات على يد ثلاثة كهان إن كان في اليوم السادس مع تلاوة "الرهمى" إحدى وعشرين مرة. وإذا حصل الاحتلام قبل منحه التيجان فيؤجل التكريس كله عاماً كاملاً.

ويرتدي "الشوليه" كل يوم "رسته جديدة"(*) وتوزع الملابس والطعام يومياً باسمه على الفقراء. ويتناول كل يوم "البهثه" و "الممبوهة" من الكهان. ويقوم بتلاوة "الرهمى" ثلاث مرات يومياً مع إقامة الصلوات صباحاً وظهراً ومساء. ويعلمه "الكنزفره" كل يوم ثلاث كلمات سرية (ان كلمات القدرة هذه عددها احدى وعشرون كلمة). وبما أن تلك الكلمات أكثر قدسية من أن تلفظ فقد كان "الكنزفره" يخطها فوق التراب.

في الصباح الباكر من يوم الأحد التالي وبعد "الرهمى" يقوم "الشوليه" بتعميد "الكنزفره" في الصباح الباكر من يوم الأحد ذاك، وبعد إجراء "الرهمى" يقوم "الشوليه" بتعميد "الكنزفره"، والمراسم كما هو المعتاد غير أن الصلاة ليست جميعها مما يصلى في العماد الاعتيادي، ويسمى هذا العماد "مصبته اد زهريئا" ويعادل بفضله ٦٠ عماداً. ويقوم بتعميد "الشوليه" سبعة كهان أو ثلاثة على أن يكون أحدهم "كنزفره".

تنتهي بذلك المرحلة الأولى للتكريس ويشرع "الشوليه" بفترة الطهارة التي تستغرق ٦٠ يوماً، يجب عليه خلالها القيام بالاغتسال (طماشه) ثلاث مرات يومياً

(*) إن الرسته الجديدة التي يلبسها الشوليه يوم الأحد تظل عليه سبعة أيام ولا تستبدل بأخرى جديدة.

قبل "رهمى" الصباح وعند الظهيرة وبعدها على أن لا يرتدي ملابس أخرى جافة إلا بعد الانتهاء من واجبه اليومي. ويعيش المرشح بعيداً عن أسرته وعن زوجه إذا كان متزوجا كما يجب أن يكون غذاؤه حسب قول بعض الكهان خالياً من اللحم تماماً إلا أن آخرين يقولون إن لحم الضأن ولحم الطيور الطاهرة (غير آكلات اللحوم) مسموح بها(*) ويمنع أكل لحم الدجاج والبيض منعاً تاماً فطعامه الأصلي هو الخضراوات والفاكهة والحليب ويحرم عليه القيام بالذبح ويقوم هو نفسه بصنع خبزه وبتنظيف الحبوب سبع مرات قبل طحنها (**)؛ ولا يسمح له بالذهاب إلى السوق أو إلى الحمام العمومي أو المرافق الصحية العامة، كما لا يجوز له خلع سراويله كلية أو حسر رأسه، وتكون هذه القاعدة من الدقة والاتقان بحيث يكون عليه أن يضع فوق رأسه كساء يثبت ما عليه من غطاء حين يقوم بالاغتسال في النهر. فإذا رغب أن يمشط شعر رأسه فعليه أن يذهب إلى غرفته أو إلى كوخه لأنه يعيش على انفراد في بيته الخاص طيلة فترة الطهارة، وهناك يزيح غطاء رأسه بعد أن يدخل في ناموسية من الموزلين كتلك التي تحمي من البعوض. وإن زيارة عارضة له من قبل شخص ما أو مس شيء غير طاهر، يوما ما، يخرج ذلك اليوم من حساب الأيام التنسكية على أن يعوض بيوم آخر مع تعمد خاص به في هذه الفترة. ولهذا فنادراً ما تنتهي هذه الفترة من الطهارة في مدة ٦٠ يوماً.

وعند انتهاء هذه الفترة بسلام يقرأ "الشوليه" "مسخثته" الأولى (***) وتكون باسم راعيه (ربى).

وفي يوم السبت من الأسبوع تكنس ساحة "المندى" وتنظف وتطهر البركة وقناتا الماء الملحقتان بها ويطلى المندى بطين جديد ويملط الطين على شكل قوس ثلاثي حول مدخل الكوخ ويطهر الوقود وتغسل حبوب القمح والسمسم وتحضّر. وباختصار تتخذ جميع الاستعدادات لأعمال الغد قبل أن تغرب الشمس.

(*) لايمنع عن أكل اللحم إذا كان مذبوحاً من قبل الكهان أنفسهم .

(**) يقوم هو أو سواه بتنظيف الحبوب ولا عبرة في عدد مرات التنظيف .

(***) قبل قيامه بعمل وقراءة مسخثته الأولى عليه أن يقوم بتعميد استاذه (الكنزفره) مرة ثانية وهي الأخيرة التي تدل على نجاحه في عمله وبعدها يدخل إلى المندى لعمل وقراءة المسخثه .

وفي صباح يوم الأحد التالي يغسل "المندى" من الداخل والخارج ويؤتى بالحمامة والكبش المهيئين للذبح كضحية كما مضى في الفصل السابق. يرتدي "الكنزفره" نفس "الرسته" التي كان قد ارتداها في أول يوم من أيام تكريس "الشوليه" ثم يقوم بذبح الحمامة بعد ذلك يخلع "الكنزفره" هذه "الرسته" لتحفظ بعناية في صندوق، مع الاحتراس بعدم مسها بأية نجاسة، فحدوث ذلك يعرض إلى إجراء المعموديات كعقوبة. وحالما يرتدي "الكنزفره" هذه "الرسته" عليه أن لا ينبس ببنت شفة.

والآن أصف ما مررت عليه سريعاً في الفصل الأخير وهو "المسخثه".

. مسخثة الشوليه .

يؤتى بالحمامة الذبيحة إلى داخل "المندى" ويقوم أحد الكهان بنزع بعض الريش من صدرها ثم يقتطع قليلاً من اللحم من ذلك الموضع في الصدر الأيمن ويضع عليه الملح ويخرج به ليشويه على النار. بعد ذلك يوضع اللحم المشوي فوق "طريانه" كبيرة داخل المندى كانت قد وضعت قريبة من الجدار الشرقي الملاصق للباب. وتوضع أمام "الشوليه" "طريانه" صغيرة يوضع فوقها "البريهى والقوقه"، أما ما تبقى من الحمامة فيوضع ملفوفاً في خوص النخل الأخضر في موضع بين السقف والجدار الشمالي من "المندى" مقابل "الطريانتين" تماماً على أن لا يكون رأس الحمامة بمواجهة "الشوليه" (في تكريس المندى كانت الحمامة تواجه "الكنزفره" التي تكون "طريانته" في أقصى اليمين)، وتكون الاجراءات والمراسم هي نفسها من الناحية العملية عدا قيام الكهان الثلاثة بقراءة "المسخثه"، ولكل منهم "طريانه" كبيرة وأخرى صغيرة. ويقوم "الكنزفره" بتكريس اثنتين وأربعين "فطيرة" كما يكرس كل من الكاهنين الآخرين اثنتي عشرة فطيرة لكل منهما. وتوضع طاق رحى في الجهة الغربية من "المندى" وهنا يشرع المرشح بتلاوة الأدعية الخاصة "بالمسخثه" ويقوم راعيه (ربى) بالتحلل من ملابسه ويصبح متفرجاً محتفظاً بكتاب "شرح تكريس ششلام ربه" مفتوحاً بين يديه ليتابع تلميذه ويلقنه ما قد يغيب عن باله.

يبدأ المرشح بتفقد ملابسه: "شروالي اترس"، ثم يأخذ عصاه وقنينتين فارغتين بيده اليمنى ويذهب إلى الحوض الملحق بـ "المندى" حيث يضع القنينتين على الضفة ويتوضأ

(رشامه)، ويطهر عصاه (مركنه) بالماء ويملأ القنينتين ويضع إحداهما شرقي مدخل "المندى" والأخرى فوق "الطريانه" الكبيرة التي يجلس قبالتها، وعلى "الطريانه" الصغيرة يوجد وعاء النار والبخور وعلى الكبيرة توجد الأطعمة الطقسية وفي "ميسرى" "الطريانه" الكبيرة توجد "كبثه" مملوءة بزيت السمسم ممزوجاً بعصير التمر، وكان قد عصر بعد خلط السمسم بالتمر وهرسهما كما وصفت سابقاً.

أما الأطعمة التي تستعمل في هذه الطقوس فهي موضوعة بالترتيب وعلى استدارة "الطريانه" ابتداء من الزاوية الشمالية "للميسره" كما يلي:

١- الطبوثه: وهي الزبيب والسفرجل وحب الرمان وقطع من جوز الهند وشيء من اللوز المقشور وبعض لحم الحمامة المشوي.

٢- قنينة ماء.

٣- "كبثه" فارغة.

٤- ست وستون رغيف خبز صغيراً (فطيرى)، كانت عجينتها قد هيئت من قبل الكهان دونما ملح.

ويقوم القندلفت (اشكنده) بتهيئة الأرغفة، إلا أنه لا يقوم بخبزها بل يقوم بإمرارها ثلاث مرات فقط بحركة دائرية من فوق النار.

يكون موقع المرشح خلف "الطريانه" ذات الطعام، وأمامه أدوات النار والبخور [انظر الشكل من أجل ملاحظة التشابه مع الترتيبات الفارسية في احتفالات افرنجان].

وحين يجلس المرشح فهو إما أن يجلس فوق لوح من الخشب أو على كرسي من القصب ويبدأ بتلاوة جميع الأدعية والتراتيل عن ظهر قلب.

يبدأ المرشح بتكريس ملابسه وتاجه وهو يذكر اسم أستاذه (ربى) الذي قام بتكريسه في كل موضع فيه ذكر لاسم (يذكر اسم الميت في مسخثه الميت ولكن في مثل هذه "المسخثه" التي هي لشخص حي يذكر اسم الشخص المطلوب أي المقامة باسمه). ويكون عدد الأدعية هنا خمسة ولا حاجة لاقتباسها. فبعد دعاء "مندا اقرن" يتلو "بشم اد هيي ربى اسوثا وزكوثا نهويلى الهازانشمثه دفلان بربلا نيتا ادهازه مسخثه هيله أكبر"، وما بعدها. ثم يشد "البندامه" حول القسم الأدنى من وجهه

(حنكه) ويأخذ القنينة بيده اليسرى وقليلاً من البخور الذي فيها بيده اليمنى ويتلو "هيل هيي قد مايي" [بقوة الحي القديم] بينما يضع الشاهد اربع زبيبات في "الكبثه" الفارغة فوق "الطريانه" ويقرأ المرشح "باسم الحياة أنت ماء الحياة إلخ..." وحين يصل إلى كلمات "اللواتي فارقت أجسادها" يصب قليلاً من الماء على الزبيب في "الكبثه" حتى إذا وصل في دعائه إلى عبارة "روح المسخثه" يذكر اسم "الكنزفره" ثم يرمي البخور في إناء النار ويناوله "الكنزفره" غصناً من الآس يأخذه ويبدأ بتلاوة ستة أدعية ثم يأتي القندلفت ويأخذ العجين الذي لا ملح فيه ويمرره ثلاثاً فوق النار مردداً "اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخر إلخ..." أي "اسم الحي أو الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليك" وتسمى هذه العملية "سهاده اد نوره" أي شهادة النار (*).

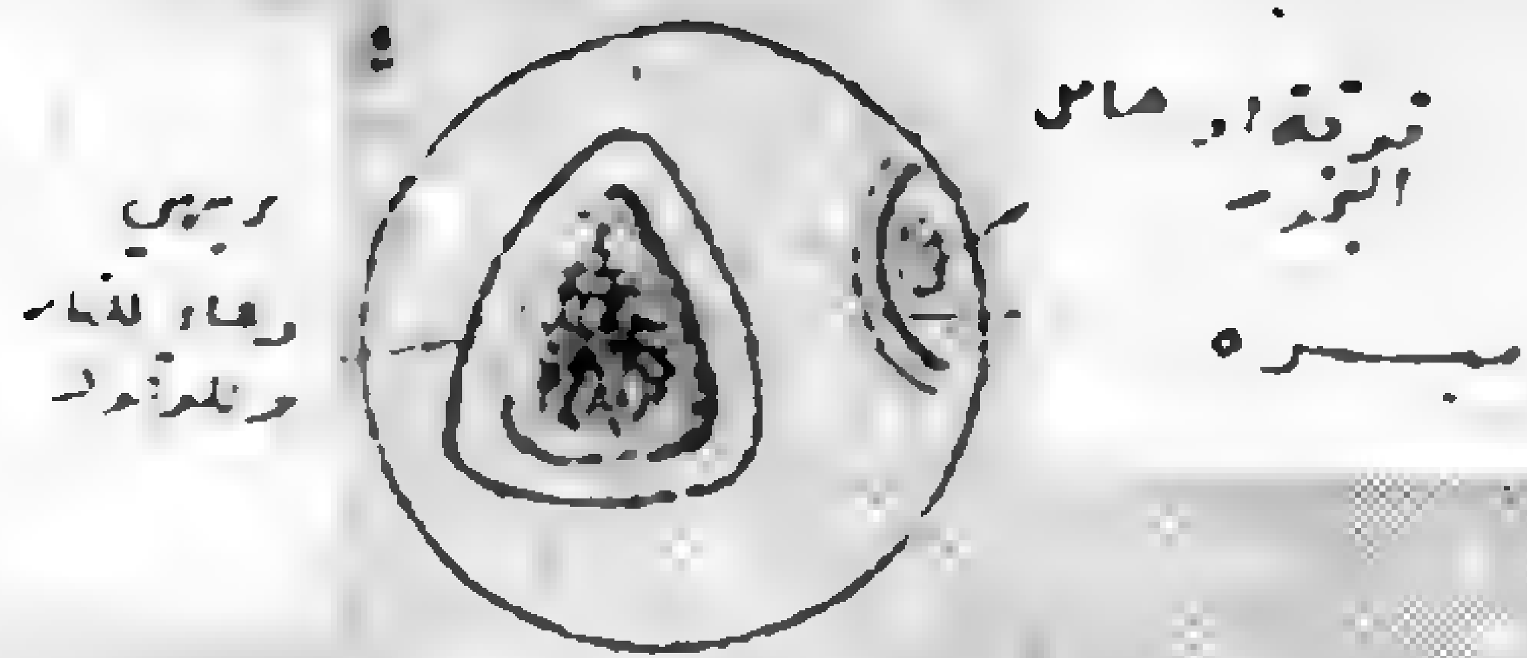
يضع المرشح قدح الماء الممزوج بالزبيب فوق "الطريانه" ثم يأخذ شيئاً من العجين، وغصن الآس لا يزال في يده، ويقوم بتلاوة تسعة أدعية.

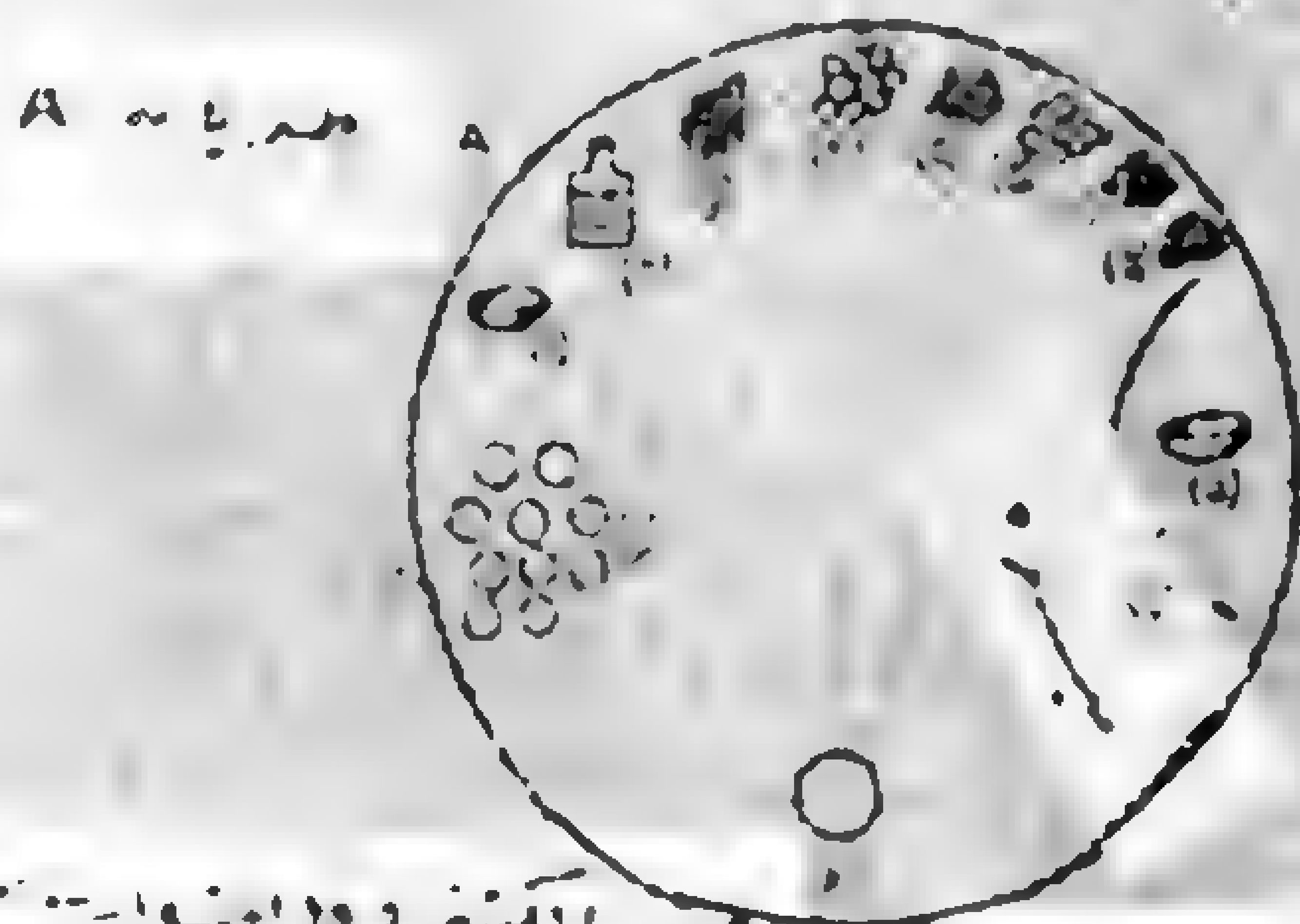
بعد ذلك يغمس خاتمه "شوم ياور" في ذلك القدح من ماء الزبيب ويسمى "همره" ويتلو دعاءين ثم يأخذ "الكبثه" التي تحتوي على عصير السمسم والتمر (مشه) ويضع الاكليل و "البهثه" فوق "الطريانه" ويتلو ثلاثة أدعية، فإذا وصل بالدعاء الثالث إلى عبارة "بالبوشه اد يوزاطق منداد هيي" يلف الاكليل بـ "البهثه" ويتلو نفس الدعاء إلى نهايته، حتى إذا انتهى من ذلك جلس وبدأ بتكريس الفطائر التي يناولها بدوره إلى القندلفت ليضعها واحدة فوق الأخرى كل عشرة سواء فوق "الطريانه" حتى ينتهي من تكريس وتجميع الفطائر الستين الواحدة فوق الأخرى.

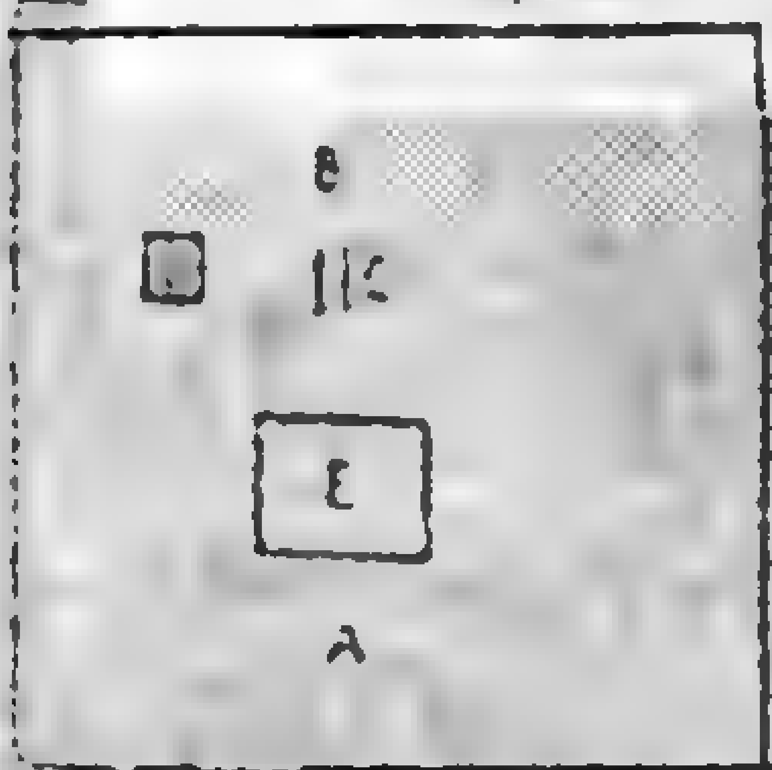
- طقوس الفطائر-

يمسك المرشح بالاكليل فوق كل فطيرة ويضع على كل منها شيئاً من حب الرمان وجوز الهند والفندق والسفرجل والزبيب وشيئاً من لحم الحمامة، ثم يغمس اصبعه في الزيت (مشه) ويمر به عليها وهو يتلو بعض الأدعية.

(*) معناها التسهيد في النار لا شهادتها .









T - الكاهن القائم بالعمل

A.

B.

وهكذا يرسم كل فطيرة خمس عشرة مرة، وحين ينتهي من رسم الفطائر الستين يستأنف تلاوة دعاء كان قد تلاه سابقاً حتى إذا بلغ ذكر "روح فلان البيت اباثر" يصل إلى الدعاء الخاص بالأسلاف (ابهاثان) أي التضرع إلى الأسلاف، وينتهي الدعاء الأول بدعاءين دون الرسم بالزيت. وهذه المراسم مهمة لدرجة أن "الكنزفره" يظل يتابع تلاوتها بقوله: "وقل قد قسمت ونزعت العلامات المثلثة إلخ....".

ويرد "الشوليه" محترساً أن يكون صحيح الرد فيقول: "قطعت وقسمت وابتلعت جزءاً من الـ (با) واقتطعت شيئاً من الفطيرة العليا وشيئاً من الفطيرة السفلى". وبينما هو يكرر هذه العبارات يكسر قطعة من الفطيرة العليا وأخرى من الفطيرة السفلى من الكوم الذي أمامه ويضع هاتين القطعتين إلى جانب "البهثه" بعد إزالة الإكليل منها مضيفاً إلى ذلك شريحة من لحم الحمامة ثم يقوم بعد ذلك بالدعاء ماداً كلتا يديه فوق أكوام الفطائر، والبهثه في يمينه، ويتلو ثلاثة أدعية وهو واضع يده على لثامه؛ بعد ذلك يحل اللثام ويغمس "البهثه" مع ما أضيف إليها، في الخمرة، ويضعها في فيه، ثم يبتلعها بأجمعها ويشرب بعد ذلك الخمرة. يناوله المساعد "كبثه" أخرى وقنينة من الماء كان قد وضعها خارج "المندى" في المدخل عند بدء إجراء المراسم. يصب المرشح شيئاً من هذا الماء في "الكبثه" ويشربه وعليه الآن أن يرفع صوته ويتلو سبع صلوات يدخل فيها اسم "الكنزفره" في محلاتها المناسبة. وبعد تلاوة هذه الصلوات السبع يمد يديه فوق "الطبوثه" ويتلو تسعة أدعية. بعد ذلك يجلس ويتلو دعاء "طاب طابه الطابى" وهذا الدعاء مرتبط دائماً بطقوس تناول الطعام. الذي يخص "سام بن نوح" أي "طاب طابه الطابى واترس كنيانه الرهمى". ينهض بعد ذلك ويتلو دعاءين.

يجري ذلك كله بينما تظل ست من الفطائر لم تمس فوق الطريانه.

يعيد المرشح شد لثامه ويعيد تلاوة ما مر جميعاً من أدعية منذ أن بدأ بشد اللثام في المرة الأولى. وأنا عاجزة عن اكتشاف سبب استبعاد هذه الفطائر الست من التكريس مع الفطائر الستين الأولى (*)، وهكذا تطلبت هذه إعادة طويلة للطقوس حيث ينهض "الشوليه" ويتلو ستة أدعية، بعد ذلك يتلو دعاء "ابريخا ومشبه" الكبرى مرة أخرى ثم دعاء "طاب طابه الطابى" ـ اباهاثان قد مايى أو صلاة الأسلاف ـ ودعاء "مشبه زيوه ربه قدمايى".

(*) لم يعط الكهان تفسيراً لهذا .

يعطي بعد ذلك يده اليمنى للمساعد من أجل العهد (كشطه) قائلاً: "اسيخَ قميخّ" الكبير (رفتى) ثم دعاء "طاب طابه الطابى" مرة أخرى.

تنتهي "المسخثه" عند هذا الحد ويقوم "الشوليه" أو بالأحرى الكاهن الجديد بعمل القداس الاعتيادي (الماء والخبز) باسمه الخاص بدلاً من اسم "الربى"؛ ويهيئ المساعد (بهثه) فيها ملح ومشوية على النار (يجب أن لا يغيب عن البال من أن البهثه التي كانت تهيأ للمسخثه كانت بدون ملح وغير مشوية).

ولا يعود الماء يؤخذ (للممبوهه) من القنينة بل من ماء البركة مباشرة ومن قبل المساعد ويجري كل ذلك بمصاحبة الأدعية التكريسية المعتادة. وعند الانتهاء من التكريس يضع الكاهن صولجانه تحت "الطريانه" ذات "الطبوثه والفطائر".

يأتي له المساعد بمزيد من ماء البركة ويقوم بقراءة دعاءين هما:

١- اتملون هيي (*).

٢- طاب طابه الطابى... و (دعاء الأسلاف) ثم يرمي الماء على صولجانه.

بعد ذلك يعيد تلاوة دعاء "شال شلوثه" . وهي مدونة في أكثرالكتب الطقسية فلا حاجة لاقتباسها هنا . ثم دعاء "قم من هبى اسوثخون... إلخ". بعد ذلك يتفقد المساعد ملابسه بالطريقة المعروفة ليتأكد من مكان كل قطعة منها ، ويناوله الكاهن الجديد (الكشطه) (٨) ثم يأخذ بالدعاء متحللا من ملابسه وتاجه وتنتهي بهذا هذه الشعائر الطويلة.

أما فيما يخص الفطائر الست والستين والحمامة فإن المساعد يقوم بلفها بقماش أبيض ويدفنها كما مر معنا في الفصل السابع في مكان ما من ساحة "المندى" ولكن ليس في الجهة الشرقية منه. وقد أخبرني أحد الكهان متباهياً أن تكريسه في "المسخثه" قد استغرق ست ساعات فقط؛ لقد كان عملاً بطولياً استثنائياً. إنه امتحان عسير ليس لذاكرة الكاهن فحسب بل ولاحتماله الجسمي أيضاً.

(*) ادعوا للحي .

ملاحظات حول الفصل التاسع

١- الكهانة الوراثية : كانت كهانة "بارو" في عبادة ـ الشمس في سيبار وراثية كما كانت وراثية أيضاً لدى اليهود والمجوس .

٢- الشعر : إن قص الشعر ـ والشعر رمز لأشعة الشمس ـ ربما كان يشكل خطيئة ضد النور . خذ قصة شمشون مثلاً ، فهو في القصة تجسيد للشمس أو لبطل الشمس ، فشعره الطويل ـ أشعته . يقص بالشتاء وبقوى الظلام ، فينمو شمشون ضعيفاً ، وحين تطول أشعته في الربيع يصبح قوياً فيكسر قيود الثلج والموت وينهض ويسحق أعداءه . ويوجد الشعر الطويل كخاصة من خواص الكهان الذين يتخذون من الشمس رمزاً للآله . فالكهان الحرانيون كما وصفهم المؤرخون العرب ، كانوا يلبسون البياض وكانت شعورهم طويلة كما كانوا يرتدون الزنار أيضاً . واليزيديون الذين يظهر أن لهم عبادة ـ شمس ، يطيلون شعورهم ويلبسون القبعات العالية والملابس البيضاء كما كان يفعل الحرانيون القدامى .

ونقرأ في العهد القديم أن أم شمشون نذرته ولم تدع مقصاً أو سكيناً يقترب من شعره . ويظهر أنه كان يوجد نوعان من المنذورين ، المؤقت وهو الذي يقص شعره حين ينتهي نذره والدائم وهو الذي لا يقص شعره منذ الطفولة .

ويظهر أن الشعر في الرأس مقدس ، إلا أن الشعر على البدن يعتبر غير نظيف عند اليهود والعرب في العراق ؛ ويصور الشياطين بأبدان مشعرة ؛ كما تقوم العذراء لدى اليهود والعرب قبل الزواج بإزالة شعر بدنها (ليس لدى الصابئين مثل هذه العادة) .

والشعر في الرأس وبخاصة في اللحية علامة على الشرف ، يرتبط قص الشعر غالباً بفكرة الانقطاع لله (الراهب والراهبة) أو أنه يحلق أو يقص علامة على الحزن الشديد من أجل الموتى ، فاليزيديات حين يموت أزواجهن يحلقن شعورهن الطويلة ويلففنها حول شاهد القبر أو يرمينها فوقه .

والمفروض أن للشعر علاقة سحرية بصاحبه حتى بعد أن يقص ، فالعراقيون يرمون شعرهم الذي ينسل مع المشط في النهر لا كتقدمة أو نذر بل لئلا يناله عدو يستعمله في السحر ضدهم . ولا يرى المرء شعوراً كنذور في الأضرحة أو على قبور القديسين كما هي الحال في جنوبي أوروبا . والمسلمون حليقون بشكل عام . تام أو جزئي ، وهذا يتوقف على الذوق الشخصي .

والصابئون ، عامةً وروحانيين ، يعتبرون قص شعر الرأس أو اللحية عملاً غير طاهر .

ويدفن البارسيون أظفارهم وشعورهم ، ومن عاداتهم الاستحمام بعد حلق شعر الوجه والرأس . ومن المحتمل أن يكون هذا بسبب اعتبار أي شيء ينمو فوق بدن الإنسان غير طاهر ومصدراً للدنس بعد أن يزال من الجسم . وقد أخبرني أحد الأصدقاء البارسيين أن الكهان عندهم يحلقون شعورهم أو يقصونها ، غير أن القص يجب أن يقوموا به هم أنفسهم لا الحلاق . ويعتبر السيخ قص الشعر محرماً .

٣- الفدوه : إن ذبح كبش أو طير في بعض الأحيان لدفع الشر عن شخص أو دار . عادة تمارس في العراق بصورة عامة دون التمييز ما بين الأديان . فالمسلمون والنصارى واليهود واليزيديون يمارسون هذه العادة وبخاصة في مناسبات الزواج حين تدخل العروس دار زوجها متخطية دم كبش منحى . وفي زواج الملك في العراق حديثاً اجتازت سيارة العروس الطريق إلى باب القصر فوق دم ضحية كان قد قطع عنقها قبل دخول السيارة بلحظات . وتقول المرأة أحياناً حين يموت لها ميت (فدوة لك) ومعنى ذلك أن الموت قد قبل تعويضاً عن شخص

ما كان يقصده . وقد سمعت كلمة "قربانك" أيضاً في مثل هذه المناسبات . وهذه التعابير لا يستعملها الصابئون مطلقاً وإذا كانوا يستعملونها فأنا لم أسمعها منهم .

٤- يجب أن يكون المرشح للكهانة لدى البارسيين "سالما من الجذام أو أي جرح ينزف وإلا حرم من درجة الكهانة . إن المرشح البارسي يؤخذ إلى غرفة ملاصقة ويعرى ويفحص فحصاً جسدياً كاملاً" . (J.J.M.,P.205)

٥- يحرم لبس الملابس الزرق لدى الصابئين كما هي الحال لدى اليزيديين . كذلك يحرم الصابئون لبس السواد لأنه لون الحزن والموت ، أما فقراء اليزيديين فيلبسون السواد . ويعتبر المسيحيون والمسلمون في العراق اللون الأزرق لوناً يناسب الأحزان .

ويرى اللون الأزرق على شكل أزرار وخرز وشذر ولازورد وفخار كوقاية ضد العين الشريرة . والزر ذو الثقوب السبعة أو الخمسة أو الاثنين المعروف بـ "دهشه" أو "خضرمه" غالباً ما يخاط في ملابس الطفل بين الحلى أو يشد في سرج الحصان أو يوضع في صدور الزوارق والقفف . واستعماله شائع في العراق .

٦- يشبه ذلك ما يجري أثناء مراسم "النافار" أو الدخول إلى الكهانة لدى البارسيين حيث يجب على المرشح أن يتلو "مينو . نافار يسنه" في طقوس "اليازاشناكاه" . في هيكل للنار . كما يفترض أن يكون قد أجرى "الياسنا" و "الفسباراد" وسبع صلوات من "الافستا" الصغرى ، يتلوها عن ظهر قلب . وعلى المرشح البارسي أن يستحم ويلبس البياض ويلف العمامة .

٧- في حالة تكريس كاهن بارسي على المرشح "أن يقضي أيامه التي تبلغ الثلاثين يوماً في حالة عزلة ليحرر نفسه من الأفكار الدنيوية كما أن عليه أن ينام على الأرض لا على الفراش وأن يتناول طعامه بعد إقامة الصلاة . وحسب العادة الحاضرة إذا احتلم المرشح أثناء "أحد البارشنومين" فعليه أن يستأنف (البارشنوم) ثانية .

٨- اليد اليمنى التي تعطى في العهد (كشطه) يقبلها صاحبها بعد تحررها ويرفعها إلى جبهته للسلام .

الفصل العاشر

الكهانة (تتمة): تكريس الكاهن الأعلى (كنزفره)

يجب أن يقوم بتكريس كاهن إلى درجة "كنزفره" (يلفظ كنزفره أو كنزوره) كاهن بدرجة "كنزفره" وكاهنان بدرجة "ترميده" واثنان من المساعدين (شكنده). ويجب أن يكون الكاهن (ترميده) المراد رفع درجته إلى "كنزفره" ذا أخلاق فاضلة محترماً لبقاً متقناً لتلاوة الطقوس والمراسم قادراً على شرح الكتب المقدسة. كما يجب أن لا يكون ابناً لرجل من العامة (سواديه) بل يكون ملكاً بن ملك (ملكه برملكه) أي مولوداً لعائلة دينية صالحة، لأن التاج هو رمز عمله الملكي كحاكم ومشرع وزعيم. ولا يتم تكريس "الكنزفره" إلا حين تقترب المنية من شخص تقي من أفراد الطائفة طاهر طقسياً ومن سلالة الكهان(*) ومتزوج ومنجب. وحالما يظن أن ذلك الشخص قد اقترب من نهايته يخبر "الكنزفره" والكهان وتتخذ الاستعدادات للاحتفال الديني المسمى "انكرتا" أو الرسالة.

يقوم الكهان باجراء "الرهمى" ويتعمدون هم والمساعدان، ويقوم كاهن بتعميد "الكنزفره" كما يتعمد هو بدوره على يديه، وينال المندى تطهيراً شاملاً، وتحدد له الحدود (ميسرى) وتطهر ويغسل الكوخ داخلاً وخارجاً تماما كما جرى في تكريس "المندى" (طراسه اد مندى) وفي تكريس الكاهن.

بعد ذلك يؤتى بالشخص المحتضر (**) وقد ارتدى ملابس الموت الجديدة (رستـه) إلى ساحة "المندى" يرافقه حشد من الصابئين، لأن تكريس "كنزفره" حادث نادر وتعتبر المناسبة فرحاً عظيماً. فإذا كان المحتضر في وضع يفهم فيه ما يدور من حوله فهو

(*) يجوز أن يكون مثل ذلك المحتضر التقي من غير سلالة الكهان .

(**) لا يؤتى بالشخص المحتضر من فراش الاحتضار بل يذهب إليه .

يشعر أنه سعيد أن يختار لحمل "الرسالة"، لأنه أو لأنها، سيتطهر من جميع آثامه الماضية وسيمر إلى عالم الأنوار دونما إقامة في المطهر (مطراثه).

تغسل بذور السمسم وتحمص قليلاً على نار حطب مطهر ثم تقشر وتسحق مع التمر في هاون من حديد (*) وتوضع في قماش أبيض نظيف "كداده" ثم تعصر بملقط من حديد ليتساقط العصير في "كبثه" ويحفظ قسم من هذا الزيت (مشه) الحاصل، في الكبثه لعمل "المسخثه". وتؤخذ قطرات قليلة منه في قنينة صغيرة تختم بطين مكرس ويؤشر عليها بختم "شوم ياور" "الكنزفره" المرشح وببصمة إبهامه.

يدخل المرشح إلى "المندى" ويقرأ "الرهمى" باسم الشخص المحتضر، ثم يكرس تاجه بالصلاة المعتادة ويتلثم (يشد بندامه) بحيث يغطي فمه ومنخريه. ويكون الزيت النقي الطاهر (مشه دخيه) أمامه فوق "الطريانه"، وحين يشد لثامه يرفع الزيت ويتلو عليه تسع صلوات معينة، بعد ذلك يخرج من بيت الدين (مندى) مع المساعد ويذهب إلى حيث المحتضر في ساحة "المندى" (**). يغسل المحتضر بالماء من رأسه إلى أخمص قدميه ويعرى ثم يلبس لباساً جديداً (رستـه) ويوضع له الاكليل (انظر الفصل القادم حول طقوس الميت). وحين يتم ذلك يدس الكاهن قنينة الزيت الصغيرة في جيب صغير في يمين صدر القميص (الدشه) ويضع المساعد يده اليمنى في يمين المحتضر ويتكلم عوضاً عنه إن لم يكن قادراً على النطق، ويدور الحديث على الوجه التالي [1]:

الكنزفره المرشح: كشطه إسْيَخْ قَيمَخْ (يجعلك الحق كاملاً ويرفعك إلى العلا).

الجواب (المساعد أو المحتضر): بي وَشْكَه وأمَرْ وأشتمه (ابحث وجد ـ ويترجمها الكهان سل وتسلم ـ وتكلم واسمع).

الكنزفره المرشح: أنا اسْبِرْلَخ وأنَت إسْبَرْ له لباثر (لقد جلبتها لك وانت تحملها إلى اباثر).

يقبل "الكنزفره" والمساعد يديهما ويمسان بهما جبهتيهما ثم يغمس "الكنزفره" أصابع يده اليمنى الأربعة في الزيت الذي في (الكبثه) ويرسم المحتضر ثلاث مرات من اليمين إلى اليسار عبر جبينه وعبر فمه.

(*) يجوز إجراء هذه العملية في أي هاون ومن أي معدن على أن يكون طاهراً من الناحية الدينية.

(**) يجوز إجراء الرهمى هذا بدون "مندى". إلا أن إجراء طقوس المسخثه يلزم أن تكون في "المندى".

وحين يتوفى الشخص - وغالباً ما تعجل بنهايته صدمة الماء البارد والتأثر والإجهاد - يتجمع الكهان ويقرؤون الأدعية المعروفة بـ "هشمه ماثه" - الختم - على "الكنزفره" المرشح [٢]. فإذا كانت الوفاة مساء فلا يغير المرشح ملابسه ويظل هو و "الكنزفره" الموكل بالاحتفال وجيمع القائمين بالمراسم يرقبون الجثمان طيلة الليل بعد أن يغلقوا المدخر إلى ساحة المندى لئلا يندس شيء ما فيلوث الساحات المحددة. وتشيع الجنازة في فجر اليوم التالي. أما إذا حدثت الوفاة في وقت مبكر من النهار كاف للقيام بإجراء مراسم الدفن قبل أن تغرب الشمس فيحمل الميت إلى القبر حالاً. والاجراءات الموصوفة في أعلاه هي أكثر من المعتاد حتى في نهار الصيف الطويل لأن مراسم الدفن بحد ذاتها تستغرق ساعات كثيرة، والدفن يجب أن يتم قبل غروب الشمس.

ويحدث - ونادراً ما يحصل هذا، - لأن الصابئين دقيقون في تمييز علامات الموت الوشيك -، أن يشفى الرجل المحتضر، وفي هذه الحالة تقرأ باسمه "مسخثه" وتعتبر المراسم التي تخص المرشح باطلة وعليه أن ينتظر شخصاً آخر لائقاً يقترب من منيته.

ويصاحب جميع الكهان الميت إلى المقبرة ومعهم الأعلام (درفشى) وجميع الكتب المقدسة المتيسرة؛ ولا يختلف الدفن عن دفن الآخرين عدا عن ترك قنينة الزيت الصغيرة في "دشه" القميص مع الجثمان. ويؤكل "لوفانى سام رايي" في التشييع (انظر الفصل القادم) إلا أن "الزدقه بريخه" تكون على نطاق أوسع، لأن الاجراءات تتضاعف بتضاعف عدد الأعلام. وبعد الانتهاء من "لوفانى سام رايى" يعود الجميع وهم بملابسهم الاعتيادية.

ويصبح بيت المرشح مكاناً لمشهد من السرور والابتهاج، ويظل البيت مفتوحاً على مصراعيه ويقدم الأتقياء الطعام هدايا يأكل منها الزوار. ولا يمكن للمرشح أن ينام لمدة ثلاثة أيام بلياليها لئلا تُلوث طهارته بالاحتلام. وهو يمتنع عن أكل اللحوم خلال هذه المدة، كما يجب أن يعيش في ظروف طهارة طقسية قاسية، فالفترة هذه تتعلق بفترة الأيام الثلاثة بين الوفاة (*) ولحظة انطلاق روح المتوفى من القبر. وفي فجر اليوم الثالث بعد الوفاة تخرب الأختام فوق القبر وتمحى ويتجمع الكهان والمرشح في "المندى" الذي

(*) المهم في حساب هذه الأيام الثلاثة هو يوم الدفن لا يوم الوفاة.

يكون قد غسل ونظف، وتؤخذ الاستعدادات لعمل "مسخثه" كما وصف في الفصل التاسع في تكريس "الشوليه". وفي الحقيقة فإن "المسخثه" التي يجريها المرشح باسم المتوفى حامل الرسالة "انكَرثا" لا تختلف عن تلك التي قام بها "الشوليه" باسم "الربى"، عدا عن دخول الكاهنين مع "الكنزفره" (الذي يكون في حالة إعياء) إلى بيت العبادة والبدء بقراءة الصلوات معه لئلا يرتكب خطأ ما، بالرغم من أنه هو وحده الذي يقوم برسم الفطائر وإجراء المراسم. وحين تنتهي "المسخثه" تتبعها "زدقه بريخه" شبيهة بتلك التي تلت "المسخثه" في تكريس "المندى". وكما مثل "الكنزفره" هناك دور الرئيس (ريش أمه) الميت، فالمرشح هنا يقوم بتمثيل دور المتوفى حامل الرسالة.

وسأصف هذه "الزدقه بريخه" بتفصيل أكثر في فصل قادم، لأنها توضح الأفكار التي يستند إليها طقس الطعام. وفي نهاية المراسم يقوم المرشح دون أن يخلع ملابسه بعمل "لوفانى" باسم المتوفى شبيه بالذي يقام عادة في اليوم الثالث بعد الوفاة الاعتيادية (انظر الفصلين التاليين). وحين ينتهي من ذلك يعود إلى بيته حيث يجب أن يعيش معتكفاً لمدة خمسة وأربعين يوماً وهي المدة المخصصة للمرور خلال المطهر.

وخلال تلك الفترة يجب على المرشح أن يهيئ طعامه بنفسه، ويكون مقتصراً على اللبن الخاثر والسمك والخضر والفاكهة، وعدم الاقتراب من اللحم. كما يجب أن لا يضاجع زوجه، وأن يعيش وحيداً في غرفته لئلا تتلوث طهارة اعتكافه. فإذا حدث تلوث، رغم كل الاحتياطات، فإن مدة الاعتكاف يجب أن تستأنف. وإذا لم يحدث ما يعكر عزلته واعتكافه وانتهت المدة، ونال الدرجة كاملة، فإنه يقوم بإجراء طقوس زواج لأحد الكهان؛ فإن لم يوجد كاهن يرغب في الزواج آنذاك بقي المرشح معلقاً. وهذا نادراً ما يحدث فتعدد الزواج مباح، والكاهن عادة يرغب بمساعدة زميله. فإذا حدث بطريق الصدفة عدم تيسر هذا، فسيبقى المرشح معلقاً إلى يوم وفاته، ولم أسمع بحالة كهذه(*).

وحالما ينتهي المرشح من إجراء مراسم ذلك الزواج يتحرر من عزلته ويمارس حقه في درجته الجديدة كاملة. و "الكنزفره" فقط هو الذي يقوم بمراسم عقد زواج عذراء لزوج صابئي، فزواج الثيب كما مر في فصل سابق، يجريه كاهن يدعى "ابيسق" وهو كاهن كامل من حيث كهنوته منع من إجراء أية طقوس أخرى غير عقد زواج السيدات (الثيبات).

(*) يعني التعليق هنا عدم السماح للكاهن بالقيام بإجراء أي طقس ديني مطلقاً إذا أراد أن يظل منتظراً نواله درجة "الكنزفره" وبعكسه يجوز له أن يعود إلى درجته السابقة "ترميذه" وبهذا يحق له ممارسة أعماله ككاهن .

وهناك درجة أخرى في الكهنوتية هي درجة "ريش امه" أو "رئيس الأمة"، ولا يوجد من يشغل هذه الدرجة في الوقت الحاضر وسوف لن يوجد، نظراً لحالة الكهنوتية المتضائلة، لأن "الكنزفره" يحصل على هذه الدرجة آلياً حين يقوم بتكريس خمسة كهان(*). واليوم فإن تكريس كاهن واحد أمر نادر ولهذا فـ "الكنزفره" في الواقع هو ملك طائفته، فهو الوسيط في خصوماتهم مع الحكومة أو مع شيوخ العشائر وهو قائدهم في جميع الشؤون الزمنية والروحية ومرجعهم الأخير.

وحين يتزوج "كنزفره" (وأكثرهم يتزوج اثنتين على الأقل) فيجب أن يقوم بالمراسم "كنزفره" آخر و أربعة كهان (**) واثنان من المساعدين، أما في حالة الفرد العامي فيكفي "كنزفره" واحد وكاهنان.

وفي حالة وفاته تتخذ احتياطات تامة لقراءة "مسخثه" خاصة وعمل "لوفانى" وفير في الأيام الأول والثاني والثالث والسابع والخامس والأربعين بعد الوفاة (***). ولا يكلف عمل "المسخثه" هذه عائلته ثمناً باهظاً، لأنها ستقام هبة وعوناً، فالكهان كالأطباء لا يأخذون ثمناً من أجل خدمة يؤدونها إلى زملاء لهم. وحتى الطعام في "اللوفانى"، والذي يجب أن يكون وفيراً وعلى نطاق واسع، يكون عادة مما يقدمه زملاؤه الكهان والأتقياء من أبناء الطائفة.

ولا يأكل "الكنزفرى" (جمع كنزفره) والكهان من الطعام إلا ما يصنعونه هم بأنفسهم، أو ما هيئ حسب أشد الطقوس طهارة، كما يجب أن لا يكون الخبز الذي يتناولونه من خبز العامة من الناس. ويحرم عليهم الشراب والتبغ والقهوة (****)، ومن العبث تقديم الطعام أو الشراب لهم حين يزورونك لأنهم لا يقبلون مثل هذه الضيافة(*****). وفي الأيام التي يكون فيها ذبح الحيوان محرماً حسب الأصول الدينية الصابئية، يكون طعام الكهان أكثر تقشفاً من طعام الفرد العامي، إذ يحرم عليهم

(*) لا يحصل الكنزفره على درجة "ريش أمّه" إلا بعد قيامه بتكريس سبعة كهان "ترميده" .

(**) يصدق هذا إذا كانت الزوجة ابنة كاهن ، أما إذا كانت ابنة فرد اعتيادي فيكون الكهان "كنزفره" واحداً وكاهنين ومساعدين اثنين .

(***) تحسب المدة بعد يوم الدفن لا يوم الوفاة .

(****) يجوز لهم تناول القهوة إذا قاموا بعملها هم بأنفسهم .

(*****) يحرم على الكهان تناول أي طعام أو شراب من صنع الآخرين ، سواء أكانوا صابئين أم من أديان أخرى .

حتى أكل البيض، ويجب أن يتجنب الكهان في هذه الأيام أكل الطعام الساخن أو الذي سخن ثانية كما يجب تناول الخضر والفواكه دونما طبخ. هذه هي الوصايا الدينية، غير أن الكهان يقولون إنهم يأكلون الخضر مطبوخة ولا يعتقدون أن ذلك خطيئة جدية. وقبل تناول الطعام يجب غسل كل شيء في ماء النهر (وهي قاعدة عامة على جميع الصابئين) مع تلاوة صيغة (اسم الحياة واسم منداد هيي). وحتى الحبوب التي يتخذها الكاهن لعمل خبزه يجب أن تطهر (*) مع تلاوة صلاة خاصة قبل تناول الطعام. والماء هو كل شراب الكاهن ويجب أن يؤخذ مباشرة من النهر أو من العين.

وإذا ما ارتكب كاهن ما خطيئة عظمى كالزنا مثلاً، منع من القيام بجميع وظائفه، فهو لا يمكن أن يعمد وحين تغادر روحه الجسد ستعذب في النار والجليد وتستغيث ولا من مجيب (كثْ نافِق من يَغْره شيالْته ابنوره وبرده هَوْيه وقَريْه ولِكّهْ اينش دي إينله).

لقد أوضحت سابقاً أن الخطأ في الطقوس لا يمكن التكفير عنه بسهولة، فمثلاً إذا ما شارك كاهن في عقد زواج فتاة ظهر أنها ليست عذراء (واللواتي يقمن بفحص العروس يخطئن أحياناً بتشخيص بتولتها) يمنع من القيام بوظائفه الدينية إلى أن ينال خمسين عماداً كاملاً، وفي ملابس جديدة بينما يتعرض "الكنزفره" في مثل هذه الحالة إلى تناول (٣٦٠) عماداً قبل السماح له بممارسة وظائفه الدينية. وقد تعرض الشيخ دخيل والشيخ رومي لمثل هذا التكفير عن الذنب. وتقام المراسم في مثل هذه الحالات على عجل، وسأوضح ذلك كما شاهدته في "اللطلاطة" عام ١٩٣٤ حين تعرض كاهن لمثل هذا الخطأ.

كنت هناك منذ بدء التطهير وافتتحت المراسم بعمل "زدقه بريخه" باسم الكاهن الخاطئ قام بها كنزفره وكاهنان جاء أحدهما من إيران خصيصاً لهذه الغاية، وكان الكاهن الخاطئ يرتدي "رسته" جديدة تماماً، ويمسك بيده صولجانا "مركنه" جديداً أيضاً، وكان صامتاً حين شرع زملاؤه الثلاثة يأكلون من أجل الميت - فهو يعتبر ميتاً طقسياً. وكان يجلس مواجهاً الجنوب عوضاً عن الشمال.

تلا ذلك عماد يسمى "عماد شيتل" وقراءة صلوات تكريس "الرسته" والإكليل والبخور والأعلام من قبل القائمين بالمراسم جماعة، بينما جلس الكاهن الخاطئ يواجههم إلى اليسار منهم قليلاً. وحين رفعوا ذيول قمصانهم إلى أحزمتهم، نهض الكاهن

(*) ليس من المفروض دينياً تطهير الحبوب والمنح أو ما شابهها في مثل هذه الأحوال.

الخاطئ وذهب إلى بركة المندى وغمس صولجانه أفقياً ثلاث مرات تحت سطح الماء ثم مسَّ خاتمه (شوم ياور) وإكليل الآس دون أن ينبس ببنت شفة. بعد ذلك لبس تاجه ومس عمامته ولفها فوق رأسه كما هو المعتاد.

ولم تختلف الاجراءات الحقيقية بعد ذلك عن أي عماد اعتيادي لأي رجل من العامة، غير أن الغطسات الثلاث وغمر الجبهة ثلاث مرات بالماء والرسم الثلاثي وشرب الماء الثلاثي من راحة اليد، كل ذلك كان يتناوله من الكاهن الأول ثم من الثاني ثم من الثالث بالترتيب، وهكذا أعيد كل عمل تسع مرات. عاد الكاهن المتعمد بعد ذلك إلى الضفة بانتظار الزيت المقدس بينما ملأ الكهان الثلاثة، وهم لا يزالون واقفين في الماء، قنيناتهم، بإمرار القناني من وراء أجسامهم في الماء قبل أن يخرجوا. وقام الثلاثة بعجن السمسم بالماء ثم شرعوا برسم الكاهن ثلاث مرات لكل منهم وكان المجموع تسع مرات أيضاً. وهكذا كانت تجرى كل خطوة من الطقوس؛ كل عمل كان يجري ثلاث مرات على يد ثلاثة كهان ويكون المجموع تسع مرات، وما عدا هذا فلم يكن هناك شيء آخر يميز هذا التعميد عن التعميد الاعتيادي في المناسبات الاعتيادية حين يجرى كل عمل ثلاث مرات ومن قبل كاهن واحد.

وأعيدت العملية بتمامها ظهراً، ثم أعيدت كذلك قبل الغروب وهكذا نال الكاهن الخاطئ تسع معموديات في ذلك اليوم. وحالما يجرى عليه خمسون عماداً تقرأ له "زدقه بريخه" مرة ثانية وتكمل بهذا طهارته.

ويجري تعميد كنزفره خاطئ بنفس الطريقة ولكن على يد سبعة كهان وبهذا ينال ثلاثاً وستين معمودية في اليوم الواحد، ولو قام بهذه المعموديات كاهن واحد لاستغرق ذلك سنة كاملة يكون الخاطئ خلالها معلقاً من الناحية الدينية.

ويحرم على الكاهن القيام بوظائفه الدينية حين تكون زوجه في أيام الحيض، كذلك يحرم عليه القيام بها إلى أن تتطهر من نجاستها بعد الولادة. وهو لا يستطيع دخول الساحات (ميسرى) أثناء إجراء "المسخثه" في مثل تلك الظروف كما لا يمكنه إجراء أية طقوس دينية لزوجه بل عليه أن يستعين بكاهن آخر.

هذه أمثلة قليلة من الصعوبات التي تعترض سبيل الكاهن، ولتعدادها جميعاً عليّ أن أكتب كتاباً كاملاً؛ ولهذا فليس إذاً من الغريب أن تسمع الصابئين يقولون "إن ديننا صعب جداً".

ملاحظات حول الفصل العاشر

١- التلفظ كما يلي : (كُشطَهْ أَسِيْخَ قَيْمَخْ بي وشكَه وشتْمِهِ أنا أَسْوَرْ لخْ وأنانتْ أَسوَرْ لي لاواثر)
جاء في مخطوطة في أكسفورد وصف لهذا الطقس : (يقول الشاهد للشخص المحتضر : ابحث وجد وتكلم واسمع ، إن الأثرى الذين عظّمتهم وحمدتهم سيكونون أعوانك ومحرريك ومنقذيك في موطن النور العظيم موطن الإشعاع والحمد للحياة) . ثم يقول الشاهد للمحتضر : (هذا العهد "كشطه" الذي أتيت به إليك خذه إلى أباثر) . وقد قيل لي إن الكاهن هو الذي تكلم والشاهد هو الذي أجاب .

٣- إن المراسم بأجمعها موحية ، فالشخص الذي هو في أتم صحته ويعاني على أن يكون خارج الحياة عن طريق الطقوس الشديدة المقامة حوله ، يمكن أن يمثل (الكاهن . الملك) المحتضر الذي يستبدل بخليفة أقوى منه وأصغر عمراً . ولا أعرف طقوساً معاصرة كهذه توضح بجلاء : (الفكرة المهيمنة) كما جاء في كتاب (الغصن الذهبي) .

الفصل الحادي عشر

الموت والطقوس على روح الميت

يراقب المريض على وشك الموت مراقبة دقيقة ليلاً ونهاراً لئلا يموت وهو بملابسه الاعتيادية. وتهيأ للمريض ملابس دينية جديدة (رسته) ويكون الطبرشيل (النصيفه) فيها طويلاً طولاً كافياً لتغطية القدمين. وفي يمين "النصيفه" في القسم الذي يكون بمستوى الصدر حين تلبس، تخاط قطعة صغيرة من الذهب أو خيوط قليلة منه، وتخاط في الجهة اليسرى قطعة صغيرة من الفضة أو من خيوطها. (إذا كان المريض كاهناً يهيئ له أهله "رسته" كاهن كاملة ويدفن مع أدواته الطقسية ومعه التاج والصولجان والختم - شوم ياور). وحين تقترب المنية من المريض ويبلغ اليأس منتهاه يطلب إلى أحد الكهان أن يكرس إكليلاً، فيقوم بقطع أغصان طرية من الآس ويصنع منها إكليلاً حسب الطريقة المعتادة؛ ويقوم بإجراء الطهارة الصغرى (رشامه) وخلالها يلبس الإكليل بخنصر يده اليمنى ويتلو في نهاية الطهارة:

"حمداً لك ربي، لتمنح الحق والصحة باسم الحياة الأولى العظمى، ومن عوالم الأنوار السامية التي هي فوق كل شيء، لتكن لي الصحة والطهارة والقوة والسلامة والنطق والسمع وسرور القلب وغفران الخطايا (يسمى نفسه) من أجلي أنا الذي أقام صلاته وعبادته، ومن أجل روح فلان بن فلانة (يذكر اسم المريض) صاحب هذه "المسخثه" - العروج - ولتغفر خطايا أسلافنا ومعلمينا وإخواننا وأخواتنا من الذين غادرت أرواحهم أبدانهم والذين لا تزال أرواحهم في أجسادهم (الأحياء). بقوة ياور زيوا وسيمات هيي".

بعد ذلك يتلو أربعة أدعية من أجل التاج والاكليل معيداً دعاء "منده اقرن" مرتين، مرة لنفسه ومرة باسم الشخص المريض، ثم يتلو بعد أن يكمل "الرهمى" دعاء

"بينه من هيي" ويده اليمنى تستند إلى رأسه. يجلس بعد ذلك ويأخذ بدعاء سري ينهض بعده فيتلو أدعية (زهير ومزهر) و (كث قيمي اثرى بشخناثون). و(ثيار كليل نهور). يزيح التاج من على رأسه حذراً من أن ينزاح عن جبهته، وينزع الاكليل من خنصره، ويقبل التاج إحدى وستين مرة وهو يرفعه ليمس به عينيه بالتناوب، ويعيد الشيء نفسه على إكليل الآس للرجل المحتضر معيداً صلواته مرة بعد مرة وهو يرفعه إلى عينيه بالتناوب (أي إحدى وستين مرة) قائلاً: "كشطه اسيخ[١] تاغى كشطه اسيخ ماري" (ليمنحك الحق الصحة يا تاجي ويمنحك الحق الصحة يا ماري). ويجب أن يتذكر القارئ أن اسم (آسا)[٢] أو آس يعني أيضاً شفى أو عافى، وإن إكليل الآس ينظر إليه كمانح للصحة والقوة وليس كرمز لهذه الصفات فحسب.

بعد ذلك يأخذ الكاهن الإكليل ويودعه لدى أهل المحتضر ليكون جاهزاً للاستعمال عند الضرورة. وحين تقترب المنية - وأحياناً يكون المريض دارياً بما يدور حوله إلى النهاية، فيطلب هو أن يعمل له ذلك .. يؤتى بالماء من النهر و تخلع عنه ملابسه ويغسل ثلاث مرات من رأسه إلى أخمص قدميه[٣] فإذا كان الطقس بارداً يسخن قسم من الماء ويخلط بالباقي لتكون الصدمة أقل أثراً. يرفع المريض بعد ذلك ويوضع فوق فراش نظيف مواجهاً النجم القطبي (انظر الفصل الأول ملاحظة رقم ٥) ويلبس ملابس جديدة مع عدم عقد الزنار. وحين يدرك من حوله أنه يموت فعلاً (يطبقون جفنيه دلالة على ذلك) يعقدون عقدة الزنار ويضعون "الكليله" في مكانها تحت العمامة، وأوراقها الخضر تتدلى فوق الصدغ الأيسر ويثبتونها بخياطتها في العمامة لئلا تتزحزح من مكانها. كذلك ترتب "الرسته" وتخاط أقسامها (*) كل في مكانه وإلا فإن تقلص الميت يجعل نظامها أمراً غير ممكن. وتغطى القدمان أخيراً بطرفي الطبرشيل (النصيفه)، فإذا ما عاش المريض بعد كل تلك الإجراءات لا يمكن استعمال "الرسته" إلا للأغراض الاعتيادية بعد أن تقصر "النصيفه" وينزع عنها قطعتا الذهب والفضة. ولا يمكن أن تستعمل لرجل محتضر مرة أخرى (**).

(*) لا يخاط من الكفن سوى الاكليل وقطعتي الذهب والفضة.

(**) لا يجوز استعمالها مرة أخرى لمحتضر غيره إذا ما خيطت "الاكليله" تحت عمامة الميت وهي علامة عى تحقق الوفاة ولا يمكن استعمالها أيضاً لنفس المريض فيما إذا تشافى في المرة الأولى.

وحين يتوفى شخص ما يقوم بعض الحاضرين بعقد الزنار عقدة أخيرة ويدس طرفاه إلى الجانبين. ولا يتم الدفن إلا بعد الوفاة بثلاث ساعات (*) فإذا قربت الفترة هذه الوقت من الغروب يؤجل الدفن إلى صباح اليوم التالي. ويوكل أمر الدفن إلى أربعة من "الحلاليه" أي إلى رجال طاهرين طقسياً، وإلى جمع من العامة (سواديه) ولا يشترك الكهان بعملية الدفن. ويجب أن لا يكون "الحلاليه" عمياً أو صماً أو عرجاً أو أن تكون بهم أية عاهة جسمية، ويجب أن يكون رئيسهم (ريش) أو "الأب" متزوجاً و أبا لأطفال. وحين يدعى هؤلاء للقيام بعملية الدفن يقومون أولاً بإجراء الوضوء (الرشامه) ويرتدون ملابسهم الدينية ويدس الرئيس بحزامه سكيناً من الحديد لا قبضة لها (سكين دوله) تتدلى من سلسلة متصلة في حلقة يضعها الرئيس في خنصر يده اليمنى. وقد أخبرني أحد الكهان أن "سكين دوله" التي تستعمل في مراسم الدفن يجب أن تحمل كلمات نقشت عليها هي: "كاوريل شليهه" أي جبرائيل الرسول.

تقوم النساء في هذه الأثناء بتحضير (اللوفانى) (**) أو الوجبة الطقسية. وكلمتا (لُوفه) وتلفظ "لوفه" و "لوفانى" تستعملان بصورة عامة للتعبير عن الطعام الطقسي من أجل الميت، ويظهر أنهما يعنيان "تحبك معاً" أو "تتحد" ويمكن أن تترجم بـ "العشاء الرباني" أي المشاركة؛ فهي بالفعل تعني أن أرواح المتوفين وأرواح الأحياء متحدة في قداس الطعام الطقسي وأن القوة التي يمنحها هذا الطعام وهذا الشراب هي لكليهما: الأحياء في الدنيا وأولئك الذين غادروها.

وحالما ينتشر نبأ الوفاة يتجمع الجيران ليعيروا الأسرة المنكوبة القدور والأواني وليساعدوا في طحن الدقيق وخبز الخبز، كما يجب الحصول على الخضراوات والفواكه والأسماك أو الطيور للذبح بأسرع ما يمكن. والبكاء محرم، ويجب على النساء الصابئيات أن لا يحثين التراب على رؤسهن وألا يمزقن ثيابهن أو شعورهن وألا يلطمن على صدورهن أو يردسن في مراسم الدفن كما يفعل المجاورون، إذ إن الفئات الدنيا من

(*) إن هذه الفترة ليست فرضاً دينياً إنما هو عرف للتحقق من الوفاة وعدم الاستعجال بدفن الميت إذ قد يحدث أن تعود الحياة إلى الميت خلال هذه الفترة.

(**) يقوم النساء أو الرجال بتحضير "اللوفاني" غير أن النساء يكن أنسب في مثل هذه المناسبة لانشغال الرجال بإجراءات الجنازة والتشييع.

عامة المسلمين واليهود والنصارى يظهرون حزنهم بتلك الأساليب. إن الدموع ستكون نهرا يجب على روح المتوفى أن تعبره، وأن الشعر المقصوص سيشكل حوائل وقيوداً حول قدميه، هكذا يقول الصابئون. (يستعمل الزردشتيون نفس هذه الاستعارة).

ومع ذلك فقد سمعت وأنا أمر ببيت توفي فيه أحدهم لتوه نواحاً ينبعث من ساحة الدار، ولن أنسى ما نسيت شخص فتاة شابة سمعت بوفاة أخيها فانبطحت فوق الأرض المبتلة وهي تصرخ صرخات الحزن، إلى أن تلطخ شعرها ووجهها وملابسها بالوحل وظهرت كأنها شبح من طين. كما استوقفني من جهة أخرى في قلعة صالح شيخ مسن ذو لحية بيضاء تلاعبها الريح، وكان وجهه مشرقاً بالسرور وهو يقول لي: "لقد مات أخي صباح هذا اليوم إنه رائع عظيم وقد منعت النساء عن البكاء". وكان لسروره ما يبرره فقد كانت الوفاة في موسم "البنجه" وذلك يعني أن روح الميت سترتفع بسرعة إلى عالم الأنوار وستنجو من مخاطر وعذاب المطهر.

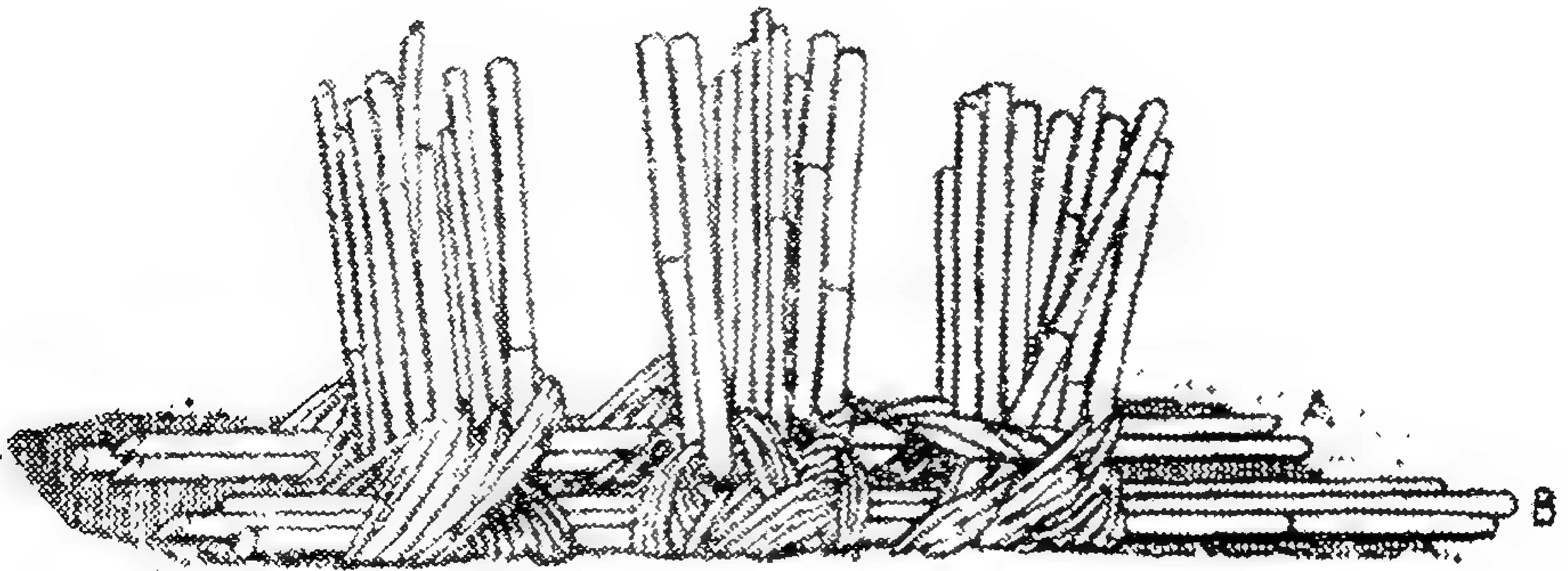
ويجب أن يراقب الميت باستمرار ويوضع بجانبه إناء فيه ماء يجدد باستمرار، وقطعة من الحجر أو الحصى ومصباح يشتعل فوق كرسي أو منضدة أو طبلة. فالظلام يجب أن لا يخيم على الغرفة، ويستغني بعضهم عن المصباح قائلاً إن الشمس نفسها تكفل وجود النور أو النار كما يسميها آخرون. وهذه الثلاثة وهي النار أو النور والحجر (الأرض) والماء، تبقى حيث وضعت إلى اليوم الثالث بعد الوفاة.

كما يجب تهيئة أعواد من القصب والبردى وسعف النخل وحبال من سعف النخل، تغسل طقسياً وتحضر لاستعمال (الحلاليه) ويجب أن يقوم بعد ذلك كاهن أو "حلالى" ببناء "المندلته" أو "المندلثه" و (يستعمل كلا اللفظين). وهي بنية ثلاثية تقام في ساحة دار المتوفى ويتلو نصبها طقس ديني كامل.

المندلتا: عبارة عن حفرة بيضوية الشكل حوالي الياردة طولاً تحفر بالمعول ويكون عمقها أكثر بقليل من طول اليد، توضع فيها كمية غير مربوطة من القصب بشكل عمودي، وتكسر على طول من ثلاثة إلى ثلاثة أقدام ونصف ثم توضع ثلاث قصبات على الأرض أمام الحزمة القائمة من القصب وثلاث خلفها.

تقسم الحزمة إلى ثلاثة أقسام، وتؤخذ قصبة فيها عقد وتطهر في الماء وتشق إلى شقين ثم تسلك من تحت وتلف مرتين حول الحزمة الأولى ثم يلف طرفاها معاً ويدسان

في أسفل الحزمة لتثبيتها. وهكذا تثبت الحزم الثلاث مبتدئين بربطها وشدها من الحزمة اليمنى، ثم يكرر ربط القصب المشقوق حولها من اليسار إلى اليمين ويتبع ذلك عملية معقدة نوعاً ما. يغرس شريط من القصب في منتصف كل حزمة ويمرر حولها أولاً حول النصف الأيمن ثم النصف الأيسر، وفي كلا الحالتين يمرر ويلف حول الحزمتين الأفقيتين أيضاً ثم يلف شريط آخر من القصب حول الحزم بأجمعها ويثبت كما مر سالفاً، أي بلف طرفيه معاً ودسهما إلى الأسفل. وهكذا يكون لكل حزمة ثلاثة أشرطة. يقص القصب بعد ذلك من الأعلى لينتصب بارتفاع قدم وربع تقريباً من سطح الأرض ثم تقص الحزمتان الأفقيتان، وتكون عند ذلك، الحزم منتصبة منفصلة الواحدة عن الأخرى. وأخيراً تدار قصبة طويلة لينة ذات عقد ورأسها نحو اليسار حول الحزم الثلاث وتثبت كما مر سالفاً. يهال التراب حول الحفرة وتغطى الحزم قليلاً، وبهذا تكون "المندلته" جاهزة ما عدا الختم. يتجمع "الحلاليه" الرئيس وزملاؤه الثلاثة، وأحد الكهان في ساحة الدار ويكون الكاهن قد قام بالوضوء وتلاوة "الرهمى" كاملاً وتفقد ملابسه "رسته" وقام بتطهير جميع أدوات الشعائر، كما يكون قد أحضر معه الكتب المقدسة ملفوفة بقماش أبيض.



المندلتـا

يقف الجميع متوجهين إلى النجم القطبي (بيت اباثر) ويتلو الكاهن:

"بشْمَيْهون دْهيي ربى لُوفَه ورْواهَه إد هيّي وشافَقْ هَطايي نَهْويله الهازانشمْثَه دِيلان بربلا نيثا إدْ هازا مسخْثَه وشافَق هطايى نهويله".

وترجمتها: "باسم الحياة العظمى، لوفه - مشاركة أو العشاء الرباني - ورواهه - حرفيا سبب التنفس ثانية أي الانبعاث - وانبعاث الحياة وغفران الخطايا تكون لروح فلان بن فلانة صاحب هذه المسخثه (٤) لتغفر خطاياه" (*).

عندئذ يشد جميع "الحلاليه" لثمهم (بندامه) حول أفواههم وأنوفهم ويضعون الورد أو أي زهر آخر ذي رائحة بين "البندامه" وأنوفهم لئلا "تصل إليهم رائحة الموت".

البنيه: يطرح البردى دونما ربط فوق سطح الأرض وعلى قدر حجم المتوفى، إذ ليس هنالك قيود في كمية وطول البردي، ويتطلب الأمر أيضاً أربعة حبال من الليف (سعف النخل) طول الواحد منها أربع قامات تستعمل لحياكة "البنيه" وتحضر سلفاً. (القامة هي بطول امتداد الذراعين اعتباراً من أطراف الأصابع).

تعمل في وسط كل حبل أحبولة ثم تصف الحبال جميعاً جنوبي البردى ويجلس العمال مواجهين الشمال. يعقد طرفا كل حبل عقداً خفيفاً ويسلك العامل في كل عقدة يداً من يديه تسهيلاً للعمل، ثم تحاك الحبال من تحت ومن فوق البردى مع ترك مسافة بين كل حزمة وأخرى تليها من البردى مشكلين بذلك نسيجاً خفيفاً. وحين يصل الحد إلى السعة المطلوبة يوقف العمل وتترك أطراف الحبال مطروحة على الأرض من الجهة الشمالية.

يلزم على "الحلاليه" بعد ذلك أن يحضروا "الكرسي" أو التابوت. ويعمل "الكرسي" بجانب الجثمان، وطريقة صنعه تشبه طريقة صنع "البنيه" ولكن باستعمال القصب الذي ينسج على ثلاث من أصول جريد النخل توضع بين طبقتين من القصب ويمرر الحبل أولاً حول قليل من قصب الطبقة السفلى ثم حول الجريد ثم حول قليل من قصب الطبقة العليا ثم العودة به باتجاه معاكس مرة أخرى. ولا تعقد أية عقدة؛ وتشكل أصول الجريد مقابض للنعش. ويجلس ثلاثة من "الحلاليه" أثناء هذه العملية باتجاه مشرق الشمس، أي نحو الشرق، بينما يتجه الحلالى "الرئيس" قبالتهم أي مواجهاً الشمس الغاربة.

(*) انظر الملحق

وحين يتم عمل كل شيء مطلوب يحمل "الحلاليه" الأربعة وهم حفاة الأقدام مثل جميع الذين سيشتركون بمراسم الدفن - يحملون الجثمان ويضعونه فوق "البنيه" ثم ينقلونه مع "البنيه" إلى "الكرسي" وأخيراً تثبت الجثة بلف هذه التركيبة بالحبال التي بقيت مرخاة في "البنيه" ويسلكونها في الأحبولات التي ذكرناها سالفاً وذلك لمنع الجثة من عدم الانتظام أو السقوط. يحمل "الحلاليه" الأربعة بعد ذلك النعش على أكتافهم ويكون الرئيس من الجهة اليمنى عند رأس الجثمان؛ وأثناء تحرك الجثمان وخلال المرور من الساحة تبذل محاولات ومناورات للحيلولة دون تعريض الجثمان لتبديل اتجاهه وهو الشمال دائماً، بحيث إذا ما انتصب الميت فسيواجه النجم (القطبي).

يتحرك الموكب الجنائزي مجتازاً الساحة وعلى حاملي النعش تخطي "المندلته". وحالما يفعلون ذلك يتوقفون ويعود الرئيس فينحني على "المندلته" ويملط أعمدتها الثلاثة بالطين ثم يختمها بـ "السكين دوله" وهو يتلو الصيغة المقتبسة في أعلاه. بعد ذلك يستأنف دوره في حمل النعش ويتجه الموجب نحو المقبرة يتبعه الرجال فقط. وسبب عدم السماح للنساء بالسير وراء الجنازة هو الخوف من عدم طهارة إحداهن لأن ذلك سيلحق الضرر بروح الميت ويجعل المراسم عبثاً لا طائل منه.

وتكون المقبرة عادة في فضاء مفتوح خارج المدينة أو القرية ومن الصعب تمييزها عن الأرض من حولها لأن الصابئي لا يقيم أي شكل من أشكال القبور فوق الميت (*). وقد سمعت بعضهم يقول "ما الفائدة؟ فالجسم نجس وملوث حين تكون الروح قد فارقته". ولهذا تغور القبور بعد قليل من الوقت وتتساوى مع مستوى سطح الأرض ولا تبقى علامة أو حجر يميز قبراً عن آخر. ومع ذلك ففي السنين الأخيرة بدأ بعض أغنياء الصابئين، مقلدين بذلك مجاوريهم، بإقامة أضرحة من الطابوق يكتب عليها اسم الشخص فوق لوحة من المرمر، وهذا الصنيع يمقته المتقون من بينهم وهو نادر في مقابر الصابئين ولا ترى إلا ضريحاً أو اثنين من هذا النوع في المقبرة الواحدة. وهناك عرف من أن الدفن في الأرض لم يكن دائماً عادة الصابئين، وقد سمعت ذلك من عدة أفراد

(*) بالرغم من أن الدين الصابئي يعتقد بأن خير القبور الدوارس فهم في الوقت الحاضر قد شرعوا ببناء القبور والأضرحة ووضع الشواهد بأسماء الموتى وهي عادة يجارون بها مجاوريهم من الأديان الأخرى.

منهم، فقد قال لي الشيخ نجم (*): "لقد كان الدفن لدينا يوماً ما يشبه الدفن لدى الفرس، فكنا نضع موتانا في محل مكشوف تحيطه أسوار وتأتي الطير وتأكل الجثث".

وأضاف آخرون: إن الوحوش المفترسة هي التي تأكلهم مستبعدين وجود أسوار. ومن المعلوم طبعاً أن الجثة تراقب مراقبة شديدة خلال الأيام الثلاثة الأولى ولياليها ولا تهمل إلا بعد أن تكون الروح قد غادرتها (٥).

ولدى الوصول إلى المقبرة يأخذ "الحلالى" الرئيس معولاً ويحفر به ثلاث مرات في التربة وهو يتلو الصيغة المذكورة في أعلاه.

في هذه الأثناء يكون (الترميده) الذي سيقوم بعمل اللوفانى (إذا لم يوجد كاهن يقوم الحلالى بعمل ذلك) والذي كان قد تبع الموكب الجنائزي إلى المقبرة، ومعه "الكُنثه" ووعاء النار (بريهى) ووقود مطهر وعلم (درفشه) وكتب مقدسة. يتوضأ في النهر باسم المتوفى ثم يتبع ذلك بإجراء "الرهمى" (باسم المتوفى أيضاً)، ويعد أجهزته وينصب العلم في الساحة إلى اليمين على بعد قريب من المقبرة وإلى الجنوب منه ثم يقرأ في الجزء اليسارمن كتاب "الكنزه" وهو يبحث كلية عن الموت ومصير الروح في الدنيا والآخرة. فإن لم يكن هنالك كاهن يحل الحلالى محله إلا أنه لا يقرأ بل يتلو: "بشميهون اد هيي ربى لوفا ورواهه ادهيي وشافق هطايى نهويلى الهازا نشمثه دبلان بريلا نيثه اد هازا مسخثه وشافق هطايى نهويلي دبهاثن وروبانن وداهن ودهواثن ونفق من يغريهون والقيمن ابغريهون تيمرون قيامين هيي بشخناثون هيي زكن الكلهن اوادى" وترجمتها: "باسم الحياة العظمى لوفه (مشاركه، اتحاد) وانبعاث للحياة وغفران للخطايا يكون لروح فلان بن فلانة صاحب هذه "المسخثه" وغفران للخطايا سيكون لآبائنا ومعلمينا وإخواننا وأخواتنا من الذين فارقت أرواحهم الأجساد والذين لا يزالون أحياءً. ستقول (الحياة في موطنها) إن الحياة منتصرة على كل مخلوقاتها).

ويكون حفر القبر قائماً في نفس الوقت، وليس عمقه مفروضاً ولكن من الواجب عمل حفرة إضافية خلف الرأس تترك خالية تدعى (الحداً). بعد ذلك توضع الجثة في القبر متجهة دائماً إلى الشمال، ويوضع فوق "رسته" الميت قليل من الأحجار كما توضع واحدة على فمه. وتقول الأسطورة توضيحاً لذلك أنه حدث مرة بعد أن توفي أحدهم أن

(*) التيخ نجم الشيخ زهرون "كنزفره" صابئي معاصر موطنه البصرة.

بدأت أسرته تموت أيضاً بعده الواحد بعد الآخر، وحين أخبر "الكنزفره" بذلك نصحهم بحفر قبر الميت الأول، لفحص الجثة، وفعلوا ذلك فوجدوا أن طرف الطبرشيل "الكنزاله" قد اندس في فم الميت. ومن المحتمل أن يكون أصل هذا الشيء والتحفظات الأخرى هي الخشية من احتمال عودة الميت ومحاولته أخذ أحبابه معه ـ نتيجة الأوبئة المعدية كالطاعون الذي يضرب عضواً بعد آخر في الأسرة. ويقول الصابئون إنه خلال الأيام الثلاثة الأولى التي ترتبط فيها الروح والنفس بالجسد بروابط متناقصة تدريجياً فإن الروح القلقة تغدو ذهاباً وإياباً بين بيتها الخاص والقبر. وأنا أفترض أن "المندلته" قد اتخذت لصد الميت من إلحاق الضرر بالأحياء. أو قد تكون "بيت الروح" كماهي الحال في الصين. وأحياناً يوضع "كرسي" إضافي من القصب فوق الجثة. بعد ذلك يأخذ "الحلالى" الرئيس وهو متجه إلى الشمال معولاً ويهيل التراب على الجثة ثلاث مرات مردداً في كل مرة: (باسم الحياة العظمى لتكن "لوفه" و "رواهه" الحياة وغفران الخطايا من نصيب فلان بن فلانة صاحب هذه المسخته ولتغفر لي خطاياي).

يملأ الآخرون الحفرة بالتراب إلى أن يكون القبر على شكل رابية صغيرة ثم ينحني "الحلالى" الرئيس ويبل القبر من جوانبه الأربعة ويختم الطين المتكون مبتدئاً بالرأس (بختم السكين دوله)، ويعود بعد ثلاثة أيام ليزيل هذه الأختام(٦) لانتفاء الحاجة بعد الآن لحفظ الجسم، وحين يقوم بالختم يأخذ السكين التي لا مقبض لها والمربوطة إلى الحلقة ويخط بها حول القبر خطاً (ميسره) ثلاث مرات. ولا بد أن تكون هذه المراسم موغلة في القدم، ومن المحتمل أن تكون من أصل إيراني لأن لدى البارسيين ما يشابهها (٧).

يبدأ (اللوفانى) (*) في اللحظة التي تنزل فيها الجثة إلى القبر ويدعى "لوفانى سامرايى" على اسم سام بن نوح، فسام - كما تقول الرواية - كان جد جنس الصابئين الأول؛ وكان راعياً وقد عاش بعد الطوفان عمراً مديداً، وحين بلغ من العمر سبعمائة وخمسين عاماً صار عاجزاً، لا يقوى على ممارسة الوضوء (رشامه) دون عون؛ وظهرت له الكواكب السبعة وبدأت تغريه بمفاتن هذه الدنيا ولكن دون طائل، لأن سام كان برماً بجسمه وبعدم كمال هذه الدنيا ومشتاقاً لعالم النور. بعد ذلك رأى سام "هيبل زيوا"

(*) انظر نص "اللوفانى" في الملحق .

على شكل كاهن يقول له "انهض وأجر وضوءك"، فأجابه سام إنه غير قادر على ذلك دون معين لوهنه. فأعاد هيبل زيوا الأمر عليه فنهض وهو يحس أن جسده قد أصبح بقوة جسد شاب في الرابعة والعشرين من عمره. أجرى "الرشامه"، فقدم له هيبل زيوا اختيار أحد أمرين إما الاستمرار على حاله هذه، حال الشباب المعجز، وبهذا سيعيش ربما إلى فترة ألف عام، وإما أن يفارق جسده ويتجه إلى عالم الأنوار. وقد اختار الشيخ وهو يقف هناك بكامل قوة الشباب الأمر الثاني. وهكذا مات، وعلّم هيبل زيوا الكهان والصابئين و أولاد سام المجتمعين هناك، كيفية تحضير الجسم للوفاة وطقوس الدفن وكيفية إقامة وتناول "اللوفانى" على روح الميت. من هنا جاء اسم "لوفه سام رايي" والاسم المعروف بالعربية هو "ثواب سام بن نوح".

ـ اللوفه أو لوفانى سام رايى (أثناء الدفن).

تفرش فوق الأرض قطعة نظيفة من الخام أو الكتان الأبيض أو حصير من القصب (باريه) أو حتى فراش من القصب أو البوه ويوضع عليه:

١- أرغفه خبز مسطحة. وتكون حبوب هذا الخبز قد غسلت وجففت تحت أشعة الشمس فوق قطعة خام بيضاء (*). [تدعى الأرغفة لهمه ويعبر عنها غالباً بـ ـ شمبلثه، أي القمح في طقوس تناول الطعام].

٢- سمك مشوي (برنده اونونه) ويهيأ من قبل الكاهن (**) ويكون من الأسماك النظيفة المحللة شرعاً.

٣- قطع من شحم اللية المشوي من خروف قد ذبح سلفاً إذا كانت العائلة تستطيع تقديم ذلك وإلا فلحم طيور كالزرزور أو الدراج أو الحمام. فإذا كان اللحم لحم حمامة سمي (با) (***).

٤- قطع من جوز الهند وهذا يستورد من الهند فهو لا يزرع في العراق.

(*) لا ضرورة هنا لغسل الحبوب.

(**) يهيأ السمك ويشوى من قبل أي فرد صابئي طاهر طقسياً.

(***) يستعمل هنا اللحم لا الشحم، من الخروف، ووظيفة الشحم دائماً هي دوره كسمن للطبيخ. وقد تشوى بعض القطع منه وتؤكل. أما الحمامة والعصافير وما شابهها فتذبح عند عدم تيسر الخروف أو السمك. وتكون عادة في اللوفانى المحدود العدد جداً.

٥- لوز طويل (انكوزه) ويستورد من إيران ولا يزرع في العراق.

٦- بندق (اموزه) ويستورد من إيران ونادراً ما يزرع في العراق وفي شماله فقط.

٧- رمان (رمانه) وهذا ينمو في العراق إلا أنه ليس متيسراً في جميع الفصول ولما كان من الأطعمة الخمسة الأكثر قدسية، فتستعمل حبوبه الجافة بدلاً عنه حين لايتيسر العثور عليه طرياً.

٨- سفرجل (سفرجله) والحصول عليه متيسر عادة، وهو لا يتيسر في العراق، ويستورد من إيران.

٩- بصل (كيوارا) والحصول عليه متيسر دائماً.

١٠- عنب أو زبيب (أنبه) ويمكن الحصول عليه محلياً في موسمه إلا أن الزبيب يستورد دائماً.

١١- ملح (مهله).

يضاف إلى هذه الأطعمة الضرورية (طبوثه) الفواكه والخضر الموسمية، وقد أخبرني رجال من اسر كهنوتية أن اللحم والسمك لم يكونا قبلاً يؤكلان في "اللوفانى" لأن أخذ الحياة خطيئة. غير أن كهاناً آخرين ينكرون ذلك.

يجلس المشاركون في هذه الوجبة الطقسية زوجاً زوجاً متقابلين يمسك كل زوج رغيفاً من الخبز بينهما بيديهما اليمنيين معيدين الصيغة التي تقال دائماً على الطعام (حتى الطعام الاعتيادي) وهي: "اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليك أيتها النعمة "طابثه" أو أيها الطعام السليم طعام ياور زيوه وسيمات هيي".

إن كلمة "طابثه"، وتلفظ طافته أحياناً، لا تطلق على الأطعمة الطقسية فحسب بل على جميع الأطعمة المحللة السليمة، ولهذا الأصل معنى منح الصحة (ولتكن صحيحاً حياً)، ويقال في العامية العراقية (هو طيب) وهو يعني بصورة عامة (أنه حي). وتعبير "أنت طيب" تعبير رقيق في التعزية؛ وتعبير "طاب طابه الطابى" يوضح هذا المعنى.

يقتسم كل زوج متقابل الرغيف إلى نصفين ويأكلان بضع لقم ثم يشرب الجميع من إناء واحد ملئ من ماء النهر، وهم يرددون زوجاً بعد آخر ما يلي:

الأول: بريخت ماري مشبتّ (حمداً لك وتباركت يا مولاي).

الثاني: اسوثه نهويلخ (لتكن الصحة لك).

الأول: اسوثه نهويلخون طابثه برخته تهويلخون (لتكن لك الصحة والنعمة المباركة).

وبعد أن يمر إناء الماء من زوج إلى زوج آخر، يمد الجميع أيديهم اليمنى نحو الطعام مطبقين أكفهم على قطع من الخبز لفت فيها نتف من مختلف الأطعمة. ويقوم كاهن أو أحد العامة بتلاوة الدعاء التالي والجالسون يردون عليه ما يقول:

"باسم الحياة. اسم منداد هيي منطوق عليك أيها الطعام السليم (طابثه). ادن من صلاح الحياة ومن الأشياء الخيرة. لقد قال منداد هيي الذي نطق باسم الحياة "طاب طابا الطابى" - دعاء يعني أن الخير والصلاح للصالحين - وستثبت أسماء أولئك الذين سيذكرون أسماء الموتى. نبحث ونجد ونتكلم ونستمع. وقد بحثنا فوجدنا وتكلمنا واستمعنا بحضورك يا سيدي منداد هيي رب الشفاء. اغفر له (الميت) خطاياه وزلاته وعثراته ونقائصه وأغلاطه واغفر لأولئك الذين هيؤوا هذا الخبز وهذه "المسخثه" وهذا الطعام السليم. اغفر لهم خطاياهم وزلاتهم وعثراتهم ونقائصهم وأغلاطهم يا سيدي منداد هيي. ويا أيتها الحياة العظمى الأولى اغفروا أيضاً للذين أعطوا الصدقات وعملوا الصالحات لهم ولأزواجهم ولأولادهم ولكهنتهم، واغفروا خطايا فلان بن فلانة صاحب هذه "المسخثه" واغفر لي خطاياي وخطايا أبي وأمي ومعلمي وزوجاتي و أولادي وكهنتي، واغفر لأولئك الذين هيؤوا هذا الخبز وهذا الطعام مانح الحياة (طبوثه) وأنتم يا أجدادي ومعلميّ ومؤدبي وأساتذتي لتنقلوا من اليسار إلى اليمين. ستقولون: (قامت الحياة في موطنها) حمداً للحياة والنصر لها على جميع مخلوقاتها". (*)

ترفع الجماعة قبضاتها الممسكة بالطعام إلى أفواهها، وحين تنتهي من أكل اللقمة المقدسة الأولى، تشرع بالتهام ما أمامها من طعام إلى أن تشبع، فإن لم يوجد أحد من فقراء الصابئين لأكل المتبقى من الطعام يرمى كل المتبقي مع جميع كسرات الخبز في النهر، إذ ينبغي أن لا تسقط على الأرض حتى ولا كسرة واحدة. (٨)

بعد إنهاء اللوفاني يتجمع الجميع حول القبر الذي يكون قد ملئ بالتراب وختم كما وصف في أعلاه ويقولون: "تكلمت الحياة العظمى وفتحت فاها ببهائها الخاص ونورها وانتصارها، حمداً للحياة". (٩)

(*) انظر الملحق - نص اللوفاني .

يفك (الحلاليه) لثامهم "بندامه" ويلقون بالأزهار التي كانت حول أفواههم وأنوفهم فوق القبر فإذا كان القائم بمراسم "اللوفانى" كاهنا فإنه ينزع لثامه ويرفع تاجه بالأدعية الطقسية المعتادة إلا أنه يمهد لها بدعاءين. (١) بيّنه من هييّ (لتقبل الحياة ومنداهيي والأثرى وملوك عالم النور "هذا الكنز الغالي" ويغفروا له ما به من نقص أو إهمال وليغفر خطايا المتوفى فيحرره "هبشبه" من المطهر (مطراثه) ويرفعه إلى عالم النور الأعلى). (٢) صلاة تصلى بصمت وبوضع الجلوس.

يتفرق الناس ويذهب "الحلاليه" إلى النهر مع جميع الذين مسوا الجثة أو الأشياء التي تتصل بها ليقوموا باغتسال ثلاثي كامل (طماشه) (*)(١٠).

في نفس اليوم يجب إقامة "زدقه بريخه" - عمل رحيم من أعمال التقوى - من قبل كاهن أو عدة كهان فإن لم يوجدوا فمن قبل أحد أفراد العامة. وهذه "الزدقه بريخه" التي أجريت يوم الدفن (هناك بضعة أنواع كما سأوضح) تدعى "زدقه بريخه سام رايى".

زدقه بريخه بعد الدفن:

وهذه يمكن أن تقام إما في ساحة المندى (لا في داخله) أو في ساحة دار الكاهن أو "الكنزفره" (إذا كانت الدور على ضفة النهر) أو في أي مكان قريب من النهر؛ فإذا لم يتيسر كاهن كما مر معنا، يمكن أن يقوم بها فرد من العامة (على أن يكون حلالياً) وتكون المراسم عندئذ قصيرة وتفقد كثيراً من فاعليتها، كما يجب أن يكون القائم أو القائمون بإجرائها حفاة الأقدام.

فإذا كان القائم بها كاهناً ومعه علم "درفشه" فإنه يركز قاعدته المغلفة بالحديد في الأرض في يمين وشرقي المواد الطقسية الأخرى وهي:

١- كُنثه (عبارة عن صندوق من طين غير مفخور وأعلاه يشبه الصينية كما يشبه الطريانه بما له من تجويف (ميسره) تنتصب عليه القوقه - وعاء البخور - وعن يساره فوق الغطاء يوجد وعاء النار - بريهى -).

٢- طريانه أي خوان طيني كبير يكفي لجلوس بضعة أشخاص حوله. فإن لم يكن للقائم بالعمل طريانه يقوم بحفر الأرض قليلاً بمعوله ثم يعدلها ويرشها بالماء الطاهر من

(*) يذهب "الحلاليه" بعد هذا الاغتسال (طماشه) لتناول "لوفاني سامرايي" على روح المتوفى.

النهر ويملجها بطين نظيف وحين تجففها الشمس يكنسها وينظفها ثم يأخذ سكيناً حديدية أو أية أداة حديدية أخرى ويعمل بها حداً (ميسره) على شكل دائرة بحجم طريانة كبيرة، ويعمل إضافة إلى ذلك أربع دوائر صغيرة في الزوايا (كربى وتيمى ومدنه ومربه) (*) وتكون خارج الدائرة وتمس محيطها.

٣- يضع في مركز "الطريانه" الكبيرة كنكانه (حلقة طين غير مفخور) وعليها "طريانه" صغيرة بحجم "الطريانات" الطقسية الاعتيادية وفي تجويفها كومة صغيرة من الملح بدلاً من مكب البخور المعتاد.

و يصف حول حافة "الطريانه" الصغيرة قطعاً صغيرة من المأكولات هي:

١- سمك (يغسل ويشوى من قبل الكاهن).

٢- بصل.

٣- حب رمان.

٤- لوز طويل.

٥- بندق مقشر.

٦- سفرجل.

٧- جوز هند.

٨- عنب أو زبيب.

٩- خضراوات وفواكه موسمية.

وفي الناحية الجنوبية من "الطريانه" الصغيرة كبشه مهيأة لتسلم الفطائر الثلاث الأولى و الـ "صا". وفوق "الطريانه" الكبيرة التي تنتصب عليها "الطريانه" الصغيرة يوضع كثير من الخضر والفواكه و "كبشه" فارغة للماء و "كبشه" أخرى لفطيرتين أخريين.

وينال كل شيء يستعمل هنا الطهارة الثلاثية بماء النهر عدا الملح والوقود مع دعاء (اسم الحياة... إلخ). ويمكن أن يكون الوقود الموضوع في وعاء النار فحماً أو خشباً كما يجب أن لا يغيب عن البال بأن الوقود الذي يستعمل في "المسخثه" لا يكون إلا خشباً أو قصباً مطهرين.

(*) أسماء الجهات الأربع ومعناها حسب ترتيبها : الشمال . الجنوب . الشرق والغرب .

صنع الفطائر الخمس والصا:

سبق أن وصفت تحضير الدقيق وهذا يؤخذ ويرش عليه الملح ويمسكه المساعد متهيئاً بينما يقوم الكاهن بغسل يديه وذراعيه في النهر ثم يقدم له مساعده مقداراً كافياً من الطحين والملح لعمل فطيرة واحدة.

يمزج الكاهن ذلك بالماء ويعجنه في راحة يده، ويكون حجم الفطيرة بحجم الكعكة، إلا أنها أخف منها وزناً، وحين تسوى بشكلها الخاص، تخبز على وعاء النار وتوضع في "الطريانه" وهكذا توضع الفطائر الثلاث الأولى على الكبشه (الأولى)، وتوضع الاثنتان الأخريان على الكبشه الأخرى. بعد ذلك يقوم الكاهن بعمل "الصا" وهو يشبه، بعد أن يداف باليد ويجهز على الجمر كما صنع بالفطائر، أسطوانة تبلغ حوالي أربع عقد طولاً. وفي مقالة حديثة لي "الكبرانا في الشرق والغرب عام ١٩٣٧" أشرت إلى التشابه بين الصا والكبرانا النسطورية التي هي عبارة عن مادة عجينية تشبه بالشكل ما لدى الصابئين، وتلعب دوراً مهماً في مراسم "القربان". ويظهر أنها أثر قديم لشعائر قديمة في الحياة والخصب.

وحين يخبز "الصا" يضعه الكاهن فوق الفطائر الثلاث في "الكبشه" ثم يقوم بإجراء الوضوء وتكريس تاجه وهو هنا يعمل تغييراً في الصلاة الأولى للتاج فيقول:

"حمداً لك يا مولاي ليجعلك الحق كاملاً، باسم الحياة العظمى الأولى من عوالم الأنوار السامية التي هي فوق الجميع، لتكن لي الصحة والطهارة، والقوة والعدل (شراره) والنطق والسمع وسرور القلب وغفران خطاياي أنا فلان بن فلانة الذي قدم هذه الصلاة وهذا التعبد، ولتغفر خطايا فلان بن فلانة (اسم المتوفى) صاحب هذه "المسختَه" وآبائنا الأوائل والعظماء والإخوان والأخوات و أولئك الذين غادروا أبدانهم والذين لا يزالون أحياءً، بقوة ياور زيوا وسيمات هيي".

تأتي الصلاة الاعتيادية لتكريس التاج بعد ذلك تتلوها صلاة 'مندا خلقني' وبعدها يدخل الكاهن إكليل الآس في خنصره الأيمن ويذهب إلى النهر ويغمر يده اليمنى وذراعه في الماء ماسكاً "المركَنه" على ذراعه الأيسر ثم يعود ليجثم أمام "الطرايين" معيداً بشكل مختصر الصلاة التي مرت معنا فيما سبق (اسم الحياة واسم منداد هيي منطوقان عليك أيتها الأشياء الطيبة ـ طابثه ـ إلخ...)

يأخذ الـ "صا" ويقطعه إلى قسمين ويأكل كسرات منه ثلاث مرات. ثم بعدها يأكل ثلاث قطع من كل من الفطائر الخمس وثلاثاً من كل نوع من المأكولات فوق "الطرايين". بعد ذلك يملأ "الكبثه" من ماء النهر أو من ماء قنينة ملئت لتوها إن لم يكن النهر قريباً. ولا توجد "الكبثه" في بعض الأحيان وهنا يغرف فقط أو يصب قليلاً من الماء في راحة يده ويشرب ثلاثاً قائلاً:

الكاهن: "مبارك أنت يا مولاي وحمداً لك"

الحاضرون: "لتكن لك العافية".

الكاهن: :لتكن صحة الحياة لكم وليكن الطعام المبارك (طابثه برخته) لكم"

يتلو بعد ذلك الصلاة المعروفة (أجدادنا الأوائل) (ابهاثن قَدْ مايى) ثم صلاة "طاب طابه الطابى" وقد سبق أن ترجمها ليدز بارسكي؛ يتبع ذلك إدخال أسماء الأسلاف والموتى مبتدئين بالأرواح النورانية (ملكى واثرى) ثم آدم الإنسان الأول ابن قين إلى (آدم الأرضي) لا آدم الروحي والأشخاص الشهيرين في التاريخ الديني، والأسلاف الأوائل الذين حفظت أسماؤهم دون تسجيل سبب الاعتناء بهم في الطقوس الدينية؛ بعد ذلك يأتي اسم الكاهن نفسه وأسماء بنيه وأمه وزوجه وأولاده ومعلميه إلخ... ثم اسم المتوفى نفسه وأسماء أقاربه، يضاف إلى ذلك الأسماء التي يقترحها الحاضرون. ويقال بعد كل اسم "لتغفر خطاياه" أو "خطاياها" حسب المناسبة وقد اقتبست هذه الصلاة كاملة في الفصل القادم.

وحين تنتهي هذه الصلاة يضع الكاهن يده على رأسه بينما يتلو دعاء "بيِّنه من هيي ومن مارى" ثم يجثم ويتلو صلاة سرية بصمت. بعد ذلك يتابع الصلوات المعتادة في التحلل من تاجه وترمى "الكليله" في النهر ويعود بأدواته و بـ (الدرفشه) إلى بيته.

هذه أبسط أنواع "الزدقه بريخه" الجنائزية ومعدل الأجرة التي تدفعها أسرة المتوفى هي حوالي تسعة دراهم ولو أن هذا المبلغ يضاعف في أغلب الأحيان (*).

وهناك أشكال من "الزدقه بريخه" أكثر إحكاماً تقام لدى وفاة كاهن أو "كنزفره" أو أي شخص غني يستطيع أن يدفع ثمنها؛ وفيها يمكن أن يقوم بالعمل كاهنان أو ثلاثة أو سبعة. فإذا كان القائمان بالعمل اثنين من الكهان ومعهما علمان (درفشه)

(*) تبلغ هذه الكلفة العشرة دنانير أو أكثر في الوقت الحاضر .

فالترتيبات تضاعف، كذلك يضاعف القداس ما عدا عمل "صايين" ـ واحد في كل "طريانه" داخلية وما عدا قيام الكاهنين بقطع "صا" واحد بينهما أثناء المراسم.

فإذا كان القائمان بالعمل كاهنين ويوجد علم واحد تعمل "صايان" إلا أن طاقم الترتيب في (الطرايين) يظل هو هو كمالو كان لكاهن واحد وعلم واحد عدا عن قيام الكاهنين باقتسام "الصا" بينهما أثناء مراسم اقتسام الخبز.

فإذا كان القائمون بالعمل ثلاثة كهان وثلاثة أعلام فتكون الترتيبات ثلاثية أيضاً ويعمل "صا" واحد لكل طاقم فيجلس كاهنان ويواجههما كاهن واحد من أجل اقتسام الخبز بين الثلاثة.

وإذا كان القائمون بالعمل ثلاثة بعلم واحد، تكون الترتيبات كما ولو كانت لكاهن واحد ولكن يعمل "صايان" يوضع أحدهما على الفطائر الداخلية، والآخر على الفطائر الخارجية ويجلس الكهان الثلاثة حول "الطريانه" الكبيرة.

وإذا كانوا أربعة أو سبعة كهان توضع "طريانتان" كبيرتان وعلمان (أو طقوم من الطرايين كبيرة وصغيرة).

يجلس الكهان الأربعة حول الطاقم الأيمن زوجا زوجاً متقابلين، والثلاثة ومن بينهم "الكنزفره" يجلسون عن يمين "الطريانه"، فإذا كان هناك سبعة أعلام وسبعة كهان فيكون لكل منهم طاقمه الخاص وتضاعف الترتيبات اللازمة لكاهن واحد سبع مرات.

وحتى عند هذا الحد من نهار الدفن فالإجراءات غير كاملة، إذ حين تنتهي "الزدقه بريخه" يذهب الكاهن إلى بيت المتوفى حاملاً معه كتاب "كنزه ربه" وكتبا مقدسة أخرى (يطلقون على الجميع اسم كنزى ـ الكنوز ـ) وأدواته للقيام بـ "اللوفانى". وتكون عائلة المتوفى قد قامت بخبز كثير من الأرغفة "أغلب الخبز الذي يعمله أفراد الشعب العراقي من أجل غذائهم الاعتيادي يكون مسطحاً وغير مختمر ومستديراً".

ويكون معدل عدد الخبز حوالي الثلاثين (*).

هناك يفرش على الأرض في ساحة الدار، حصير قصب (باريه) أو صينية معدنية كبيرة أو حتى عباءة (عباءة صوف محلية)، فإن لم تكن هذه الأشياء جديدة ونظيفة يفرش فوقها خام أبيض نظيف، يوضع فوقه هذا الخبز وكل الأطعمة الضرورية

(*) ليس هنالك نص بعدد الأرغفة ويتوقف ذلك على عدد الحاضرين .

(للوفانى). ويجتمع حولها "الحلاليه" الأربعة حامل النعش وجميع الذين حضروا الجنازة ويعاد (اللوفانى) الذي أجري عند القبر. يقسم رغيف بين كل زوجين وتؤكل عدة لقم من كل شيء فوق المائدة ويشرب الجميع ماء من كأس واحد (نياره) مع الإجابات التي دونتها فيما سبق.. يأخذون بعد ذلك قطعة من خبز ليّن يلفون بها بعضا من الأطعمة المتنوعة المنتشرة أمامهم ثم يمدون أيديهم اليمنى نحو الطبق المركزي أو فوقه بينما يقرأ الكاهن صلاة (باسم الحياة كما مر معنا).

يأكل الجميع بعد ذلك إلى أن يشبعوا ثم يتبعهم النساء والأطفال، وما يتبقى يقدم للمحتاجين لـ (الثواب) كما يقولون أو يرمى في النهر. وتظل القراءة في الكتب المقدسة وبخاصة (الكنزه) مستمرة ليل نهار من قبل كاهن أو "يلوفا" حتى صباح اليوم الثالث بعد الوفاة [١١]. ويفعل هذا لمساعدة الروح الحائرة العزلاء المتريشة في الأرض. ولا تتم مفارقة الروح للجسد بسرعة. ويشبّه كتاب (تفسيره پغره) مغادرة الروح بانطفاء شمعة المصباح التدريجي وإليك ما قاله أحد أفراد العامة الصابئين في هذا الشأن:

"حين تدنو المنية يأتي ملك الموت (صاوريبل أي عزرائيل) إلا أن "قمامير زيوا" يهبط ليساعد الروح وليدافع عنها ضد الأخطار. و "قمامير زيوا" و (شاها بريل زيوا[١٢]) هما شكلان من أشكال "هيبل زيوا" يأتي "صاوريبل" من عالم الظلام ليقبض الروح حين تفارق الجسد. وحين يزف الوقت (أي في اليوم الثالث) تغادر الروح الجسد نهائياً وتكون حالتها كمن يغط في نوم عميق، ولا تعود إلى الوعي إلا تدريجياً فهي ثقيلة - دي - لا ترى. وفجأة تحرر ذاتها من هذا الثقل وتبصر "صاوريبل" و "قمامير زيوا" [١٣] بانتظارها، والأول روح ظلامية والثاني روح نورانية. وعند مفارقتها الجسد تكون على شكل شخص يرتدي ملابس إلا أنها من هواء وليست حقيقية. ولا نستطيع أن نراها فإذا كان المتوفى من فاعلي الشر تكون ملابسه سوداء اللون فإن سأل عن السبب أجابه الملكان: "أليست هنالك كتب مقدسة منحت للإنسان منذ أيام آدم؟ ألم تر إلى الشمس والقمر والنجوم؟ ووهبت عقلاً فهلا سألت أمن صنع الله هو أم من صنع الإنسان؟ وتقول الروح.. "يا ليتني أعدت إلى جسدي لأكون صالحاً خيراً لا أفعل إلا حسنة" ويجيبه الملكان لا مفر لك فمن من الموتى عاد؟".

بعد ذلك تذهب الروح إلى "بثاهيل" الذي وهب سليمان الحكمة وتقاد إلى مقرها في المطهر.

لقد تحدثت فيما مر عن الاعتقاد بانتقال الروح بعد الوفاة إلى نظيرها الجسم الأثيري.

تندفع الروح لدى انعتاقها كالرصاصة نحو عالم ابثاهيل كما عبر عن ذلك أحد الكهان محلقة فوق الجبل الأبيض العظيم المسمى "سور" والذي يقع المطهر وراءه، وهذه حرفياً عبارة عن "بيوت مراقبة" ـ ناطره ـ. ويراقب أو يحكم كل "مطارثه" روح كوكبي أو روح نوراني، وتستقبل الروح على بوابة المطهر بوجبة خفيفة تتناسب والطعام الطقسي الذي أكل باسمها على الأرض، فتعرف الروح أن ذويها قد ذكروها. ولهذا يكون "اللوفانى" على نطاق واسع على قدر الإمكان في اليوم الثالث، فتنحر العائلة الغنية حوالي السبعة خراف، وتؤكل الأطعمة من كل لون (عدا المحرم تناولها في اللوفانى) وتتضمن الرز والزبد والعمل والخاثر.

تستغرق الرحلة خلال المطهر خمسة وأربعين يوماً وفي حالة الروح الطاهرة أربعين يوماً (١٤)، فهي حين تجتاز البوابة الأولى في اليوم الثالث تتقدم في سيرها مستعينة بـ "اللوفانى" الذي تقيمه الأسرة والذي يؤكل باسمها على الدوام. وفي اليوم السابع تصل الروح إلى مدخل كبير يجب أن تجتازه، ولهذا يقام لها "لوفانى" عام كالذي أقيم في اليوم الثالث ليؤكل باسمها، وعندها تقدم الأرواح التي تقطن المطهر (ديفي) للروح وجبة طعام جديدة.

بعد اليوم السابع تعيد النسوة القدور والمقالي التي استعيرت من الجيران، إذ لن يقام "لوفانى" مرة أخرى إلا في اليوم الخامس والأربعين وهو اليوم الذي ينبغي للروح أن تصل فيه إلى موازين "اباثر". والطعام الذي يؤكل عندئذ ـ لوفانى عام ـ من الأرض من قبل أصدقائها وذويها سيمنع الروح الحياة والقوة في محنتها. وتوضع حسناتها وسيئاتها في كفتي ميزان، فإذا رجحت كفة السيئات أو تساوت الكفتان بقيت الروح في المطهر لنيل طهارة وعقوبة تتناسبان وخطيئتها (١٥). فإذا كانت روحاً مشاغبة فستذهب إلى "مطارثه نيرغ" ـ مارس ـ وإن كانت مختالة فخورة فستذهب إلى مطهر "بيل" ـ جوبيتر ـ. ويحتفظ بمطهرات خاصة للكهان. ولا يوجد في المطهر، الكواكب السبعة فقط، بل وعوالم أبناء "ابثاهيل السبعة" وأبناء "هبشبه" وآخرون ممن يحتفظون بمحلات للتطهير. ويكون التطهير حسب الخطيئة، فتعذيب الشرير يتضمن العذاب

بالنار والثلج، ويمشط بمشط من حديد، وتلدغه الحيات، وتنهشه السباع والذئاب والكلاب، فإذا كان على غاية الشر يهبط إلى جوف "اور" وهي نار مرة وجليد مرة أخرى، حيث ينال التطهير النهائي، عندما تقوم الساعة، وحينئذ تحمل الأرواح التي لا تزال تعاني التطهير إلى الأعلى بوساطة قوى النور والحياة أو بوساطة "هبشبه" نفسه رحمة بهم ثم يغمرون بمياه "فرات زيوه" السماوية، اليردنه السماوية، في معمودية شفاء كبرى نهائية.

وإذا كانت الروح روح شخص تقي فلن يأخذ تطهيرها وقتاً طويلاً، إذ بعد توقف طويل، تعود إلى الموازين وتوزن مقابل روح "شيتل" أنقى أرواح الكائنات البشرية. ولنقتبس هنا قول "الكنزفره":

"بعد أن تكون الروح قد مرت بالمطهر تصل إلى النجم القطبي (اواثر) حيث توزن (اواثر ليس النجم القطبي بل أن النجم هو مستقره) توضع الروح في إحدى كفتي ميزان وتكون روح شيتل في الكفة الأخرى، فشيتل هو أنقى روح بشري؛ وقدجاء عنه في كتاب كنزه ربه "أنه بعد أن عاش آدم ألف عام رغب الرب بدعوته إلى الجنة فالتمس أن يمكث في الأرض وقتاً أطول وقبل التماسه وبعد ألف عام أخرى أرسل الإله من يقبض روحه مرة أخرى، فالتمس آدم ربه ثانية فأجلت منيته ثانية، وحين مرت الألف الثالثة قال آدم خذوا شيتل عوضاً عني، فقال شيتل: أنا في الثمانين من عمري يا أبي ولما أتزوج بعد، ومع ذلك فقد تهيأ ليموت من أجل أبيه آدم، ولم يطلب إلا القيام بإجراء "الرهمى" بعد ذلك قبض الملك روحه".

فإذا خفت كفة الروح عن كفة شيتل أرسلت لإعادة تطهيرها وإن لم يكن كذلك دخلت في سفينة نور تبحر في نهر يحيط بعوالم الأنوار إلى المواطن الآلهية حيث يقيم ذووه الذين توفوا منذ أقدم الأزمان. وقد يكون مستقره النهائي في عالم "يوشامن زيوا" أو "هيبل زيوا" أو "سيمات هيي" أو عوالم أرواح نورانية عظمى أخرى. وتعدد عوالم النور لا تحصى.

لقد أعطيت كشفاً لما يجري بعد الموت وقد صرح أحد الكهان وهو يميل دائماً إلى التفسير العقلي فقال: إن المطهر بعذابه ووحوشه المفترسة ما هو إلا لتخويف الأشرار، وقال: إن هذه الدنيا هي المطهر. وقد جاء بكتاب "تفسير پغره" ليبرهن على أن الروح

تنقل بعد انعتاقها في اليوم الثالث إلى عالم "مشونى كشطه" وهناك بالتدريج تعان بالصلوات التي تقام في وجبات الطعام المقدسة المأكولة باسمها على الأرض وتمر بحالة سبات، وتتخلص من نجاساتها كما تتخلص دودة القز من الشرنقة وترتفع أخيراً لتتحد مع نظيرها النوراني. وبمظهرها هذا تصعد وتمر خلال الثلاثمائة والستين بابا في ذلك العالم إلى حيث الكمال النهائي للنفس في عالم الأنوار.

ملاحظات حول الفصل الحادي عشر

١- كشطه : تعني الكلمة حرفياً (الحق) . عمل الحق . العهد وإعطاء اليد اليمنى بالعهد أو صدق الولاء ، وتجسد "الكشطه" في بعض فقرات الكتب المقدسة .

٢- فعل "اسا" في اللغة المندائية لا يمكن ترجمته "يشفي" بقصر المعنى على جعل المريض شافياً . إنه بالأحرى يستعمل بمعنى "منح القوة والحياة . بصورة سحرية" ؛ من هنا فإن من الأحسن أن تترجم كلمة "اسوثه" بـ"صحة أو قوة" من أن تترجم "شفاء أو انقاذ" وفي صيغة الجمع "اسواثه" تعني "وسائل الصحة أو عطايا تهب الحياة" . (J.J.M.,P.54).

٣- يغسل البارسيون الجثة بـ "الكوميز" وماء البئر . (في بعض الأحيان وفي حالة الشيوخ بصورة تامةعامة حين يبلغ اليأس من حياتهم منتهاه . كان يعطى الحمام النهائي في اللحظة الأخيرة من الحياة (JJM,P.54).

٤- إن تعبير (روح هذه المسخثه) لا يعني بالضرورة قيام مسخثه حقاً بل تعني أن الروح تعان على الصعود بوساطة المراسم والصلوات التي تقام باسمها . إن طقس "المسخثه" الخاصة باهظ الثمن على من يريدون إقامته . والتعبير يستعمل في حالة الموتى حديثاً الذين تقام الصلوات من أجلهم .

٥- فيما يتعلق بالتقاليد الصابئية (وهي ليست عامة على أية حال) حول كشف الأجساد للعراء في الأزمنة القديمة فإن هذه الممارسة لا توجد بين الزردشتيين فقط بل هي أيضاً كانت تمارس من قبل قبيلة قحطان في وسط جزيرة العرب كما جاء على لسان جيرانهم (دوتي Doughty الصحراء العربية . م٢ ص ٤١) . والدلائل على مثل هذه العادة توجد في بلوجستان ؛ وقد وجد الأثريون في وادي الأندس دليلاً على شكل مدفونات عظيمة . ولنقتبس من الدكتور فرانكفورت (علم الآثار والمشكلة السومرية) قوله بأن هذه عبارة عن مدافن "كانت فيها العظام فقط مجموعة ومدفونة بعد تعريض الجسم للوحوش والطيور" . وهو يأخذ هذه المدافن كأدلة إضافية على أن "المستوطنين الأوائل" ما بين النهرين كانوا قد انحدروا من المرتفعات الإيرانية وكانوا يحملون ثقافة امتدت شرقاً إلى حدود وادي الأندلس بالضبط" . ويكشف البارسيون أجساد الموتى للنسور في "أبراج الصمت" غير أنها لعادة قديمة تفرض ان الجسد كان يترك بعد رقابة الأيام الثلاثة الأولى . وجدت في "ساگ . داد" أي الإتيان بكلب لمراقبة الجثة . وكون هذا الكلب الذي يجب أن يكون ذا أربع عيون ، أي أن له علامات خاصة . ليس مجرد رمز للكلاب ذات العيون الأربع التي تحرس جسر "شنفات" في العالم الآخر تظهر في الشروط الأولية بأن بصر الطيور مثل "الساريكار" والغراب الأسود والنسر يمكن أن تقوم بوظيفة (ساگ د د) ولكن في هذه الحالة يجب أن يسقط ظل هذه الطيور فقط فوق الجسد . وفي التيبت لا يزل هذا العمل شائعاً ؛ . "تقطع أوصال الجسم من قبل اللاما قبل تعريضه للطيور والوحوش المفترسة" .

٦- كسر أختام قبر المسيح صباح يوم البعث أي فجر اليوم الثالث بعد الوفاة . ولما كان الختم الصابئي ختماً وثنياً فلا يمكن أن يكون قد استعير من المسيحيين ولو أن النساطرة أيضاً يختمون القبور بصليب (أي شارة الحياة) ويزيلون الأختام في اليوم الثالث . ومن المحتمل أن يكون لهذه العادة أصل عام مشترك .

٧- يقول مولتون Moulton (كنوز السحر المجوسي) ؛ هناك تفصيل مهم في تشييع الجنازة لدى البارسيين هو تمرير "الكاشا" ثلاث مرات حول المكان الموضوعة فيه الجثة . و "الكاشا" . ابستان كرشه . عبارة عن جدول يخط بقطعة معدنية لتأشير الأرض وإقامة حائل ضد دخول الدنس إلى المواقع الطاهرة .

٨- يعتبر الخبز في العراق بصورة عامة مقدساً كرمز للحياة ، فالفلاح الذي يسير في الطريق يلتقط قطعة الخبز

حين يجدها ملقاة هناك وينفض عنها الغبار ويضعها حيث لا تداس وهو يذكر عليها اسم الله . وفي فلسطين كان الفلاحون يعتبرون من الخطأ بيع الخبز . إلى الحرب العالمية الثانية . إذ إن الخبز في رأيهم يجب أن يوهب لا أن يباع .

٩- ملل وبثه هيّي ربى ابيميهون ابزيوه وقاره إد نافشيهون ومشبن هيي .

١٠- قارن هذا بوصف مودى للجنازة البارسية : "يسمح لحملة الجثمان فقط بالتماس مع الجسد . فإذا مسه شخص ما سواهم فعليه أن ينال إجراءات تطهيرية أو حماماً مقدساً تحت إرشاد كاهن (J.J.M., P.55). والتشابه قوي بصورة إجمالية ، فبعد غسل الميت أو المحتضر . كما وصفنا في الملاحظة رقم (٣) . يسلم الجسم لرعاية شخصين يستحمان أولاً ثم يلبسان كساء نظيفاً ويقومان بإجراء "الكستى" . يتزنّران . ويتلوان قسماً من صلاة "سروش باج" . ثم يدخلان إلى غرفة الميت وهما يمسكان بأيديهما "بياوند" أو خاماً أبيض . يوضع الجسم على الأرض فوق ملاءة نظيفة بيضاء ويلقى عليه الكفن ويترك الوجه مكشوفاً وأحياناً يغطى قسم من أسفل الوجه بـ "البادان" . ترفع الجثة وتوضع فوق بلاطات حجرية في "الغرفة الأمامية" . إلا أنها كما يقول مودى كانت توضع في الأزمنة الأولى في قسم مفروز من الأرض داخل الدار ، حفر بعمق بوصات قليلة وكسي بطبقة من الرمل . ولا نزال نلاحظ هذه العادة في "بعض مدن كجرات" وتتخذ الاحتياطات اللازمة لتجنب مواجهة الجثة للجهة الشمالية .

"وبعد وضع الجثة فوق البلاطات الحجرية يخط أحد الرجلين حولها ثلاث "كاشات" . انظر لملاحظة رقم ٧ . ثم يغادران البيت وهما لا يزالان ممسكين بالبايوند بينهما ويتمان صلوات "سروش . باج" .

"وتتضمن المراسم فوق الجسم قبل رفعه (الساگ . داد) (ملاحظة رقم ٥) ويقوم كاهن يلبس البدان بتلاوة أدعية بجانب النار التي جيء بها إلى الغرفة حيث توضع الجثة بعد "الساگ داد" الأول (لأن الكلب يجلب لينظر إلى الجسد أكثر من مرة) . ويحرم رفع الجثة ليلاً .

"وحوالي الساعة قبل الوقت المحدد لحمل الجنازة إلى البرج يدخل إلى البيت اثنان أو أربعة (إذا كانت الجثة ثقيلة) وهم يرتدون البياض بصورة كاملة ، وبعد أن يجروا "بيداب كستى" الطهارة الصغرى . وتغطى جميع أقسام الجسم عدا الوجه ، يدخلون الدار ممسكين بـ (بايوند) بينهما" (J.J.M.,P.63,62).

"وأحياناً يقوم بوظيفة الشخصين الأولين وبوظيفة حاملي الجثمان نفس الأشخاص . وقبل تلاوة الكاشا (يجب أن تجرى قبل مغادرة الجثمان البيت) يقوم كاهنان بإجراء (البادياب كوستى) وبعد تلاوة الصلوات باسم "كه" يذهبان إلى الغرفة حيث يوجد الميت ويقفان لدى الباب أو في الداخل على بعد من الجسد وهما يمسكان (البايوند) بينهما ويترديان "اليادان" على وجهيهما ويأخذان (الباج) ويتلوان "اهونا فيتى كاثا" التي تخص (اهورا . مزدا) رئيسه الخالد . والحياة المستقبلة ، والبعث ، ومواضيع أخرى (J.J.M.,P.65).

"وحين تنتهي تلاوة (الكَاه) يقومان بإجراء "الساگ داد" النهائي . وحين يلقي الجميع النظرة الأخيرة على النعش ويقدمون له الاحترام . يغطي حملة النعش وجه الميت بقطعة من القماش ويثبتون الجسم إلى النعش بحبال من القماش أيضاً لئلا يسقط حين رفعه وحمله" (J.J.M.,P.65).

ولا يسير وراء الجنازة على برج "الصمت" إلا الذكور من الأقربين . وبعد الانتهاء من المراسم وترك الجثة للنسور "يعود الجميع إلى البيت ويستحمون جميعاً قبل استئناف حياتهم الاعتيادية" (J.J.M.,P.69).

١١ -إن الوقت المحدد لمغادرة الروح للجسم والقبر يتعلق بوقت تفسخ الجثة في الطقس المعتدل . ويمثل المسيح وهو يغادر مدفن الهيكل في فجر اليوم الثالث .

يقول مودى (ص ٧٦) : تبقى روح المتوفى لدى البارسيين في تخوم هذه الدنيا ثلاثة أيام تحت رعاية "سروشا" الخاصة ، وفي الفجر بعد الليلة الثالثة تذهب إلى العالم الآخر .

١٢- شاهاريل يوصف بصورة متنوعة في كتاب "كنزه ربه" فهو مرة "مانا" وأخرى "كَفنا" يترجم الصابئون هذه الكلمة شجرة وأنا أترجمها كرمة . وثالثة "اثرى زيوه" .

١٣- منكر ونكير ملكا الموت عند المسلمين . وكبريل وعزرانيل لدى العبرانيين وكابريل وكوريل اشليهه تشبه تماماً "سروشه" الزردشتية .

١٤- هذا يذكر بصعود المسيح في اليوم الأربعين . "والأربعون" لدى الساميين تستعمل للتعبير عن الكثرة ، ولذلك فهي ليست مهمة لو لم تكن متممة للبعث في اليوم الثالث ورفع الأختام . ويجب أن لا يغيب عن البال أن القداس الطقسي من أجل الروح هو "المسخته" ـ العروج .

ولدى المسلمين احتفال خاص تصاحبه الصلوات في اليوم الأربعين بعد الوفاة يدعى "الأربعينية" وفيه توزع الأطعمة على الفقراء . ويتناول الصابئون "اللوفاني" في اليوم الخامس والأربعين ، بينما يقيم البارسيون احتفالات "سروش" في اليوم الثلاثين بعد الوفاة . ويأكل يهود بغداد وجبة طقسية نباتية على روح الميت في اليوم الثلاثين بعد الوفاة .

١٥- يكتب مودى عن طريقة وزن أعمال روح الميت لدى البارسيين في موازين "ميهر" فيقول : (إذا رجحت كفة الأعمال الصالحة حتى ولو بنسبة ضئيلة على كفة الأعمال السيئة يسمح للروح باجتياز الجسر (جن مات) إلى الجنة وإذا تساوت الكفتان تذهب الروح إلى محل يدعى "همشتا كيهان" . أما إذا رجحت كفة المساوئ حتى ولو بنسبة ضئيلة فيلقى بها إلى جهنم) (J.J.M.,P.63 -64) (همشتا ـ كيهان هي المطهر البارسي أو محل التطهير) .

الفصل الثاني عشر

تناول الطعام على روح الميت

لقد وصفت في الفصل السابع وفي الفصول التي سبقت وجبات طقسية مختلفة كتلك التي تؤكل في تكريس المندى، والتي تؤكل في تكريس "كاهن" أو كنزفره"، وفي الزواج وفي الوفاة، وأشرت أيضاً إلى طبيعة وغاية تلك الوجبات الطقسية وإلى ما يرافقها من إجراءات، وإلى الأطعمة التي تتناول فيها. وفي هذا الفصل سأعالجها مجتمعة وبصورة خاصة في الشكل المركزي التي تجرى أو تؤكل فيه أثناء أيام "البنجه" (پروانيا).

وللوجبة الطقسية درجات من القدسية والفعالية، فأبسط جميع تلك الأشكال هو الشكل الخاص أو العائلي أو ما يسمونه "لوفانى البيت" وقد أشير إليه في الفصل الأخير على حدة لتوضيحه كشكل خاص مختلف عن إجراءات "اللوفانى" العامة التي تقام في الأيام الأول والثالث والسابع والخامس والأربعين بعد الوفاة.

في "لوفانى البيت" يجتمع ثلاثة أو أكثر من أقرباء الميت في ساحة الدار. يؤكل الطعام في الهواء الطلق.(*) وبعد إجراء "الرشامه" يجلسون حول صينية أو قماش أبيض نظيف يوضع فوق الطعام، وفي هذه الحالة لابد من وجود الأطعمة المقدسة الخمسة التي تتواجد في "الزدقه بريخه" بالإضافة إلى الخبز والخضر والفواكه. ومن المرغوب فيه تناول لحم الخروف أو السمك أو لحم الطيور لا الدجاج (**). وجميع الأواني والأدوات والأطعمة التي تستعمل (ما عدا الملح) يجب أن تنال ثلاثة انغماسات في الماء مع قراءة الصيغة العمادية في النهر. والشعائر عبارة عن شكل بسيط من أشكال

(*) يجوز تناول هذه الوجبة الطقسية في الهواء الطلق أو في داخل الغرف .

(**) لا يدخل لحم الدجاج في أية وجبة طقسية مطلقاً .

اللوفانى العامة: يترأس الجماعة رب البيت أو أي شخص آخر يمثله ويقطع الخبز بين كل زوجين متقابلين من الجالسين ويقبض بكف اليد اليمنى على قطعة خبز يلف بها بعضاً من الطعام الموضوع أمام الآكلين، بينما يقوم الموكل بالطقس بتلاوة: "باسم الحياة العظمى "لوفه" (مشاركة) و "رواهه" (انبعاث) الحياة وغفران للخطايا، ليكن لفلان بن فلانة". تؤكل بعد ذلك لقمة الطعام ويشرب الماء مع إجابة الجالسين، وبهذا يتم تناول الوجبة ويرمى ماتبقى منها في النهر.

لقد وصفت شكلين من أشكال "اللوفانى" العامة في الفصل الأخير.

و "الزدقه بريخه" تأتي بدرجة أعلى في القدسية، ولهذه الوجبة الطقسية أنواع مختلفة حسب المقام. فهناك "زدقه بريخه" للزواج وللدفن وقد وصفتهما في الفصل الخامس والحادي عشر، ويمكن إجراء الثانية من قبل "الحلالى" إذا لم يتيسر "الكاهن"، إلا أن الأولى لا يمكن أن تقام إلا من قبل "كنزفره" وكهان. وفي فصل تكريس "المندى" وتكريس "الكنزفره" ذكرت أني سأحتفظ بوصف "زدقه بريخه" التي تقام في هذين الطقسين إلى موضع آخر. إنها أكثر أشكال "الزدقه بريخه" إحكاماً ودقة، ويرتبط معها تناول "الهمره" ومراسم الآس التي توحي بأنها رمز الحياة الخالدة المتصلة بتلك الشجرة دائمة الخضرة وذات الأريج، لدى الصابئين. ويجب أن لا يغيب عن البال أن في واحدة منهما يكون "الكنزفره" قائماً بدور "ريش أمه" ميت وفي الثانية يقوم الكاهن المرشح لمنصب "الكنزفره" بدور الرجل الذي يساعده موته على الارتقاء إلى هذه المرتبة.

ويختلف ترتيب الخبز المقدس فوق "الطرايين" قليلاً عن "زدقه بريخه" الوفاة. فشحم الإلية من الكبش المضحى يكون قد غلي على نار وقود مطهر أمام "المندى"، ثم يؤتى برز أبيض ويطبخ في ذلك الشحم المغلي وتملأ "كبثه" من هذا الرز الدهنيَ وتوضع بجانب الملح في "الطريانه" الداخلية. ويكون ترتيب الفطائر الخمس و "الصايين" الاثنين نفس الترتيب الذي جرى في "زدقه بريخه" يوم الوفاة. وهناك إضافة هامة هي وجود قنينة مملوءة خمراً (همره).

وحين يتهيأ الكهان، يكون ثلاثة منهم بضمنهم الموكل بالطقوس يساعده شاهد (شكنده)، يأخذون "الصايين" بأيديهم اليمنى، حيث يمسك الموكل بالطقس وأحد الكهان بواحد ويمسك الثلاثة الآخرون بالثاني، وتتلى الصيغة الاعتيادية: ـ 'باسم الحياة

العظمى "لوفه ورواها" ـ الحياة إلخ..." قبل قطع الصايين إلى قطعتين. وفي حالة تكريس "المندى" يذكر اسم "الريش امه" المتوفى (فلان بن فلانة صاحب هذه المسخثه والذخرانه). وفي حالة "الكنزفره" الجديد يذكر اسم الميت حامل الرسالة (انكرته). بعد ذلك يأكل الكهان ثلاث مرات من كل شيء فوق "الطريانه" ويشربون من الكأس العام "نيارا" أو من "الكبثه" مع تلاوة الصيغة التي اقتبستها مرات عديدة. وبعد ذلك يأخذ كل واحد قطعةً من الخبز، يلفون بها أجزاء من مختلف أنواع الطعام ويمسكونها بأيديهم اليمنى ممسكين بها شادين أذرعتهم فوق "الطريانه" يتلون دعاء الأسلاف (ابهاثن)، وقد ذكرته كاملاً في هذا الفصل. والقائم بدور "الريش امه" المتوفى أو "بدور حامل الانكرته" لا يتكلم خلال القسم الأول من "الزدقه بريخه"، بل يجلس مع الآخرين، إلا أنه يعيد الصيغة المعتادة و "الابهاثن" صامتاً.

يتبع دعاء "الابهاثن" شرب "الهمره" ويمتزج شرب هذا العصير الطازج من الفاكهة والماء مع طقوس الآس وصيغة عطر الآس (شم عطر الآس) وهو عبارة عن رمز للخلود الدائم الخضرة ولقوى الربيع الانبعاثية وللنسل والنمو. سأقتبس هنا بعض صلوات الآس بالرغم من التعرض لتطويل هذا الفصل دونما ضرورة؛ لأن هذا العمل يبرهن على ما قلت.

يأخذ الشاهد القنينة المليئة بالخمر وقبضة من أغصان الآس المقتطفة طرية ويتلو:

"بشمْ إدْ هيّي ربِّى مِن يومه دبراش أيار، من أينى مَـيّــسه إلهاخه إلخ...". ثم يعطيهما كليهما إلى الموكل بالطقس الذي يكسر صمته حين يستلمهما ويتلو: "أثا أثا إشْكَنْدَه رامَه أثا من بيت اب إلخ...".

يقسم الآس ويوزعه على مساعديه الثلاثة، وحين يتسلم كل شخص آسه، يدسه تحت عمامته، بعد ذلك يتلو الموكل فوق كل منهم بالترتيب وهو يسلمه إكليل الآس:

"بشمْ إدٍ هيي ربِّى إبيومه إدْ شِرْشَه إد آسه هَدثه قُدام مَلْكه ترص، ملكه يا من ايشاط الهُول وإثرى واشكندي إهبلون ومارْلون انصب مناي آسا هدْثه وبرخْتَه بشكناثه برخ وابرخته بشخناثه وانهر وتاقن اثرى واشخناثه إد ليمينخ ولسمالخ يا طبى من ريش بريش" وترجمتها: "باسم الحياة العظمى، في اليوم الذي غرس فيه الآس أمام الملك وضع الملك يده عليه وسلمه للأثرى وللأشكندى وقال لهم "خذوا مني الآس الطري وامنحوا البركة لسكان الأرض وهكذا منحت البركة للساكنين". وقد أضاء ونور الأثري

والساكنين الذين يقفون عن يمينه وعن يساره إلى الأبد". كما يقرأ الدعاء الثاني وهو: "بشم إد هيي ربى بيومه اد أسكَى هيبل الواث ياور الواثيهون أسكَى الواثيهون والياور ابيمينه أهبلي وأمرْ له نصب منى آسه هدثه وابرخته بشخناثه ابرخ برخته ابرخ بشخناثه وهيزخ ياور بهثه الهي والهيبل زيوه مبرخلى. ومبارخله الهيبل زيوه وامر له بريخت أنات ابون هيبل زيوا اخوث آسه اد بيمينخ وننفش. شرشا اكواث شرشى اد آسه هدثه ونهويلخ هاله سغيه اكواث ميه هيي". وترجمتها:

"باسم الحياة العظمى، في اليوم الذي قابل فيه هيبل، ياور جاء لهم بالآس، الآس جاء به إليهم وأعطاه إلى ياور في يده اليمنى وقال خذ مني الآس الطري وبارك الناس بالبركة. لتعم البركة الناس. فتح ياور بعد ذلك فاه وبارك هيبل زيوا وقال له: مبارك أنت يا ابانا هيبل زيوا الذي أنت كالآس الذي في يدك اليمنى. إن دينك سيزدهر كازدهار نبتة الآس وسيجلب لك القوة والنمو كالماء الحي".

وتوزيع أغصان الآس وقراءة هذين الدعاءين تبدأ بالشاهد، ثم تعطى للكاهن عن يمينه ثم "للترميده" عن يساره بعد ذلك يأخذ "كبثه" ويصب فيها قليلاً من "الخمر" ويعطيها إلى الكهان وإلى المساعد (ويطلق عليه في النص اسم بروخايى). يشرب كل متناول ثلاث مرات من الإناء الصغير بينما يتلو الموكل لكل واحد منهم: "باسم الحياة العظمى لمعت الكروم. يترجمها الكهان الأشجار. في المياه ونمت إلى الأعلى... لتجعل صنوك يرتفع وينيرنا ولتجعل نورك يشرق علينا نحن الأثرى المحتشدين. وأنت تأتي في زيّ غير منظور. دع نورك يشرق علينا وأنوار الملكى، ودع عطرك يغمرنا ويمنحنا القوة".

ومهما كان الأمر في ترجمة هذه الصلاة التي أرى من الصعب ترجمتها والتي أومل أن يصححها بعضهم (*) يوما ما فالمعنى العام يظهر واضحاً، فالمتناول يكتسب قوة وسلطة قوى النور والحياة التي توهب للأشياء النامية.

وبعد أن يشرب الجميع الخمر ينهضون إلا أن الموكل بالطقس يستأنف دوره كميت ويجلس أمامهم وتقرأ عليه تسعة أدعية. (**)

بعد ذلك ينهض الموكب بالطقس ويأخذ هو أو أحد الكهان كتاب الصلوات في يده

(*) كانت ترجمة رجال الدين الصابئين المعاصرين قريبة جداً من هذه الترجمة.

(**) لا نرى ضرورة لذكرها هنا.

ويقرأ أربعة وعشرين دعاء وهي طويلة يبلغ بعضها الصفحات ولا أرى تدوينها هنا ضرورياً.

ولدى الانتهاء من هذه الأدعية يأخذ كل منهم الآس بيده اليمنى ويعيدون بعد الموكل الدعاء التالي:

"آسه آسه ملكه نصبه ملكه بريهه اد آسه متكِرَّخْ
ملكه متكَّرخ بريهه اد آسه
وهيبل زيوا امبارخ له
امبارخ له الهيبل زيوا و آمر له

بريخت أنات ابون هيبل زيوا اد اثيت الهازن شرشي اد اسه هدثي، وطراسته بشخناثه إد أثري وشخناثه بزيوا نهرى بريهه بسيمه من ريش بريش". وترجمتها:

(أيها الآس، أيها الآس، الملك يأخذ والملك مندمج بها. الملك محتضن في عطر الآس، بارك هيبل زيوا، بارك هيبل زيوا وقال له مبارك أنت يا أبانا هيبل زيوا يا من جلبت هذه الأغصان من الآس النقي وغرستها في مواطن الأثرى ومواطن النور المشع لاستنشاق عطرها اللطيف إلى الأبد وإلى الأبد".

بعد ذلك يجمع الموكل الآس والأغصان التي وضعها فوق "الطرايين" ويتلو دعاء آخر وأثناء هذا الدعاء يشم جميع القائمين بالمراسم الآس. وقد أخبرني الكهان: "ان ستين خطيئة كبرى تغفر له بقوة هذا العطر". (١)

بعد ذلك يرمي "الكنزفره" الآس وجميع الطعام المقدس (طبوثه) المتبقي في الماء الجاري (يردنه) ويحل العلم (درفشه) بقراءة دعاءين، ويلفه ويركنه في محل ما.

وهناك أنواع من "الزدقه بريخه"، كتلك التي تجري حباً بالتقوى وتقام لشخص يكتب له الكاهن أحد الكتب المقدسة، ويعتبر هذا الشخص مجسداً لنفسه بعد الموت، أي أنه يأخذ "الزدقه بريخه" سلفاً (٢). ويكون طقس هذه "الزدقه بريخه" مزيجاً من تلك التي وصفت في أعلاه (لأن الخمرة تشرب فيها ويوزع الآس) وبين مراسم "دهفه ديمانه" التي سأصفها بعد ذلك. ويلبس الشخص الذي تجرى باسمه "رسته" جديدة، فإذا كان من العامة فيتسلم الخبز والماء المقدسين بيدين غير عاريتين، وفي كل مرة يرد فيها اسم خاص، يستعاض عنه باسم الشخص الذي يكتب الكتاب له مع ذكر أسماء عائلته وأسلافه.

ومن الأشيـاء الرئيسـة في هذه "الزدقه بريخه" الفطائر الخمس و "الصـا" والملح وأنواع من الأغذية النباتية [٣]. وتختلف الأدعية والطقوس الأخرى باختلاف مناسبات الوجبات الطقسية.

وتأتي "المسخثه أو العروج بدرجة أعلى من حيث القداسة، وقد وصفت في الفصول التي تناولت تكريس "المندى" والكاهن و "الكنزفره" [٤]، ويوجد فيها أنواع مختلفة من الإجراءات والأدعيـة وتفاصيـل الطقوس، إلا أن الخصـائص الرئيسـيـة لهـا هي: ذبح الحمامة، وعمل وتكريس ست وستين فطيرة دون ملح، ووضع لحم الحمامة مع أطعمة "الطبوثه" الخمسة على الفطائر، ورسمها بالزيت (مشه)، ومزج العنب أو الزبيب لصنع الخمر وشربها، وأخيراً دفن المتبقي من الحمامة والفطائر جميعاً. ويجب أن لا يغيب عن البال أن الأنواع الخمسة من الأطعمة المقدسة فقط هو ما يستعمل (إضافة إلى الخبز غير المملح)، وأن شرب الخمرة لا يعوض عن التكريس الاعتيادي للخبز المملح وعن الماء النقي، فهما يؤكلان ويشربان أيضاً. وتقام "المسخثه" على روح الميت ولكن مع توقيع الإفادة للأحيـاء. إن عدد الذين يقومون بإجراء كل "زدقه بريخه" يختلف باختلاف غرضها وهي كما يلي:

١- مسخثه الشوليه (المرشح للكهانه) وتتطلب طاقماً واحداً من "الطرايين" ويقوم الكاهن الجديد برسم الفطائر الست والستين باسم استاذه (ربى) وتسمى هذه "المسخثه" (مسخثه اد بخرى) أي الوليد.

٢- مسخثه "المندى" ويتطلب القيام بها ثلاثة كهان وثلاثة طواقم من "الطرايين" وفيها يدخل "الكنزفره" إلى المندى مع المساعد الذي يكرس أربعاً وعشرين من الفطائر ويجعلها في صفين، وحين يلتحق به الكهان الثلاثة يكرس كل منهم أربع عشرة فطيرة و يضعونها في صفين، صف باثنتي عشرة وصف باثنتين، ثم يتبع ذلك "زدقه بريخه" مع الخمرة و الآس.

٣- مسخثه "الكنزفره" الجديد وفيها يقوم "الكنزفره" المرشح بجميع المراسم وتكريس الفطائر الست والستين ويتبع ذلك "زدقه بريخه" تشبه التي أجريت في رقم ٢ (تدعى أيضاً زدقه بريخه انكرثا).

٤- مسخثه شيتل (تدعى أيضاً مسخثه بخرى) ويقوم بإجرائها ثلاثة كهان أحدهم "كنزفره". وإجراءاتها كما جاء في رقم ٢ وتقام للذي يموت دون إكليل (كليله).

٥- مسخثه زهرون رازه كسيه وتقام كما تقام مسخثه رقم ٤ مع فروق بسيطة، وهي تجرى لمن يموت في أحد الأيام "المبطله الصغرى" (راجع الفصل السادس).

٦- مسخثه آدم ويقوم بإجرائها سبعة كهان وتتطلب سبعة طواقم ويقوم كل كاهن برسم وتكريس ست وستين فطيرة متبعين إجراءات "زدقه بريخه رقم ١". وتقام هذه لمن يموت في يوم من الأيام "المبطله" الكبرى أي في الأيام الخمسة التي تسبق "البنجه" وفي اليوم الذي يلي "دهفه ديمانه" وفي اليوم السادس والسابع من السنة الجديدة. كما تقام أيضاً على روح من يموت قتيلاً، أو من يموت دون إجراءات دينية ضرورية، أو من يموت من عضة كلب، أو حيوان مفترس، أو حية، أو لسعة عقرب، أو نتيجة أية حادثة عدا المذكورة في مسخثه رقم ٧ .

٧- مسخثه ساما نديريل [٥] ويقوم بإجرائها ثمانية كهان على أن يكون بينهم "كنزفره" واحد على الأقل لمن يموت على أثر سقوط من نخلة، أو من يموت محترقاً أو غريقاً في نهر، وتتطلب هذه ثمانية طواقم، وأن يقوم كل من الكهان بتكريس ست وستين فطيرة كما جاء في رقم ١ .

فإذا مات أحد في مكان ودفن ثم نقل إلى مكان آخر فتقرأ باسمه مسخثتان مسخثه آدم ومسخثه شيتل. وإذا كانت المتوفاة امرأة إثر ولادة أو في اليوم الأول بعد نجاستها فتقرأ لها مسخثه آدم إما إذا كانت وفاتها في اليوم الثالث وما بعد فتقرأ لها مسخثه زهرون رازه كسيه، أما إذا كانت الوفاة بعد اليوم السابع فتقام لها مسخثه شيتل. فإن توفيت بعد اليوم الثلاثين بملابسها الدينية دون أن تحصل على التعميد المطلوب فتقام لها "زدقه بريخه دقماشي" أو (هافا دمانى) - هافا مانيا - وسأصفها بعد ذلك. وتقام من أجلها في أحد أيام "البنجه" كذلك تقام لها مسخثه آدم.

فإذا مات عريس أو عروس خلال إجراءات الزواج أو أثناء الأسبوع الذي يليها لا يمكن أن تقرأ له أية مسخثه ولا يمكن أن توضع على رأسه أية "اكليلة" كما لا يمكن أن تحمل وراء جنازته أية كتب مقدسة بالرغم من أن "الحلاليه" يقومون أيضاً بحمله وبإجراء اللوفانى على القبر. إن "الزدقه بريخه" الاعتيادية لا يمكن أن تجرى له في يوم الدفن أو في أي يوم يليه.

وإذا مات أحد الزوجين بعد الأيام السبعة الأولى دون أن يتناول طقوس التعميد اللازمة تقرأ له "زدقه بريخه دقماشي" - هافا دمانى - في أيام "البنجه" وتقرأ له

مسخثتان، مسخثه آدم ومسخثه سامانديريل. فإن لم يكن عدد الكهان كافياً يستعاض عن المسخثه الأخيرة بمسخثه شيتل.

وتكلف مسخثه ساما نديريل مئة وستين روبية (حوالي اثني عشر ديناراً) في حين تكلف مسخثه شيتل حوالي خمسين روبيه (حوالي أربعة دنانير) (*).

والفرق بين مسخثه وأخرى هو في الدعوات التي تقرأ لا في الاجراءات. والرزمة التي تحتوي على النعمة (طبوثه) وعلى الحمامة الضحية يجب أن تدفن في مكان بكر داخل ساحة "المندى" كل عام ولكن ليس في الجهة الشرقية من المندى مطلقاً.

وفي أيام "البنجه" (بروانايا) يصبح واجب تناول الطعام على أرواح الموتى المتوفين حديثاً وعلى أرواح الأسلاف روحيين أو حقيقيين واجباً مقدساً، لأن الأيام الخمسة هذه معلقة بين عالم النور وعالمنا هذا، وإن "الأرواح التي تفارق أجسادها" وتلك التي لا تزال في أبدانها تتمتع فيها بصحبة واتحاد يفوق جميع ما تحمله أيام السنة (٦).

ولا تقحم هنا أرواح الأسلاف فقط بل وتعتبر حاضرة حضوراً حقيقياً. إن الطقس الصابئي في وجبة الطعام هذه يرتبط بـ "ذكرى الموتى بالاسم" وليس الموتى حديثاً فقط، بل وذكر أسماء الأقرباء والأسلاف والمعلمين والكهان إلى ما يرجع بعيداً إلى آدم وشيتل وإنش وإلى أرواح نورانية ودنيوية كانت مصدر انتعاش نوع الإنسان. والكلمة التي تطلق على ذكرى أسماء الأسلاف هي "ذخرانا" أي التذكر أو الذكرى (٧). ومعنى أصل كلمة ذخرانا أو "ذكر العربية" يوضحه جيداً التعبير الذي يستعمله العامة في العراق حول "خضر الياس" ـ النبي اليشع ـ الذي يسمى شيخ النهر:

"ان تَذكُرْه يحضر".

إن روح الشخص أو الكائن الذي يلفظ اسمه في "الذخرانا" لا تحضر في ذهن الناطق فحسب بل تأتي بصورة حقيقية أيضاً ولو أنها ليست مرئية، ومن هنا فـ "الذخرانه" تصبح دعوة أو استدعاء.

إن تناول الوجبات الطقسية لها في أفكار الصابئين نسخة طبق الأصل في العالم الروحي، وقد أوضحت سابقاً كيف أن الأرواح أثناء مرورها في المطهر كانت لها موائد اثيرية تحصنها في رحلتها. فالوجبة الطقسية إذاً، وبخاصة "الذخرانا" هي بالمعنى

(*) ليست تكاليف مثل هذه الأعمال الدينية مشروطة، إلا أن عمل (مسخثه شيتل) تكلف في الوقت الحاضر نحوا من خمسين ديناراً وتكلف مسخثه (ساما نديريل) أكثر من مائة دينار.

الحرفي تمثل المشاركة المقدسة، وهو طقس يستدعي حضور أرواح العشيرة، ورفضها لفكرة أن يكون أي عضو من أعضائها قد توقف عن الحياة.

وكل وجبة طقسية تقام في أيام "البنجه" لابد أن تتصل بـ "الذخرانه واللوفانى والمسخثه والزدقه بريخه". وتصبح كلمات "فلان بن فلانة صاحب هذه المسخثه"، "فلان بن فلانة صاحب هذه المسخثة والذخرانه". ويقام "اللوفانى" في كل بيت ويتجمع الأقربون يذكرون القائم بالعمل بأسماء من يرغبون بإدخالهم في القائمة التي يتلوها. ويُضحى بالخراف في هذه الطقوس ويؤكل الطعام، الذي يحتوي أيضاً على الفاكهة والخضراوات، بأسماء الموتى.

وفي أيام "البنجه" وفيها فقط، حين يكون السلك الكهنوتي عالماً جميعه بالأحياء والموتى المجدين وغير المجدين، وحين تكون قوى الربيع والانبعاث في ذروتها، والمياه في فيضانها، فإن الطقوس المنقذة يمكن أن تقام لهذه الأرواح، وتسمى هذه الطقوس طقوس "هافا دمانى" وهي تقام على شخص (وكيل أو نائب) ولو أن الكهان يسمونه "الميت".

إن العبارة التي تطلق على هذه المراسم في "الرطنه" [اللغة المندائية العامية أو الهجينة] هي (زدقه بريخه مال قماشي) أي زدقه بريخه الملابس. و "هاف دمانى" هذه يجب أن يقوم بإجرائها كاهنان و "كنزفره" و "مساعد"، وأحياناً يكفي للقيام بها كاهن واحد و "كنزفره" ومساعد (شكنده).

وتكون الأجهزة اللازمة لها من طعام مقدس و "طرايين" و "درفشى" أو "درفشه واحد" هي نفس ما يستعمل في أية "زدقه بريخه" اعتيادية. وفي الحالة التي شاهدتها كان يوجد ثلاث "طريانات" موضوعة فوق ثلاث حلقات صغيرة من طين معمول ومطهر، تحيط بكل منها حافة طينية بارتفاع عقدتين تقريباً. وكان الطعام المقدس موضوعاً فوق كل "طريانه"، وقد وضعت جميع الأشياء بحالة جاهزة، أما في ساحة (المندى) الذي كان قد طهر وكرس تطهيراً سنوياً، أو في محل خاص آخر مطهر أيضاً تحيطه الحدود (ميسرى)، وهي جداول تعزل مساحة مقدسة وتمنعها من الاتصال بالأشياء الخارجية. ويقوم الكاهنان و "الكنزفره" والمساعد بالوضوء (الرشامه) ثم "يبنون الرهمى" (وإجراء الرهمى دائماً يعبر عنه بالبناء لا بالقراءة والتلاوة) ثم يكرسون أنفسهم وملابسهم الدينية وأدواتهم الطقسية.

بعد ذلك يقوم أحد الكاهنين بتعميد "الكنزفره" ويقوم الثاني بتعميد المساعد، ثم يقوم "الكنزفره" بعد ذلك بتعميد الكاهنين والمساعد (للمرة الثانية)، وبعدها يقوم بتعميد الوكيل ثم يعمده (الوكيل) أحد الكاهنين أو كلاهما. يشرع الكاهنان بعمل الخبز المقدس (فطيرى) و "الصا" ويضعان ذلك فوق "الطريانه" مع الأطعمة الأخرى في "زدقه بريخه" يوم الدفن (انظر عمل الفطائر والصا). يصحب المساعد الوكيل إلى الماء الجاري ويشرع بالاستئذان، وعلى الوكيل منذ هذه اللحظة ألا ينبس ببنت شفة طيلة مدة المراسم إلا إذا كان المتوفى الذي يقوم بالتوكل عنه كاهناً، فعندها يعيد الاستئذان مع نفسه بصمت بعد المساعد. وصيغة الاستئذان هي:

"بشـميـون إدْ هيّي ربى، انا انبن بهيله وهيلى يردنه الا وى أشـرى ايثي انهث اليردنه اصطقه قبل دخيه وروشمه القيش واصطلى زيوه واترس بريشى كليله روازى اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخر الى".

بعد ذلك ودون أي كلام ينزل الوكيل إلى الماء ويعيد بصوت غير مسموع: "انا فلان بن فلانة" ـ اسم المتوفى ـ تعمدت بعماد بهرام الكبير بن القدرة وسيحفظني عمادي ويرفعني إلى العلا". يغطس في الماء ثلاث مرات ثم يرتدي عند خروجه من الماء رسته جديدة (*). وكما هي الحال مع الميت يجب أن تخاط في جانبي الطبرشيل (نصيفه) الأيمن والأيسر قطعتان من الذهب والفضة على التوالي. بعد ذلك يأتي الوكيل ويجلس أمام "الطريانه" مواجهاً للنجم القطبي (بيت اباثر) بينما يذهب "الكنزفره" وقد وضع "كليله" في خنصر يده اليمنى، ومعه الكاهنان والمساعد ليقوموا بإجراء الوضوء ثانية في "اليردنه".

يعودون ويقفون صفا نسقا مواجهين الشمال بحيث يكون "الكنزفره" في أقصى اليمين والمساعد في أقصى اليسار، ويعيدون صيغة "شروالى اترس...إلخ"، وهم يمسون كل جزء من أجزاء ملابسهم بأيديهم، بعد ذلك يعيدون تلاوة: "حمدا لك ربي، الحق يشفيني باسم الحياة الأولى العظمى التي هي فوق جميع الأشياء في عوالم النور السامية، الصحة والطهارة (أو النصر) والقوة والسلامة والنطق والسمع وسرور القلب وغفران الخطايا ليكن ذلك لروحي أنا فلان بن فلانة (اسم القائم بالعمل) الذي أجريت هذه الصلاة وبنيت هذا الرهمى. ولتغفر خطايا فلان بن فلانة (اسم المتوفى) صاحب هذه

(*) لا يرتدي الرسته الجديدة إلا بعد إكمال صورة التعميد لا حين خروجه من الماء .

"المسخثه" (العروج) وهذه "الذخرانه" (الذكرى أو التذكر) ولتغفر خطايا آبائنا ومعلمينا وإخواننا وأخواتنا الذين ماتوا والذين لا يزالون أحياء، ولتغفر خطاياي".

يقوم الجميع بتلاوة الصلاة جماعة ويعيدون الأدعية الأربعة الخاصة بتكريس التاج (تاغه) وحين يتلو الكنزفره دعاء "مَنْده إقْرَنْ" يفعل ذلك باسم المتوفى، بينما يقف الكاهنان حول (الوكيل) الجالس، وفي نهاية الصلاة يضع "الكنزفره" إكليل الآس فوق رأس الوكيل. ولا يلبس إكليل الآس إلا من قبل الوكيل في مراسم "دهفه ديمانه" ولا يلبسه الكاهنان و "الكنزفره". بعد ذلك يضع المساعد يده اليمنى بيد الوكيل اليمنى ويقول: "اجلب هذا العهد (كشطه) وخذه إلى (اباثر)"، ويجيب الوكيل (صامتا): سل وابحث واسمع. بعد ذلك يقبل كل منهما يده اليمنى ويرفعها إلى جبهته ثم يتصافحان ثانية ويكرران المراسم ثلاث مرات.

يذهب الكهان القائمون بالعمل إلى "اليردنه" فيغمرون أذرعتهم في الماء ويعودون ليجلسوا القرفصاء حول "الطريانه". يأخذ "الكنزفره" وأحد الكاهنين "صا" واحدا ويأخذ الكاهن الثاني والمساعد "الصا الثاني" ويمسك به كل اثنين منهما بيديهما اليمنيين، فإذا كان عدد الكهان العاملين مع "الكنزفره" ثلاثة فيمسك اثنان منهم طرفاً من "الصا الأول" ويمسك الاثنان الآخران بطرف (الصا الثاني) مقابل "الكنزفره" والمساعد ويقومون بتلاوة: "باسم الحياة العظمى، لوفه ورواهه (انبعاث) وغفران خطايا لتكن لروح فلان بن فلانة (اسم المتوفى) صاحب هذه المسخثه والذخرانه، لتغفر خطاياه".

ثم يتلون بعدها: "باسم الحياة العظمى، لوفه ورواهه الحياة وغفران الخطايا لتكن لفلان بن فلانة (المتوفى) ولهذه الأرواح وأولئك الذين اتحدوا (متلفون) والذين دعوا (متقريون) في هذه المسخثه والذخرانه ولآبائنا ومعلمينا وإخواننا وأخواتنا أولئك الذين ماتوا والذين لا يزالون أحياء، لتغفر لهم خطاياهم".

يقتسم كل متقابلين "الصا" بينهم ويأخذون قطعة من كل فطيرة يغمسونها في الملح ويأكلونها بعد ذلك يأكلون من كل شيء فوق "الطريانه" ثلاث مرات ويغمسون كل قطعة يأكلونها في الملح ما عدا التمر. ويأكل معهم "الوكيل" بعد أن تلف يداه بقطعة من القماش الأبيض لئلا تمسا الطعام. فإذا كان المتوفى كاهناً، يقوم الوكيل (وهو كاهن أيضاً) بغمر يده وذراعه في "اليردنه" مع الآخرين ويأكل دون أن يلف القماش حول يديه، وإذا رغب أحد المشاركين بالاحتفال أن يأكل أكثر من ثلاث لقم من كل شيء فوق

"الطريانه" فبإمكانه ذلك. بعدها يشربون الماء من إناء واحد (نياره) أو من ماء البركة نفسها مع دعاء: "بريخت ماري مشبت إلخ...". (انظر الفصل الحادي عشر).

بعد ذلك يمد جميع المشاركين بالمراسم، والوكيل معهم - ويجب عليه أن يعيد الصلاة صامتاً إن كان عارفاً بها، كذلك يفعل المشاهدون المتجمعون ما رواء الحدود - أيديهم اليمنى فوق الطعام ويعيدون تلاوة صلاة "الأسلاف" بأكملها. وقد احتفظت بوصف هذه الصلاة حتى الآن لأنها تمثل تماماً روح "الذخرانه". ونص "الذخرانه" في الكتب قديم، وقد استنسخ وأعيد استنساخه بحيث أصبح مشوشاً ولا يتطابق إلا قليل من النسخ. ففي التلاوات تلفظ كلمات (نهويله ونهويلي ونهويلخون) كلها بلفظة "نهويلى" وبهذا يغمض المعنى. ولم أستطع العثور على ما هو مقبول في النصوص المتبقية ولهذا يصبح التفسير عسيراً.

لتغفر الخطايا من "أجله أو من أجلها أو من أجلي أو من أجلهم" يكون هذا التعبير بعد أسماء المتوفين حديثاً وهو شيء مفهوم، حين توجه الدعوات لأرواح نورانية أو أرواح نقية من الأسلاف، من أنه تضرع لطلب المساعدة ممن يقدر عليها؛ ولكن في نسخ عديدة يكتب الفعل بما يفهم منه "لتغفر خطايا أباثر أو لتغفر خطايا هبشبه" وهو تضرع يبدو سخيفاً، لأن هذه الكائنات معصومة لا ينهالها الخطأ.

وأنا أميل إلى اعتبار الصلاة بأجمعها تضرعاً لأرواح الأسلاف الذين يقدرون لا على عون المتوفى الذي تقام باسمه المراسم فحسب، بل وعلى عون الموتى الآخرين والأحياء على الأرض لتحريرهم من أعبائهم ولتخفيف خطاياهم.

ولهذا وبسبب أن جميع نسخ "ابهاثان" ليست متطابقة (وقد شرع أحد الكهان بتصحيح نسختي حين قرأها من حيث النحو) فأنا أدوّن النص الآتي مع اعتقادي بأن نسختي هي أكثر النسخ صحة، أي أن التعبير فيها يكون، "لتغفر الخطايا من أجله". وغالباً ما يتحدث الكاتب عن نفسه بصيغة المفرد الغائب - وهذا الأسلوب في كتابة الدعوات باسم الأحياء هو الذي أدى إلى هذا الاضطراب.

الأسلاف الأوائل، أو "ابهاثان قدمايي" (*)

(إن كلمة "ذخرانا" لا تستعمل إلا في البنجه فقط)

(*) صلاة خاصة بذكر الأسلاف .

(باسم الحياة، واسم مَنْدادْ هيي منطوق عليك أيها الطعام الطيب، ستقربني من طيبة الحياة، وقد كشف ذلك منداد هيي الذي قال باسم الحياة "طابْ طابَه الطابي". إن أسماءهم ستبحث وتجد وتصغي. لقد بحثنا ووجدنا وتكلمنا وأصغينا لك يا مولانا منداد هيي رب القوى، واهبة الصحة. اغفر له (الميت) خطاياه وزلاته وأغلاطه واغفر لأولئك الذين هيؤوا هذا الخبز وهذه "المسخثه" وهذه النعمة الطيبة (طبوثه). اغفر لهم خطاياهم وزلاتهم وآثامهم وانتهاكاتهم وأغلاطهم واغفر للمتقين والمحسنين أمثال فلان بن فلانة (اسم الميت) صاحب هذه "المسخثه" و "الذخرانه" (الذكرى) اغفر له خطاياه.
ولتغفر خطايا آبائنا الأوائل، ولتغفر خطايا:

يوشامن بن ادموثَ هيي [٨] *صاحب هذه المسخثه والذخرانا،*
وأباثر بن بهرات،
وهب شبه *وكاناد زدقه،*
و٢٤ *اثرى* [٩] *أبناء النور،*
وشاهيل *بن زهربيل،*
وآدم *بن قن وحواء زوجه،*
وشيتل *بن آدم، ورام ورود،*
وشوربى *وشورهبيل،*
وشوم *بر نو ونوريثا زوجه،*
ويهيا *يوهانا بن انشفى قنته وانهر زوجه،*
و٣٦٥ *كاهناً الذين قدموا من مدينة أورشليم* [١٠]

واغفر لي، لروحي أنا القارئ، فلان بن فلانة، ولأبي وأمي وزوجي ومعلمي وأطفالي (الأحياء والموتى)، ولجميع أرواح المندائيين (هنا يبدأ بتلاوة أسماء الأسلاف):

جميع *أرواح الآباء الصالحين،*
وأرواح الكهان،
وأرواح الكنزفرى،
وأرواح الريش أمي
وأرواح الناس والناصورائيين والكهان والمندائيين والكنزفرى من عهد آدم الإنسان الأول إلى يومنا هذا، وجميع الذين تعمدوا في "اليردنه"، لهم ولأزواجهم وأبنائهم ومعلميهم،

لوفه ورواهه (المشاركة وانبعاث الحياة) لكم.

وتوجه الجملة الأخيرة لجميع الحاضرين.

يغادر الكهان و"الكنزفره" والمساعد "الطريانات" ويقفون صفاً نسقاً حسب الترتيب السابق، ويشرعون بأبطال الطبرشيل (نصيفه) مع دعاء خاص به، ثم يقرفصون ويتلون دعاء سرياً بصمت ثم يتابعون تلاوة عدة أدعية، يرفعون بانتهائها التاج (تاغه) [حذرين من أن يكشفوا عن جباههم، وإلا تعرضوا لعقوبة تناول ٦٠ عماداً]. ويمسكون به أمامهم ويقبلونه ويضعونه على العينين بالتتالي، ويعيدون هذا الإجراء إحدى وستين مرة وهم يكررون: "كشطه اسيخ تاغى" (*).

ويتابع الوكيل هذه الحركات بالإكليل الذي كان يلبسه ولكن دون كلام. فإذا كان الوكيل كاهناً، فهو يلبس التاج بدلاً من الإكليل، ويسمح له بأن يتفوه بصيغة الأبطال هذه مع سائر الكهان.

وبعد أن يقوم الوكيل بتقبيل الإكليل ثلاث مرات يلقيه في الماء ويذهب ليخلع ملابسه الجديدة في "الشخنته" - كوخ غير مكرس - أو في "المندى"، ويرتدي ملابسه الاعتيادية الخاصة. ويكون قيامه بدور الميت قد انتهى الآن، فله أن يتكلم مرة أخرى وأن يختلط بالآخرين.

أما بالنسبة للمتوفى الذي مُثل في الاحتفال، فالكهان يقولون إن "ملك النور يمنحه كساءً من النور، وهو سيأكل وينتعش، فقد كان من قبل ضعيفاً شقياً يرتدي ملابس غير طاهرة".

(*) العهد يثبت تاجي .

ملاحظات حول الفصل الثاني عشر

١- تسم أغصان الآس. انظر الملاحظات حول الفصل السابع ملاحظة رقم ١٤ .

٢- كلمة زنده . رافان تعني روحاً حية . وهي عكس "انوشه . رافان" أي الروح الميتة (حرفياً . غير الخالدة) . وتقام جميع الاحتفالات الطقسية البارسية على شرف الأحياء والموتى كليهما . وتكون الصلوات نفس الصلوات عدا عن الجزء الذي يذكر فيه اسم المقامة باسمه الشعائر . فإنه يذكر في الديباجة إذا كان حياً مع كلمة "زنده . رافان" . . . فإذا كان ميتاً تذكر معه كلمة "انوشه . رافان" (J.J.M., P444).

والبارسيون كالصابئين تماماً يجرون مراسم "سروش" مساعدة الروح في عروجها . سواء في حياة الشخص أو بعد الوفاة . يقول مودى : "في الأجيال المتأخرة حين تحصل السيدات البارسيات على مراسم "زنده . رافان" . (السروش هنا يكون من أجل الميت) فإنهم يبدين رضا وارتياحاً . . وينظرن إلى المسألة من زاوية أنهن إذا ما متن وحال دون إجراء "السروش" الضروري حائل ما . ولم يجر باسمهن من قبل أقاربهن . أو قام دون ذلك أي مانع ضروري ، فإن "السروش" الذي كن قد حصلن عليه في حياتهن ، سيعينهن وسيكون له أثر مفيد" .(P.445)

٣- تطابق "الزدقه بريخه" بصورة إجمالية مع الباج البارسي (انظر الفصل القادم) .

٤- انظر الفصل القادم للمقارنة بين "المسخثه" الصابئية و "الياسنه" البارسية .

٥- ساما نديريل روح للنبات ويعني الاسم (زهرة الكرم) . مع إضافة "ييل" للدلالة على معنى آلهي .

٦- انظر الفصل السادس والملاحظات حوله .

٧- الذخرانا (ذكرى أو تذكر) وتقابل الياد البارسي (تذكر) .

"إن جميع المراسم الطقسية تقام باسم شخص أو على ذكره . إضافة إلى إقامتها باسم كائن سماوي أو كائنات سماوية . والكلمات المستعملة هي . . . "ليتُذكر هُنا" . والمراسم يمكن أن تقام باسم . أو على ذكر الأحياء و الأموات . . إن النطق باسم الشخص الذي تقام من أجله المراسم . حياً كان أو ميتاً . يتلوه ذكر اسم الشخص الذي يشير إلى أن المراسم يمكن أن تقام " (J.J.M.,P.383 -84).

وتأتي كلمة "اذخرانا" في "بشطتا" في العشاء الأخير والتي هي نظرا للأيدي الممتدة في الإناء ومراسم تناول الخبز والخمر (همره) تحمل كلما يشير إلى أنها وجبة طقسية على غرار الطقوس الإيرانية والصابئية .

ويستعمل المسيح هذه الكلمة التي يستخلص منها المترجمون عن الإغريقية معنى "تذكر" .

(أن إطعام الجميع) بخمسة أرغفة وسمكة واحدة على شواطئ بحيرة الجليلي . والوجبة في الفصل الرابع (١-٣) يظهر أنه تسجل وجبات طقسية . ويذكر ترتوليان استعمالاً طقسياً للحليب والعسل . ن (الأكَاب) أو عيد الحب لدى المسيحيين الأوائل . لا تزال الكنيسة النسطورية تمارسه (انظر نهاية هذه الملاحظة) .

وكانت هذه الأعياد تميز المسيحية الأولى حتى أن (پلنى Pliny الأصغر ١٠٤ ب .م) يذكر في تقريره للامبراطور (تراجان) بأنها مميزاتها الرئيسية . وتوصف (الأكَاب) عند هيبوليتس Hippolytus بأنها "عيد تذكاري من أجل الموتى" . لاحظ بأن الأرغفة الخمسة موجودة أيضاً في "السروش باج" . إن الوجبة المسيحية التي ذكرت سالفاً و "القربانه" النسطورية في الوقت الحاضر توحيان إلى ارتباطهما في الأيام الخمسة الكبيسة .

يقول بلس Bliss {الأديان في سورية وفلسطين الحديثتين} في يومي السبت المخصصين للاحتفال بذكرى الموتى . يقع أحدهما قبل الصوم الكبير بثمانية أيام . ويقع الثاني في يوم السبت الذي يسبق عيد التجليّ . يمكن لكل عائلة أن تجلب إلى الكنيسة خمسة قرابين أو أرغفة . قامت هي بخبزها ، ملفوفة بقماش . وعليها ورقة دوّن

عليها أسماء موتاهم . كما يرفق بذلك بعض النقود للكاهن . وأثناء التهيؤ ، يأخذ الكاهن كسرات من أحد الأرغفة الخمسة رمزاً لتذكر الموتى لكل عائلة . وفي نهاية كل قداس يسترجع رب كل عائلة قربانه أو رغيفه (ناقصا الكسرات التي استعملت في المراسم) ملفوفاً بالقماش . أما باقي الأرغفة . وتكون في بعض الأحيان كثيرة ، فتظل تحت تصرف الكاهن ويوزعها أو يهبها أو يأخذها لبيته كما يشاء . ولا يقتصر هذا العمل على يومي السبت المذكورين في أعلاه ، بل يمكن الحصول عليه في أي وقت يراد فيه تذكر الموتى فيه) .

ويوزع المسلمون الطعام على القبر وأحياناً يؤكل الطعام على القبر في اليوم الثالث ويوزع الطعام على فترات وبخاصة في اليوم الأربعين على فكرة أن هذه المكرمة تعين الروح في العالم الآخر .

ويشبه هذا الوجبة الطقسية لدى اليهود ، التي رغم تفسيرها ورغم النص الملائم لها ، كانت بالأصل طقساً للخصب والانبعاث . إن مد الأيدي فوق الخبز في الشهادة وكلمة "فطير" التي يستعملها يهود العراق . وأغلب التفاصيل ، وتوحي بذلك . وأكثر من هذا فإن ذكر اليهود للموتى (ذخرانا ، هاشكابا) متصلة في العراق بوجبة طقسية تؤكل على ذكر المتوفين . وهذه الوجبة يجب أن تتضمن "قمحا" أي رغيفاً وفاكهة أرضية وفاكهة شجرية .

و "الذخرانا" النسطورية بتوزيعها الخبز وأطعمة أخرى ، ولحماً ، في باب الكنيسة ، وبتلاوتها لأسماء الموتى ، وباستعمالها "الكبرانا" أي "الصا" في "القربانا" تتصل اتصالاً وثيقاً بالطقس الصابئي من عدة وجوه . وتطلق كلمة "ذخرانا" أيضاً على "عيد للمحبة" أو توزيع اللحم على الناس عامة والذي يلي "الذخرانا" في الكنيسة . وفي هذا يشارك كل فرد من أفراد الجماعة .

٨- يوشامن ، كما جاء في كتاب "كنزه ربه" كان أبا "اباثر" . وهو أحد أعاظم أرواح الحياة . ويتحدث كتاب "الكنزه" عنه بوصفه الحياة الثانية . وهو يلعب دوراً مرموقاً في القسم الرابع عشر من كتاب "كنزه ربه" قسم "نبط العظيم" . الجهة اليمنى .

٩- من الواضح أن هذه هي تجسيد للساعات الأربع والعشرين .

١٠- يظهر أنها إشارة إلى عدد أيام السنة الشمسية وهي ٣٦٥ يوماً . غير أن الكهان البالغ عددهم ٣٦٥ ، فيفترض أنهم أولئك الذين فروا إلى بابل الجنوبية بعد الاضطهاد الذي وقع عليهم في أورشليم . (قصة مرياى في كتاب دراشه اد يهيا) .

الفصل الثالث عشر
الوجبات الطقسية البارسية

لقد عزمت على حصر بحثي الرئيسي في الصابئين أنفسهم، غير أن العلاقة بين الوجبات الطقسية المجوسية والصابئية على درجة كبيرة من الأهمية، بحيث تحتاج إلى فصل خاص. وتوجد بالطبع فروق ملحوظة بينهما أولها أنه بينما تكون "الياسنه" البارسيه نباتية الصفة بصورة تامة عدا عن منتجات الألبان - زبد وحليب - فإن "المسخثه" الصابئية تتضمن ذبح كبش وحمامة. ولا أستطيع إلا أن أعتبر الأضاحي الصابئية (وأقصد تحت هذا العنوان أيضاً دفن الفطائر) بقايا بعض طقوس قديمة لها صلة بالتربة. والنص الطقسي الوحيد الذي عثرت به على ذكرى هذه الأضاحي هو كتاب "شرح بروانايا"، وتأريخه لا يعود إلى زمن مبكر. وقد كان تقديم الضحايا بابلياً ويهودياً، كما مارسه المجوس في الزمن القديم، حسبما ذكره هيرودتس وسترابو وديوجنيس بلا ريت. من هنا يحدس المرء بأنها قد تكون بقايا شعائر سامية فيما يظهر بصورة رئيسة من أنه طقوس إيرانية الصبغة.

ثانياً إن الأهمية النسبية لارتباط النار والماء معكوسة لديهما، وثالثاً وجود بيضة لدى البارسيين بينما هي محرمة تماماً لدى الصابئين. إن التكريس بالحليب فقط، الذي هو شكل وجبة طقسية بارسية، يمكن أن يعتبر مقابلاً للتكريس البسيط في ماء المعمودية، فكلاهما يعتبر سائل "حياة".

وكما أن لدى الصابئين صيغة تنطق لدى تناول الطعام وبشكل موسع لدى تناول الوجبات الطقسية، فالبارسيون ينطقون "الباج" قبل تناول الطعام المعتاد، ويجعلونه أكثر احكاماً وتفصيلاً لدى تناولهم الوجبات الطقسية. وكلمة "باج" كما عرفها مودى "كلمات معينة أو صلوات تتلى دينياً على شرف كائنات خاصة مثل "اليازاتات" أو الملائكة ومثل "الفرافاش" أي الأرواح الحارسة للأحياء والأموات". (J.J.M., P. 354).

ويوجد أيضاً لدى البارسيين ثلاث صيغ للصلوات تتلى شكراناً قبل تناول الوجبات وإحداها ، وهي الأطول، يتلوها كهان في المراسم الدينية الداخلية. ولكن يظهر أن "بارسوم" كان في الأزمنة القديمة تضرعاً حتى في أبسط أشكال الشكر الذي يتلى فيها قبل تناول الوجبات (J.J.M.,P.372).

ويقام "الباج" تصاحبه وجبات طقسية، بعد الوفاة وبخاصة في فجر اليوم الذي يلي الليلة الثالثة بعد الوفاة. وبهذه المناسبة يقرأ "الباج" يصاحبه تناول الخبز المقدس على روح الميت، وتقام "الياسنه" الشبيهة بـ "المسخثه" باسمه في هيكل النار. وكان ذلك الطعام وتلك الملابس تتخذ بنية إطعام وإكساء الروح سحرياً في العالم الآخر. وتظهر في كتاب "فارفاردين ـ ياشت" حيث يضع الكلمات الآتية على أفواه الأرواح المتوفاة:

"من سيحمدنا ؟ من سيقدم لنا ضحية؟ من يفكر فينا ؟ من يباركنا ؟ من يستقبلنا باللحم والكساء بيده وبصلاة جديرة بالغبطة؟" (J.J.M.,P.469).

هنا نحصل على نفس الأمنية في "هاڤا دمانيا" التي وصفناها في الفصل الأخير. وعلى العموم فإن "الباج" يطابق "الزدقه بريخه" الصابئية. ويضع لنا "مودى" شروط إجراء "الباج" في النظام الديني كما يلي:

أ – يجب أن يقوم بالتلاوة كهان يمسكون بـ "الباريشنوم" ويتحلون بـ "الخوب".

ب – يجب أن تتلى "باج" على مجموعة من هدايا ـ تقدمات ـ معينة كالدوران أي الخبز المقدس والفواكه والماء ومنتجات الحليب كالدهن والزبد.

ت – يجب أن توجد نار موقدة في وعاء، وقودها خشب الصندل، ومن الضروري وجود البخور أثناء التلاوة.

ث – يجب أن تتلى في محل مغلق خاص في "يازاشناكَاه" مثلاً أو حين تتلى في مسكن خاص تكون في موقع منه ينظف خصيصاً ويغسل ويحدد بحدود (بافي) (J.J.M. P. 358).

والنقطتان "ت" و "ث" تماثلان "البريهى" ووعاء البخور لدى الصابئين. وفي المخطط الذي رسمه مودى لترتيب الأدوات الطقسية داخل موقع محدد بالخطوط "يافى" يرينا النار والبخور في موضعيهما الصابئيين، أي بعيدة عن الكاهن. ويوضع

أمام الكاهن حب الرمان كما هو في الطقوس الصابئية، مضافاً إلى الفاكهة والأرغفة المقدسة (دارون). وتماماً كما توجد أنواع مختلفة من "الزدقه بريخه" في الطقوس الصابئية، تقام باسم الكائنات المقدسة، كذلك توجد لدى البارسيين أنواع من "الباج". فالباجات تقام للميت، وفي فترات بعد الموت، كما يُشرّف الميت بإقامة "جاشان" وهو مركب من عدة مراسم تنتهي بـ "الساتوم" التي يقرب، حسب وصف مودى، من "اللوفانى" الصابئي. يقول مودي:

تتلى صلوات الساتوم بصورة عامة مع الوجبات، ونقرأ في "هوما ياشت": (أيتها الهوما إن هذه الكاشات لك، ولك هذه الساتومات، وهذه الوجبات، ولك كلمات الصدق هذه). يظهر من هنا نشوء العادة في تقديم الطعام على صينية ثم تلاوة السانوم عليها. إن تقديم الوجبات رمزي يظهر وجود نوع من المشاركة العقلية أو الروحية بين الأحياء و أرواح الموتى. ففي حالة الميت يقدم الأحياء وجباتهم ذكرى للميت وبينما هم يقدمونها هبة لهم فهم يقومون بنفس الوقت كما ذكر في أعلاه وتعبيراً عن رغبتهم، بتقديم أفكارهم النيرة وكلماتهم الطيبة وأعمالهم الصالحة (J.J.M.P.428). ويكون البخور موجوداً كما هي الحال في "لوفانى" الصابئين. ويقول مودى عن كلمة "جاشان" "يشتق البعض الكلمة من "جاش" أي يتذوق - يأكل، أي من حقيقة كون أن الجاشان ينتهي بنوع من العشاء الرباني (المشاركة) حيث يتجمع جميع الأشخاص ويشاركون بالدارون - الخبز المقدس - وباليازدا - الفواكه والمأكولات المقدسة الأخرى" (J.J.M.P.456). واليازدا تقابل "الطبوثه" لدى الصابئين وصلاتهم فيها هي "زيدانا ومزودانا". ثم يصف في مكان آخر كيف تغسل يد المتناول وكيف يجلس ويده ممدودة. ومراسم الجاشان الرئيسية هي "افرنجان" وهو على درجة أعلى قدسية من الوجبة الاعتيادية إلا أنه أقل درجة من "الياسنا".

إن صلوات "افرنجان" يمكن أن يقوم بتلاوتها جميع الكهان حتى أولئك الذين لا يلاحظون "البارشنوم" وأولئك الذين لم يصلوا إلى الدرجة الثانية في المراتب. ويقوم بها بصورة عامة كاهنان أو أكثر (J.J.M. P.376).

ويدعى هؤلاء الكهان "زوطي"، ويسمى القائم الرئيس بالطقس "راسبى" [ومساعد وظيفته تدبير النار التي يلقى عليها البخور]. والمطابقة بين هؤلاء وبين "الترميذى"

و"الشكنده" واضحة. وأهم الخصائص هي قراءة قوائم بالكائنات السماوية وبخاصة الكائن السماوي الذي تقام باسمه الـ "أفرنجان"، و "اليـاد" أو الذكرى التي يذكر فيها اسم المتوفى (الفصل ١٢ ملاحظة ٢). هذه هي الذخرانا أو الذكر بالاسم. ويوضع الميازد أو الطعام الطقسي في صينية يجلس إليها الكاهن ومساعده فوق بساط، بعد قيامهما بإجراء الطهارة الصغرى (بادياب ـ كوستى).

"يجلس الزوطى وأمامه على خام أبيض صينية تحتوي على ميازد وهي فواكه وأزهار موسمية، وحين تكون هناك كميات وافرة من الميازد، فالمجموع يشكل حينئذ "سبيك" أي أكثر من صينية واحدة. وبالإضافة إلى الفواكه والأزهار يتواجد في الصينية أيضاً حليب وشراب وماء "وشربت" في أوان صغيرة أو أقداح زجاجية. وبجانب الصينية ذات الفواكه والأزهار والأشياء الأخرى التي ذكرت يوجد وعاء للنار بمواجهة الزوطى". (J.J.M. P.391).

ويقول مودى إن الخبز المقدس كان في الأصل ضمن ما تتضمنه اليازد [انظر المخطط... منقولاً عن مودى].

ويظهر أن تقديم شحم الكبش في الوجبات الطقسية كان في السابق جزءاً من الطقوس التي تقام فجر اليوم الثالث للوفاة. ويقتبس مودى من "داراب هرمز دايار" في "ريفايات" حيث توجد بعض الأوامر ما يلي: "أعطوا للنار شيئاً من الكَسباند" ـ كبش أو نعجة أو معزى... ـ وهذا "الشيء" كما كان لوقت متأخر هو "چارب" أي شحم المعزى.

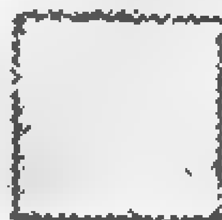
وكان شحم الإلية حسب التعليمات، هو الجزء الخاص بـ "الفرافاش" (ي.دبليو. ويست في كتابه ـ الكتب المقدسة في الشرق المجلد ٥ النص البهلوي القسم الأول من ٢٣٧-٤٠٦).

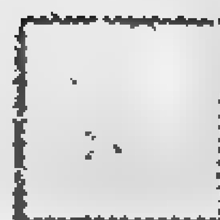
وتماثل الفطائر الخمس الصابئية في "الزدقه بريخه" الدارون الخمس" في "البانج تو" أي مع الأغصان الخمسة للبارسوم.

ويكرّس كل رغيف لكائن الهي، فالرغيف الأول مثلاً لـ "سيروش" الملاك الموكل بالموتى وبإيصالهم إلى مملكة النور.

ويظهر وصف مودى لـ "الياسنا" التشابه الوثيق بين تلك الوجبة وبين "المسخثه" الصابئية. وإليك ذلك الوصف:

الجنوب





h. كوب الهوما

i. كاسة للحليب الطازج

j. الحصر : ...

مجلس الكاهن

الشمال

تنظيم الموائد والادوات في الياسنا البارسية

الموقع: ـ لهياكل النار البارسية حُرم تعزلها عن بعضها وتلتصق بها تعرف بـ"داري مهر"، وفي بعض الأحيان يوجد بيت منفرد. ومهر (مثرى) هو "اليازاتا" أو الملاك المتحكم في النور والعدل (J.J.M., P.262) وقد ارتبط منذ القديم كما هو الحال مع "شامش" بنفس فضائل العدل، فهو لذلك يظهر كروح حارسة للشمس (وياورزيوا لدى الصابئين يحتل مركزاً بارزاً في المسخته وقد أشرت سابقاً إلى إمكانية كونه يحل محل إله ـ الشمس). ويوجد داخل "داري مهر" "يازاشنا ـ گاه" وهو المحل الذي تقام فيه الوجبات الطقسية.

وتعزل "اليازاشنا ـ كاهات" المختلفة عن بعضها البعض الآخر بـ "الباقي"، جدول لصد النجاسة. وهو يستخدم كحدود لكل واحدة منها كما يستعمل كمبزل للماء المستعمل في المراسم. فإذا ما دخل بعض الناس داخل الحدود المؤشرة بـ "الباقي" أثناء إجراء الطقوس أبطلها. وإذا كان هنالك اثنتان من "يازاشنا ـ گاه" فيفصلان بممر ضيق مغلق بين پاقين اثنين.

وتبنى "اليازاشنا ـ گاه" بحيث تسمح للزوطى أو الكاهن الموكل بالمراسم أن يواجه الجنوب (J.J.M. P. 264).

ولا شيء أقرب من ذلك إلى الترتيبات المتخذة في ساحة المندى حيث تكون "الميسرى" متصلة بالبركة لتبزل الماء المستعمل في التطهير.

الطهارة التمهيدية: ـ يستعيض البارسيون عن "اليردنه" لدى الصابئين بالماء المأخوذة من صهريج الهيكل (الذي يجب أن يأخذ ماؤه من جدول أو من ماء جار وليس من ماء الأنابيب) وفي أوان سبق أن غسلت. وبينما يترك الكاهن إناء الماء يطفح ثلاث مرات ينطق باسم بحر قزوين بالفهلوية والأفستانية ثم باسم نهر "اردفى ـ سورا" وبهذا يجعلون التطهر على هذا الشكل بديلاً من الارتماس في "الماء الحي". وتغطس جميع الأواني والأدوات بالماء ثلاث مرات.

والطهارة البسيطة لأغصان الزيتون عند الصابئين (أي الطهارة الثلاثية مع ذكر اسم الحياة) هي عبارة عن احتفال محكم لدى البارسيين.

فالبارسوم البارسي، وهو عبارة عن أغصان قطفت لتوها، تمثل الآن ببديل لها معدني يوضع على حوامل هلالية الشكل معدنية من نحاس أو فضة. ويعلق مودى

على ذلك فيقول: (يوحي القمر وهلاله بفكرة النمو وبالاعتقاد بأن للقمر تأثيراً على نمو النباتات. وهكذا فإن البارسوم، وهو رمز لدنيا الله النباتية، حامل معدني هلالي الشكل) (J.J.M. P., 279).

هنا يخطر على البال التصوير الغريب في كتاب (ديوان اباثر) لـ (لانا ادماربيا ينقيا) بقمة هلالية الشكل. فهذه الشجرة الصابئية الغامضة يقال إنها تطابق الـ"سندركه" ـ شجرة القمر ـ الآله المذكورة في الصلوات، ويوحي الهلال بفكرة النمو والخصب.

وتربط أغصان "البارسوم" إلى بعضها البعض بحبل من ليف النخل وهكذا تمنح الأغصان الاصطناعية، بصورة سحرية، مرتبة الطراوة والحياة، وتوجد لدى مودى فقرة مهمة تخص هذا الاحتفال حيث تؤخذ خوصة من نخلة الهيكل (أينه وسندركه ـ العين والنخلة في صلوات الصابئين) بسكين مطهرة. يقول مودى:

(يغسلها الكاهن بعدئذ مرة أخرى بماء الياڤ ثم يضعها في إناء ما ويحملها إلى "يازاشنا ـ كاه"، هناك يشق الخوصه إلى ستة أقسام رقيقة ويفرد كل ثلاثة أقسام في مجموعة ويبرمهما حبلين ويعقد طرفي كلا الحبلين. ويضعهما بعد ذلك في كأس معدني طاهر لتستعمل بعد ذلك في ربط البارسوم. وقد قلنا في أعلاه بأن البارسوم يمثل خليقة الإله، فالأغصان المفروزة أو الأسلاك في البارسوم تمثل احتواء الخليقة على أقسام متنوعة، ويشير الرابط الذي يربط البارسوم إلى بعضه البعض إلى اتحاد أو وحدة هذه الأقسام. ويظهر أنه يشير إلى أن الطبيعة كل واحد وأننا معها في هذا الكل. ونعرف من التعليق الفهلوي على "الياسنا" حين يشير إلى الرباط (أيوايون غانا) بأن الفكرة أو الغرض الرئيس هو كما يظهر، الاتحاد. والكلمة (ايوا يون غانا) تستعمل أيضاً في "الافيستا" لإجراء "الكستى" أو الخيط المقدس. وأحد التفاسير للكستى هو أنه يوجد في دائرة من الانسجام جميع الذين يرتدونه (J.J.M.P., 292).

وإذاً فإن لكلمة "أيوايون ـ غانا" نفس معنى "اللوفانى" الذي له عند الصابئين نفس هذا المعنى في الربط معاً وفي الاشتراك الوثيق.

وتجرى الطهارى كما يلي:

(يصب الماء المقدس في الطقوس على البارسوم وهذا الماء الطاهر ـ زاو ثره، يمثل رمز المطر الذي تحصل منه الدنيا على نعمة ما من الآلهة) (J.J.M. P.,280).

الشجرة المرضعة [لانا إد ماربى يانقى]

ولا يرمز الماء عند الصابئين للخصب فحسب بل وللانبعاث أو لاستمرار الحياة بعد الموت.

تحضير الخبز (دارون اومايزادا): يمكن أن يقوم عند البارسيين أي شخص طاهر من فئة الكهان يخبز الخبز المقدس. ويختلف عدد الأرغفة المطلوبة باختلاف المناسبات.

"إنه خبز مستدير مستو، فطير، يعمل من دقيق الحنطة والدهن. إن مراسم الياسنا والقسبارا والفنديداد تتطلب كل منها رغيفاً واحداً، ويختلف العدد بالنسبة للباج، فالباج المقام على شرف جيمع "اليازتات" يلزم له أربعة أرغفة، ويتطلب باج "سروش" ستة أرغفة، والنصف من تلك الأربعة وهذه الستة هو ما يعرف بالـ (نام ـ باديلا) أي الأرغفة المسماة، ويعرف النصف الآخر بـ (ڤاكار ـ نامنا) أي غير المسماة (J.J.M. P., 296'297).

[وسروشا يماثل (گوريل اشليها عند الصابئين كما يماثل أيضاً ياور زيوا].

ويوضح مودى من أن صانع الخبز يدمغ الأرغفة "المسماة" ـ الدوران الخاص، بثلاثة صفوف من هذه العلامات:

ooo

ooo

ooo

وبينما هو يتفوه بكلمات: "أفكار طيبة، كلمات طيبة، أعمال طيبة) يصنع ثلاث علامات مع كل عبارة. (J.J.M.P.,279). [إن وضع النسطوريين على أرغفة القداس علامات مشابهة لهذه، يتصل بها اتصالاً وثيقاً. وأنا لا أعلم ما إذا كان لرسم الفطائر صلة به أيضاً قد يكون ذلك].

تحضير الهوما: ـ يماثل تحضير الهوما تحضير "المشه" عند الصابئين فكلاهما يهرسان في الهاون. وتماثل (الهاڤانيم والدستا) لدى البارسيين (الهاون والدست) عند الصابئين.

والهوما نبات طبي ينمو في إيران وأفغانستان وهو نوع من (الايفدرين)، والجبل أو الجبال التي تذكر كمواطن لنمو هذا النبات نمواً زاهياً هي بصورة خاصة جبل "البرز". ولكن يجب أن لا يغيب عن البال أن اسم البرز لا يشير فقط إلى جبل البرز الحالي، وهو قمة في القفقاس، بل كان يطلق على جميع سلسلة الجبال الممتدة من هندكش في الشرق إلى القفقاس في الغرب.

وتوصف الهوما كنبات ذي أغصان وعساليج وتحتوي على خصائص طبية وهي ذات لون ذهبي (J.J.M.P., 303).

"وتكون سبق أن جففت، وسوف لا أصف غسل أغصان الهوما الدقيق أو الصلاة المقامة في تكريسها. تؤخذ هذه الأغصان وتضاف إليها أغصان الرمان وتهرس في هاون مع قليل من الماء ويصفى العصير الناتج في مصفاة. (هرس السمسم والتمر لدى الصابئين وتصفيتهما بوساطة الگداده) [لاحظ أن كلاً من البارسيين والصابئين يستعملون في كل من الحالتين زوجاً من النباتات المقدسة فالبارسيون يستعملون الهوما والرمان، ويستعمل الصابئون السمسم والتمر].

وهناك فرق في هذه النقطة بين الطائفتين، فبينما تستعمل "المشه" من أجل "رسم" الأرغفة المقدسة، فإن الهوما تستعمل كشراب مقدس وهي بهذا تطابق "الهمره" لدى الصابئين. والهوما كـ "الهمره" تشرب بعد أن يكون الكاهن قد تناول الخبز المقدس.

ترتيب الموائد أو البلاطات الحجرية وأدوات الشعائر: - يجب عقد مقارنة بين (المخطط في هذا الفصل والمخطط في الفصل التاسع) لنرى الصلة الوثيقة بين ترتيب الخوانات لدى البارسيين، وترتيب الطرايين عند الصابئين. فمائدة النار أكبر عند البارسيين كما هو متوقع وفوقها مائدة صغيرة يوضع فيها إناء الماء هي بديل من تردد الصابئين المستمر على "اليردنه" أو بركة "المندى". وقبلة البارسيين نحو الجنوب، وقبلة الصابئين نحو الشمال، غير أن مواقع الكاهن والموائد متماثلة نسبياً.

فالكاهن البارسي يجلس على بلاطة حجرية (والصابئي يجلس على لوحة أو على مقعد من القصب) و أمامه فوق بلاطة الحجر الرئيسي توجد الأدوات المطلوبة للمراسم. وهذه الأدوات، ابتداء من الزاوية الجنوبية الشرقية، ثم تدور باتجاه الثابت الشمسي هي:

أ - كوب للاحتفاظ بعصير الهوما الاحتياط ويوضع فوق طبق.

ب - اناء مسطح للخبز المقدس والزبد.

جـ - هاون ومدقة لهرس أغصان الهوما والرمان.

د - إناء مسطح يحتوي على أغصان الهوما والرمان.

هـ- كوب يحتوي على الحلقة (فراس - ني - ڤيتي).

و - سكين.

ز- كوب فيه ماء مقدس.

ح - كوب الهوما.

ط- كوب حليب طازج.

ي- حاملان اثنان على شكل هلالي مع البارسيوم.

ك- كوب لمسك أغصان الهوما بوقت معين.

وإلى مسافة ما عن هذه المائدة، توجد مائدة لإناء النار وبجانبها حاملان صغيران للبخوروخشب الصندل. ويوجد بجانب الكاهن من الجهة اليمنى خوان حجري مستدير (سائر الموائد مربعة) من أجل حمل إناء الماء - كندى.

بقي ما يقال عن بعض هذه الأدوات. فالزبد والحليب كما ذكرت سابقاً يمثلان تبجيل البارسيين للبقرة والثور كرمزين للحياة والقوت. وتظفر الحلقة بشعر من الثور المقدس وهذا تماماً كالحالة مع الحلقة لدى الصابئين حين يغمرونها في كوب الخمر، هكذا فالحلقة "ڤاراس" بعد تصفية الهوما تعامل نفس المعاملة بوساطة الكاهن البارسي.

توضع (الحلقة) ڤاراس فوق المصفاة ويمسك الكاهن بالكوب الذي يحتوي على الماء النقي (زوثرا) بيده اليسرى ويضع يده اليمنى فوق القاراس. يشرع بالتلاوة وبنفس الوقت يصب الماء فوق القاراس ويفرك فيه العقد (عقد الشعر) يتلو بعد ذلك دعاءين "اشيم ڤوهي" يتلى ثانيهما في الباج بصمت.

بعدها يقبض على المصفاة، والقاراس بيده اليمنى وعلى كوب عصير الهوما بيده اليسرى ويكرر كلمات "هوماتا وكختا وهفارشتا" ثلاث مرات، ويصب عصير الهوما في المصفاة التي يمسك بها فوق البلاطة الحجرية بأوضاع تختلف باختلاف تكرار الكلمات الثلاثية. فحين يتلو كلمة "هوماتا" في كل مرة، يمسك المصفاة في الجهة اليمنى من البلاطة ليتساقط عصير الهوما فوقها من خلال المصفاة، وعند كل تلاوة لكلمة "كختا" يتساقط عصير الهوما بنفس الطريقة في كوب الماء (زوثرا) وكان قد أفرغ في الهاون خلال المصفاة ومعه "القاراس". وعند تلاوة كلمة "هڤارشتا" يسمح لماء الهوما أن يتساقط في الهاون.

"يوضع كوب عصير الهوما في محله الخاص على البلاطة الحجرية وتوضع فوقه

المصفاة ومعها "الڤاراس" ثم يصب بالمصفاة جميع العصير الذي في الهاون وهو مزيج من ماء زوثرا وعصير الهوما أو هو بالأحرى عصير أغصان الهوما والرمان (أرڤارام) ومن خلال المصفاة إلى كوب الهوما في الأسفل. وبعد أن تفرغ محتويات الهاون يوضع ثانية في محله الخاص" (J.J.M. P., 311).

وتماثل المصفاة التي يمر خلالها المزيج تصفية "المشه" من خلال "الكَداده" غير أن "المشه" تخلط مع عصير "الهمره" فيما تبقى من الطقوس.

والهوما كالمشه عند الصابئين، تحضر قبل الوجبة الطقسية، حيث تغسل البلاطات الحجرية بصب الماء عليها بحركة متصالبة:

(خلال التلاوات الثلاث يصب الماء بحيث يجعله يسقط من الشمال إلى الجنوب وخلال التلاوات الثلاث الثانية يجعله يسقط من الغرب إلى الشرق). (J.J.M. P. 278).

[قارن تسمية النساطرة للجهات الأربع حين يضعون صليباً فوق أرغفة الخبز المقدس].

وتحضيرات البارسيين للاحتفالات والطقوس أكثر احكاماً من الاحتفالات والطقوس الصابئية وهنا أنصح القارئ بمراجعة صفحات كتاب مودي.

تأتي بعد هذا كله الوجبة الطقسية.

الوجبة الطقسية: ـ في الصلوات التمهيدية يذكر اسم الملاك (عند الصابئين يذكر مسخثه ساما ندريل أو مسخثه اد زهرون.. إلخ) واسم الشخص الحي أو الميت الذي تقام من أجله المراسم، ويتلو ذلك التضرع للقوى السماوية المختلفة (اسوثه ملكه لدى الصابئين) كما يشار بصورة خاصة إلى الماء الطاهر (زوثره) وإلى البارسوم ويعاد التضرع السابق والمقدمات.

"يمر بيديه القابضتين على البارسوم من خلال الانحناءات الهلالية للحوامل، بعد ذلك يأخذ (الزوطى) مجلسه (J.J.M. P., 323).

وتجري تلاوات طويلة من "الياسنا" يشترك فيها الكاهن الموكل بالنار من حين لآخر يتبع ذلك صلوات التكريس والتلاوة على "الدارون" وتدعى هذه "فصول سروش ـ دارون الياسنا".

"وفي أقسام خاصة في تلاوة هذه الفصول يأخذ الزوطى من حين لآخر قبضة من الماء في إناء الماء ـ كندى ـ بيده اليمنى ويرشها على البارسوم وعلى الحبل (أيوايون

غان) الذي يربط أسلاك البارسوم، وهو أثر لأزمنة قديمة كان يستعمل فيها شيء غير الأسلاك، فقد كانت أغصان الأشجار تستعمل كبارسوم، وكان الماء في السابق يرش على هذه الأغصان النباتية ليبقيها طرية". (J.J.M. P.,324).

بعد ذلك يتلو الكاهنان: "أقدم هذه الأشياء وهذا الدارون والماء والهوما.. إلخ في حالة الصلاح" ويضع كاهن النار البخور في النار، ويقول: (أيها الناس يا من كنتم جديرين لصلاحكم وتقواكم كلوا من هذه الميازدا وعطاء اللحم) (J. J. M. P., 342).

يشرع الزوطي بعد تلاوة صيغة "الباج" أو صلاة الشكران معتقداً أنه أصبح أهلاً لأكلها، فيأكل كسرة من الخبز المقدس وينهي "الباج".. بعد ذلك يمكن أن يؤخذ الخبز المقدس إلى خارج "اليازشناگاه"، ويمكن أن يطعمه أعضاء آخرون في الحفل إن كانوا حاضرين.

وهذا ما يقال له (دارون ـ جاشني) أوالتناول الطقسي للخبز المقدس.

ويوجد لدى الصابئين في الطقوس ما يماثل هذا.

إن عصير الهوما الذي وصف تحضيره في أعلاه يشرب الآن من قبل الكاهن بعد تلاوة أدعية الهوما وهذا يماثل شرب "الهمره" عند الصابئين، وقد أوضحت سابقاً بأن الهوما تحل محل "الهمره" و "المشه". تلي ذلك صلوات طويلة جداً. ثم تحضر أغصان الهوما للمرة الثانية أي تهرس وتعصر وتصفى ثم توضع وحدها من أجل متطلبات الحفل وهنا يلاحظ مودى قائلاً: "هناك عادة، ولو أنها ليست ملحوظة بصورةعامة، هي إعطاء قطرات قليلة من عصير الهوما إلى طفل مولود حديثاً أو إلى رجل يحتضر. وتعطى هذه القطرات من الوجبة الثانية للهوما" (J.J.M. P., 326).

[توضع (المشه) فوق صدر المحتضر الذي هو بديل عن "الكنزفره" لدى الصابئين]

يتبع ذلك قراءة طويلة تتضمن فيما تتضمنه من أدعية، تلك التي تكون في حمد (سروشا). وينطق البركات على بيت الأسرة المحتفلة، ووصف مودى لهذه الفصول طويل جداً بحيث لا يمكن اقتباسه بتمامه غير أن النتيجة هي الشبه القوي جداً بما لدى الصابئين.

يتبادل بعد ذلك الزوطي ومساعده (كاهن النار) نوعاً من قبلة السلام الزردشتية، وهذا يعني أن يقبض كل منهما بيديه على اليد اليمنى من الآخر ثم يرفع كل منهما أطراف أصابعه إلى فيه. وإعطاء الكشطه لدى الصابئين هي باليد اليمنى فقط ثم يتبع ذلك التماسك كـ "البارسيين" أن يقبل كل شخص يده اليمنى الخاصة. والنساطرة النصارى

يعطون اليد للمصافحة يتبعها تقبيل أطراف الأصابع على النموذج البارسي، في القداس وفي مراسم أخرى؛ ويقص مودى أن لدى بني إسرائيل الهنود أيضاً تماسكاً باليد يتبعه التقبيل، وهم كالنساطرة يتبادلون التماسك بالأيدي والتقبيل أثناء الاحتفال.

ويتم الكاهنان البارسيان الباج (يماثل هذا، الرهمى لدى الصابئين) ويقومان بإجراء الكستى (الرشامه لدى الصابئين). بعد ذلك تأتي مراسم تشير ثانية إلى تطابق صهريج الهيكل (البئر) مع النهر حيث يذهب كلا الكاهنين إلى الصهريج والزوطى قابضاً بيده على الهاون المحتوي على "الزوثرا".

يواجهان الشمس ويجريان ما يسمى "زور ـ ميلاقى" أي مزج الماء المقدس (زوثرا) بماء الصهريج بعد أن يسحب الماء من الصهريج أولاً. (J.J.M.P, 329).

وبالمثل فإن جميع الماء المقدس المتبقي من "المسخشه" مضافاً إليه الطعام المقدس الزائد، ترمى في "اليردنه"، فالحياة تعود إلى الحياة.

وليست العقيدتان متماثلتين فقط بل وتتماثل الأفكار فيهما أيضاً. فهل يبقى في ذهن القارئ شك بأن لكلا هذين الطقسين أصلاً مشتركاً؟ فلو أن الصابئين قد قلدوا العقيدة البارسية بعد مجيء الإسلام، لما وجد المرء تقدم الماء عندهم على النار، وأكثر من ذلك ففي طقوس الياسنا توجد إشارات قوية إلى أن هذا الطقس الذي هو أحد صيغ الانتعاش من أجل بعث الحياة كان يرتكز في الأصل حول الماء لا حول النار.

إن نقطة الالتقاء إذاً هي أبعد من ذلك بكثير، وتقاليد الصابئين وأعرافهم التي تذكر من أن دينهم والمؤمنين الأوائل به كانوا قد عاشوا في البلاد الجبلية بين بحر قزوين وحران ـ أي أنهم يمتون من حيث الخطوط العريضة إلى "عمان ـ مندا" ـ يتخذ شكل الاحتمال، إن تاريخ وجبة الطعام الطقسي وهو ليس لدى البارسيين والصابئين فقط، بل ولدى اليهود والنصارى، تصبح معرضة لأنوار كشافة جديدة.

ملاحظة عن الفصل ١٣: في "شال شلوته" وهي صلاة في نهاية الرهمى تأتي عبارة: حمداً للشجرة الأولى أو النخلة العظمى وللعين "سندركه وأينه" حمدا لتانا الخفي حمداً لششلام العظيم (ششلام ربه) الذي يجلس على حافة (كفه) العين والشجرة. يجب أن يكون لدى البارسيين أيضاً بئر ونخلة داخل الساحة المقدسة (الهيكل).

الفصل الرابع عشر

الألفباء الصابئية

يطلق الصابئون على الألفباء اسم "آ ـ با ـ كَا"، ويمثل كل حرف بالنسبة لهم قوة من قوى الحياة والنور؛ والحرفان الأول والأخير (الفا و أوميكا) هما نفس الحرف، ويمثلان كمال النور والحياة. ومع ذلك فهم يقولون إن هذا الكمال لم يخلق ذاته بل خُلق. وحين خلق الـ "آ" (٥) حسب رواية أحدهم، وهو يمثل ملك النور (ملكه دنهورا)، صاح: "ليس هناك أقدر مني"؛ وحين نطق بهذا، رأى على وجه الماء حروف الألفباء الأربعة والعشرين [١] وكأنها جسر، فقال في نفسه: "من خلق هذه؟ لم أفعل أنا ذلك، فلا بد أن يكون هناك من هو أقدر مني". وجاء في إحدى الأساطير أ، الحروف كانت قد كتبت في الأصل على قميص "مارا اد ربوثه" (رب العظمة). كما أن هناك أسطورة أخرى تمثل "هيبل زيوا" وهو يعلم آدم الأبجدية.

من هنا تأتي نظرة الصابئين إلى حروفهم من أنها سحرية ومقدسة. وتقع الكتابة تحت تأثير الكوكب "انبو" (ينطقونه ـ انوو). وتنقش حروف الألفباء على قدر عددها من قطع من الفضة أو الذهب، وتوضع تحت وسادة الشخص الذي يرغب بالإرشاد السماوي، حين تنزل به نازلة ما، حيث يقوم بإفراد حرف واحد كل ليلة، حتى إذا رأى مناماً يتعلق بما لديه من محنة اعتبر الروح التي تعود لذلك الحرف قد انكشفت له، وأنها راغبة بمساعدته، وحينئذ يلبس ذلك الحرف كطلسم في عنقه. وأكثر الأدراج الطلسمية تبدأ بحروف الألفباء حسب ترتيبها، وأحياناً بقيودها الحركية أيضاً. وقراءة الحروف بصوت مسموع تعويذة لطرد الأرواح الشريرة. ولقراءة الحروف هذه أو التعويذ بها فعل خاص مشتق من ترتيبها وهو "آ با كَا" فـ "آباكا" مساوٍ لـ (يقرأ أو يتهجأ).

والحرفان الأول والثاني عبارة عن دائرة (٥) من المحتمل أنها تمثل قرص الشمس،

رمزاً للنور، وهما ينطقان كالصوت (آ). ومما يستحق الذكر هنا أن الألف الفينيقي (١ >) يمثل رأس الثور. و "الفا" معناها "الثور"، وكان الثور رمزاً للسماء والشمس. وحروف المد هي نفس هذه الدائرة[٢] بإجراء بعض التعديلات، وهي قد تمثل الشمس غاربة أو مشرقة وقد اتخذ تشكيل الزاوية لغرض التوضيح. فحرف "با"

( ) يلفظ كمالو كتب مع حرف المد "آ" ( )

والتفسير الصابئي للمعاني الباطنية، أي لما ترمز إليه الحروف مهم لأنه تقليد قديم بالرغم من أن ما يرمز إليه في الأصل قد نسي على نحو بين. وكان هناك عدم اتفاق بين الصابئين حول معاني بعض الحروف واتفاق حول البعض الآخر. وكان أحد مراجعيّ كاهناً وكان الآخر مثقفاً دينياً ومن عائلة كهنوتية. وهنا أدون كلا التفسيرين بسبب عدم اتفاقهما:

آ- أعلى الجميع وهو الكمال والنور والحياة وبدء ونهاية كل شيء.

با - أب، الأب الأعلى.

كَا ـ كوريـل شليهه ـ جبرائيل الرسول.

دا ـ دِركه ـ السبيل أو القانون.

هاـ (١) هييّ ربى ـ الحياة العظمى.

(٢) هيبل زيوا.

وا .. ويلى (تكتب ويله ـ ويل لمن لايصغي للغة الحياة).

زا ـ زيوا وتعني الكلمة الإشعاع والنور الفاعل. والحرف رمز لصورة الشمس فوق الأفق أو للشمس كواهبة للحياة.

هه ـ وهذا الحرف مقدس لدرجة أنه لا يستعمل كثيراً، وهو يمثل عين الله، وهذا تفسير غير كاف، ويستعمل هذا الحرف فقط كملحق لصيغة الشخص الثالث المفرد. يقول نولدكه: "نعلم منذ القديم أن أنباط العراق الذين يمكن أن ننسب المندائيين إليهم أيضاً، كانوا يلفظون حرف "ع" وحرف "ح" بشكل تشعر معه أنهما غريبان على لسانهم". ويأتي الحرف في نهاية الكلمة ويعني "له أو لها أو لهم" في حالة المفعول به، وينطق على التوالي: "هي. أي. ها. آ". ويكتب غالباً ذيلا للألف غير أن شكله الخاص بيضوي.

طا ـ (١) طاب ـ طيب أو حسن.

(٢) ـ مشتق من طير الذي يمثل الروح وهي تعود حين تفارق الجسد (.
إلى عالم النور). ومن الواضح أن هذا الحرف يمثل صورة الطائر محلقاً رمزاً ل
المنعتقة، فـ "مانا" تحرك جناحيها عائدة إلى "مانا العظيم". والطاء في أكثر الن
السامية هي "طائر".

ولنقتبس هنا ترنيمة من كتاب "كنزه ربه ـ جهة اليسار" تتعلق بعودة
البهيجة بعد الموت:

"استوطنت البحار"

"إلى أن نبت لي جناحان"

"و إلى أن أصبحت مخلوقاً مجنحاً"

"وإلى أن أصبحت مخلوقاً مجنحاً رفعني جناحاي إلى موقع النور" وكلمة (ص
لدى الصابئين تعني (يطير) إلا أن المعنى الأكثر استعمالاً ليطير هو (پهر).

يا ـ (١) يومونو ـ اليوم

(٢) يامن ـ اليمين

واليمين رمز للنور، واليسار رمز للظلمة، كما أن اليمين للكائن واليسار
لايكون.

كا ـ (١) كليله ـ اكليل الآس.

(٢) كشطه ـ الحق أو عمل الحق.

لا ـ (١) لشان ـ لسان، يتحمد.

(٢) آلمه ـ العالم، وهو خطأ بيّن.

ما ـ مانه ربه كبيره ـ العقل العظيم الأول أو الروح.

نا ـ نهوره ـ نور.

سا ـ سيمات هيي ـ أم جميع الحياة.

أي ـ أين ـ العين أوعين الماء، وهو ليس حرفاً حلقياً لدى الصابئين بل هو مـ
حرف مد.

با ـ پيره انات هيي . (وقد ترجمها كاهن هكذا: أنت شجرة الحياة. وأنا اقتر

أن يكون معناها "فاكهة"، غير أن جميع الحاضرين أصروا على أنها شجرة.
تعني عند ليدز بارسكي كائناً روحياً أنثوياً و ينطقها: "اناث هيي".
(انظر براندت الدين المندائي ص ٢٣) (Brandt) حول المعاني المختلـ..
"پيرا".

صا ـ صوت أناتْ قدْ مايى ـ أنت الصوت الأولَ.

قا ـ قال أنات قد مايى دهيى ـ أنت قول الحياة الأول.

را (*) ـ

شا ـ شامش ـ الشمس.

تا ـ توبه ـ التوبة.

أد ـ وهذا يعتبر حرفاً دائماً، مع أنه أداة إضافية.

آ ـ انظر الحرف الأول.

وهذه الألفباء هي بذاتها شرح موحٍ حول تقاليد ومعتقدات الذين يستـ..
أن تحليلها يجب أن يترك لطلاب النقوش السامية المهرة.

(*) لم تضع المؤلفة معنى لهذا الحرف وحين سئل الشيخ عبد الله الشيخ سام عن معناه أجاب أن معناه "ريش

الحروف الأبجدية

العربية	المندائية
آ	
بَ بِ بُ بْ	
گَ گِ گُ گْ	
دَ دِ دُ دْ	
هَ هِ هُ هْ	
وَ وِ وُ وْ	
زَ زِ زُ زْ	
هه	
طَ طِ طُ طْ	
يَ يِ يُ يْ	
كَ كِ كُ كْ	
لَ لِ لُ لْ	
مَ مِ مُ مْ	
نَ نِ نُ نْ	
سَ سِ سُ سْ	
إي	
پَ پِ پُ پْ وتلفظ ايضا	
صَ صِ صُ صْ	
قَ قِ قُ قْ	
رَ رِ رُ رْ	
شَ شِ شُ شْ	
تَ تِ تُ تْ وتلفظ احيا	
إدْ و آ	

نموذج من الحروف بعد ربطها بالحركات

نموذج من الحروف مع الحركات التي لا يجوز اتصال...

حروف تكميلية (*)

ܥ̈	:	غ
ܓ̰	:	ع
ܛ̈	:	ضا او
ܨ̈	:	ظا
ܦ̈	:	فا

(*) أدخلت على الحروف في عصور متأخرة لتساير التطور وهي ليست مستعملة في استعمالها على الكتابة في أغراض الحياة العامة أو في الشروح على الكتب الدينية .

الحروف المندائية وقيمتها العددية *

الحرف		القيمة العددية	الحرف		القيمة العددية
آ	=	١	سو	=	
بو	=	٨	پا	=	
گی	=	١	پ	=	
دا	=	٥	صو	=	
دْ	=	٤	قی	=	
هو	=	١١	را	=	
وی	=	٤	ر	=	
زا	=	٨	شو	=	
زه	=	٧	تی	=	
طا	=	١٠			
ط	=	٩			
یو	=	٤			
کی	=	٦			
لا	=	٧			
ل	=	٦			
می	=	٢			
نا	=	٣			
ك	=	٢			

(*) ألحقنا هذه الصفحة بالفصل لعلاقتها بالأبجدية .

ـ ملاحظات حول الفصل الرابع عشر ـ

١- يشار إلى أن حرف "إد" والحرف الأخير "آ" قد وضعا لجعل العدد فلكياً ، أي أربعة وعشرين حرفاً

٢- الشكل (٥) يسمى "حلقه" (حلقهْ) و (>) يسمى "عكسه" و (د) يسمى أوشينا ، ويكتبونه مع (سد) وتلفظ هوشنا . ومع الكاف تلفظ كوشَنَه .

ملاحق

بعض الطقوس اليومية للصابئين باللغة المندائية
ومعناها التقريبي باللغة العربية

مقتبس من كتاب «كنزا ربا» في بعض صفات الخالق جل شأنه:

نص المقتبس باللغة المندائية

ـ ١ ـ

(النطق بالحرف العربي)

ماري	دكيه
مشبه	بلبه

مشبّتْ ماري بلبّه دكْيه
ماريْهون إدْ كُلْهون آلمي مشبّتْ
إبْرخْ ومشبّه ومروَرَبْ وميقر
ومْقَيّمْ ألَهَ ربّا رامَه
وشبيهه مَلْكا رامَ دنْهورا
ألَهَ دشْرارَا إدْ إنْفَشْ هيْلي
وسَاخا لِثْلي زيوا دَخْيه ونْهورا
ربّا إدْ لا باطل، هيَاساَ وتيَابا
وريوانا ومرهْمانا بَرُوقا
إدْ كُلهونْ مْهَيْمِني و مْقيماني
إد كُلْهون طابي. أزيرا، هكيما
ويدويا، هايا وشليطا، إدْ إلْ
كل إصبْو. ماريْهون إد كُلْهونْ
آلمي دَنْهورا إيلايا وميصايا
وتيشيا برصُوفا ربّادِ
إيقارا إدْ لا ميتَهزي ولا مِستَينحْ.

-١-

(المعنى)

آلهي طاهر

سبحان بقلب

سبحان ربي، بقلب طاهر،
إله كل العوالم، سبحانه
مبارك هو ومسبح، معظم ومبجل
ودائم، الله العظيم المتعالي
سبحانه ملك عالم الأنوار السامي
رب الحق ذو الحول الشامل
الذي لا شبيه له. النور النقي، والخير
العميم الذي لا ينضب. الغفور التواب،
الرحيم الرحمان، العارف
بجميع الطيبين، العزيز الحكيم.
العالم البصير،القادر على
كل شيء. رب كل
عوالم النور، العليا والوسطى
والسفلى. ذو الجلال
العظيم الذي لم يُرَ ولم يُسمع.

(النطق بالحرف العربي)

-٢-

هَيْي ربّي

١- إشم إد هيي واشم اد منداد هيي مدخر إلي

-٣-

رواهه اد هيي

٣-بشميهون اد هيي ربي لوفه ورواهه ادْ هيَي

٤-وشافق هطايي نهوِ يلي إلهازَ ه نِشمْتَه إلديلى (المِلواشه)

٥-إد هازه مسخه وشافق هطايي نَهوِيلي

-٤-

بَلّط بِندامَه

٧-مَلَل وابثَه هيي ربّي إبيميُهون زيوَه وانهوره وايقاره إدْ نافثَيْهون ومث..

-٥-

الرشَامَه

٩-إبْرَخ يَردِ نَه اد ميَه هيي مشبه مارى كشطه سَنَّخون.

١٠- بشْميهون إدِ هيي ربي أسُوثَهْ وزكُونَه نهويلخ

١١- يا آبْ أبوهنْ مَلكا بِرياويس يَردنه ربَّه ادميَه هيي

١٢- بِشمَيْهون إدْ هيي رَبي هَلَلنِينْ ايدن بْكُشطَه واسْفَنْ بهيمنوثه

١٣- مَللنينْ إبْمَلالي اد زيوه وإزهي طَبَّن بُصْرى دَنْهوره
١٤- إبرخ إشمَخ وَمشَبَّه اشمخ مارى مندا دهيي، إبْرَخ
١٥- وَمْشَبّه هاخ برصُوفه ربّه ديقاره اد من نافشي إفْرَشْ

(المعنى)

-٢-

الحي العظيم (تمثال البسملة)

١- اسم الحي واسم مندا هيي منطوقان عليّ

-٣-

رحمة الرب (الفاتحة)

٣- بأسماء الحي العظيم المغفرة والرضا

٤- وغفران الخطايا، تهدى لروح (الاسم الديني)

٥- صاحب هذا الثواب ولتغفر له خطاياه

-٤-

فك اللثام

٨- نطق وابتدأ الحي العظيم وألقى بأفواهكم النور والصلاح والوقار وسبحان الحي.

-٥-

الوضوء

٩- تبارك الماء ماء الحياة سبحان إلهي، واحفظ عهده

١٠- بأسماء الحي الرب العظيم، سلام عليك

١١- يا أبا الآباء ملك برياويز، الماء العظيم ماء الحياة.

١٢- بأسماء الحي العظيم أطهر يديّ بالعهد وشفتي بالإيمان
١٣- لينطقا بكلام النور وليكن ضميري نقياً مؤمناً بالصلاح
١٤- تبارك اسمك سبحانك ومسبح اسمك يا إلهي ويا منداد د
١٥- وسبحانه ذو السيماء الجليلة الذي انبعث من ذاته.

(تابع الرشامه)

١- أنا (الملواشـه) رَشَمْنَا بروسشْـمَـه إدْ هيَيّ إشم اد هيي واشم اد مندا اد هيي مَدْخر إليّ

٢- (تلاته زِبنى) إدْني شُمًّن إدْ هيي

٣- (تلاته زِبنى) إِنهيري إِرَه اد هيي

٤- روشْمَيْ إيلاوى لِهوَ بنوره ولهوَ بمشّه ولهو إد مْشيِّهه

٥- إِمشي روشْمَهْ بيردنه ربه اد ميّه هيي اد أنّشْ

٦- بَهيلي لامْصي اشم اد هيي واشم اد مندا دهيي مدَخرّ إلي

٧- كَفَشْ هَشُوخَه واترس نُهوره، اشمَ اد هيي واشمَ اد مندا ادهي مدخرّ الي

٨- (تلاته زبني) بُمِّي بُوثا وتشبيه تَملأْ

٩- (تلاته زبني) بُركِي مربيكا وساغدى الهي ربي

١٠- (تلاته زبني) لُغْرى مدريكا درِكه كُشطا وهيمنوثه

١١- انا (الملواشه) صبينا إِمِصبُتّه إدْ بُهرام ربّه برْ رووربى

١٢- مَصْبتي تناطرى وتسَّقْ لَرَيشْ اشم اد هيي واشم اد منداهيّ مدخر الي.

١٣- لُغـرى ايديهـون شُـفَّه وترسر لا تشـتَلَّطْ إلي اشم اد هيي واشـم اد مندا ادهي مدخر إلي.

(المعنى)

١- أنا (الاسم الديني) ارتسم برسم الحياة اسم الحي واسم منداد هيي منـ

٢- (ثلاث مرات) اذناي تصغيان لقول الحي.

٣- (ثلاث مرات) أنفي يستروح رائحة الحياة.

٤- رسمي الذي ارتسم به لاهو بالنار [1] ولا هو بالدهن ولا هو بالمسح

٥- إنه مرسوم بالماء الجاري، ماء الحياة، الذي لا يجحد الإنسان.

٦- قدرته اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان عليّ

٧- ابتعدي أيتها النجاسة وإلي أيها النور، اسم الحي واسم مندا ادهي منـ

٨- (ثلاث مرات) ليمتلئ فمي بآيات التسبيح

٩- (ثلاث مرات) ركبتاي ساجدتان للحي العظيم

١٠- (ثلاث مرات) رجلاي سالكتان طريق الإيمان

١١- أنا (الاسم الديني) قد تعمدت بعماد بهرام الكبير ابن القدرة

١٢- عمادي يحرسني ويرفعني إلى العلا اسم الحي واسم مندا ادهي منـ

١٣- ليُرفع عن رجلي ويدي تسلط السبعة والاثني عشر اسم الحي ادهي منطوقان عليّ.

(*) يقصد بالنار المجوس ، وبالدهن اليهود (موسى) وبالمسح المسيحيين ، أي انه مندايي صابئ

البَراخَهْ

-١-

٢- إكّه هيي، إِكّه مارى، إكّه مندا ادْ هيي

٣- بسهدوثَه اد هيي وبْسَهدُونه إدْ ملْكا رامه دنهوره

٤- إله إدْ نافشِي اِفرشْ، اد لا بَاطَل ولا مبطل اِشمَخ

٥- يا هيي وماري ومندا اد هيي

-٢-

٦- مسشَبَّه مارِى كشطا سَنَّخون بِشْميَهون إدْ هيي رَبّى

٧- قَومْ قومْ بهيري زِدقَهْ قومْ شَلماني ومْهيَمنِي قَومْ

٨- إِسْغَدْ وشَبّه الهي ربِّي وشبّه الملكا شيشلام

٩- ربّه، وشبّه إلتنّه كَسْيَه هامْ زيوه، وشبّه الياور

١٠- ربَّه وازلات رَفتي، وشبّه السيمات هيي اد منهون

١١- كلهون آلمي وشبَه الأيْنَ وسِندرْ كا إد أبا اد أثرِى

١٢- إدْ مِنْ هُوْ أنا سَغَدْ نالي وشَبّنالي والهاهو ملكا رامه

١٣- ربّه دَ نهورَهَ هياسَهْ إدْ إمْلي رهمي.

(المعنى)

-٦-

ـ الصلاة ـ

ـ١ـ

٢- موجود الحي موجود ماري موجود مندا اد هيي

٣- بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الأنوار

٤- الإله الذي انبعث من ذاته، لا باطل اسمك ولا مبطل

٥- يا حي، يا ماري، يا مندا اد هيي

ـ٢ـ

٦- سبحانك ربي، عهداً احفظه بأسماء الرب

٧- قوموا قوموا بخيري متصدقين، قوموا أتقياء ومؤمنين، قوموا

٨- اسجدوا وسبحوا للحي العظيم، وسبحوا للملك شيشلام

٩- العظيم، وسبحوا لذي الأسرار الخفية الربانية، وسبحوا لياور

١٠- العظيم ولازلات الكبير، وسبحوا لسيمات هيي الأم التي منها

١١- كل العوالم، وسبحوا للعين والنخلة ولأبي الملائكة

١٢- الذي منه نشؤوا، أنا نسجد ونسبح لملك عالم

١٣- الأنوار الرؤوف الرحيم

اللفظ بالمندائية

ـ٣ـ

١- بشْمَيهون اد هيي ربّي إلْهيي سغدْنا والمارى ومندا

٢- ادَ هيي إمْشَبنا، والهاخ يرصُوفه ربّه دِيقاره إدْ مِنْ نافشي إفْرش

ـ٤ـ

٣- كُشطَا سَنخَون بِشميْون اد هيي ربي مِنْ آلمِي دَنْهورهُ يَتيري

٤- اد إيلاوى كُلهون ايفادي، أسُوثه وزكُوثه هيْلَه وأشراره

٥- إيمِرَه وشِيمَهْ هَدوَتْ لِبّه وشافق هطايي نهويلى

٦- (الملواشه) إبهيلى اد ياور زِيوه وسيمات هَيًي

ـ٧ـ

ـ البراخه ـ (ظهرا)

٨- بِشمَيهون إدْ هيي ربّي، أنا الهيي قَدمَايي سَغَدنا والمارى

٩- ومندا اد هيي إمْشبّنه والهاخْ بَرصَوفَهْ رَبّه ديقاره ادمن

١٠- نافشي إفرش

ـ٨ـ

ـ البراخه ـ (مساءً)

١٢-بشميهون إدْ هيَي رَبي إيدان ايدان اد رهمي ماطي، وايدان

١٣- إدْ رَ بواثي، إمْطَ ميراني، هيبل دار شايي، شيتَل رامَ إنيانى

١٤- أنَشْ صابى إبمَصْبتا شلْمَي وإمقيمانِي اِد بَواثه نَدْبي.

(المعنى)

ـ٣ـ

١- بأسماء الحي العظيم للحي سجدنا، ولماري ومنداد اد هيي

٢- سبحنا ولذي السيماء الجليلة الذي انبعث من ذاته.

ـ٤ـ

٣- عهدا نحفظه، بأسماء الحي العظيم الجالس على عرش عالم الأنوار

٤- رب جميع الأعمال، السلام والزكاة لذي الحول والحق

٥- ذي الأمر والنهي ليهدي عقلي ويغفر خطاياي أنا

٦- (الاسم الديني) وبقوة ياور زيوا وسيمات هيي

ـ٧ـ

ـ الصلاة ـ(ظهراً)

[تتلى الصلاة رقم ـ ١ـ الصباحية ويضاف إليها ما يأتي]

٨- بأسماء الحي العظيم، أنا للحي القديم سجدنا ولماري

٩- ومندا اد هيي سبحنا ولذياك المحيا الموقر الذي

١٠- انبعث من ذاته

[تقرأ بعدها الصلاة رقم ـ ٤ـ]

ـ ٨ـ

ـ الصلاة ـ (مساءً)

١٢- بأسمائك الحي العظيم، الأذان الأذان، وجب أدا ء الرحمة،

١٣- وتلاوة السور فجبريل عالم بالساعة وشيتل يتلو الآيات

١٤- كل متعمد بالعماد يسلم ويتقيم بالسور المتلوة.

(تابع البراخه مساءً)

ـ ٢ـ

١- بِشمَ إدْ هيي ربّي إلهي سَغَدنَا والماري ومندا اد هيي

٢- وإمْشَبنّه إلهاخْ برصُوفَه ربّه ديقَاره اِدْ مِن نافشي اِفرش

ـ ٩ـ

ـ الطَماشَهْ ـ

٤- بِشمَ إدْ هيي وإشَم ادْ مندا إد هيي مَدخر الى انا

٥- (الملواشه) صَقيت إبمَصبتَه إدْ بُهرامْ ربّه برْ رُوربى مَصفتّي

٦- تناطري وتسَّقْ لريَشْ، اشم إدْ هَيي وأشم اد مندا ادهى مدخر الي

ـ ١٠ـ

النساخه

٧- بشمَ إدْ هيي وَبشم ادْ مندا اد هيي مَدْخَر إلَخْ ابتَاهيل

٨- قَرْيَخْ هيبل زيوه فَقَدْ إلخ مينَخْسَخْ بسرخْ دخيَه ونهبَي.

٩- كُل مَنْ إدْ آخل مِنّخْ نيتَسي ونِتَقيّم إشمَ اد هيي واشمَ

١٠- إدْ مندا اد هيي مَدخَر إلَخ.

ـ ١١ـ

التَهْليلْ

١١- بِشمَ اد هيي واشمَ اد منداد هيي مَدخر إلي نَسَختْ إپر زَگه وهَلّلتْ إبيردِنَه ان نَخاسَه وماري هيَاسَه.

(المعنى)

ـ ٢ـ

١- بسم الحي العظيم، للحي سجدنا ولماري ومندا اد هيي

٢- وسبحنا لذياك الوجه الموقر الذي انبعث من ذاته

[تقرأ بعد ذلك الصلاة الصباحية رقم ٤]

ـ ٩ـ

ـ الاغتسال ـ

٤- بسم الحي واسم مندا اد هيي منطوق عليّ انا

٥- (الاسم الديني) تعمدتُ بعماد بهرام الكبير ابن القدرة، عمادي

٦- يحرسني ويرفعني إلى العلي، اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوق علي

ـ ١٠ ـ

الذباحة

٧- بسم الحي واسم مندا ادهي منطوقان عليك إبشاهيل

٨- ناداك وجبريل تفقدك، ذبحك طاهر العافية والقوة تمنح

٩- لكل من يأكل منك اسم الحي واسم

١٠- منداد هيّي منطوقان عليك.

ـ ١١ـ

التحلل من خطيئة الذبح

١١- بسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان عليّ، ذبحت بالحديد وغسلت بالماء الجاري أنا الخاطئ وإلهي الغافر.

(تابع التهليل)

١- إشْرِلّي وشِفَقلي هطايِي وهَوبِي واسْخَلاثي
٢- واتقلاثي وشبَه شاثِي، إلد يلي (المَلواشه) اشمَ
٣- اد هيي وإشمْ اد مندا اد هيي مَدخَر إلي

- ١٢ -

اللوفانى

اسوثه اهويلخون

اسواثه الهيي نهويلخ

بشم إدْ هيّي وبِشمْ اد مندا إدْ هيَيٍّ مْدْخَر الخ، ياطَابثَه تتقَبّلْ طَبوثه إ وطبوثه إدْ هيي ومندا اد هيي، بِهْلَه أد لَشْوم هيي إبله، طَابْ طابَهْ الطابى كنيانَه الرهمى، اشمي ونَبّي وَنِشْكَه ونَمُرّ ونَشتمَه، بينْ وأشكنيّن وامرنيّن واشتـ قُودَامَخْ دِيلَخ ماري مندا اد هيي، ماريَهْونْ إدِ أسواثَه إشفقلَي هَطايي وهَوبى وا-

واتقلاثي وشبه شَاثي وإلَمن إدْ هازَنْ لَهَمه ومَسخَثَه
وَطَبُوثَه أبدا هَطايي وَ هوبى وإسْخلاثي واتقلاثي وشبَهَ
شاثى نِشفَقْلي ماري مِنداد اد هيي ربَّى قدمايي والماري.

(تابع التحلل من خطيئة الذبح)
(المعنى)

١- اغفر لي خطاياي وحوباتي وأغلاطي وذنوبي
٢- ومساوئ أنا (الاسم الديني) اسم الحي
٣- واسم مندا ادهيي منطوقان عليّ.

ـ ١٢ـ

طعام الغفران

السلام عليكم [القارئ]

سلام الحي عليك [الطاعمون]

بسم الحي واسم مندا ادهيي منطوقان عليك أيتها المائدة تقبلي طعام الحي الحي ومندا ادهيي، لقد أقيمت باسم الرب الرحمة للقائمين بها ولتملأ الرحمة باسمك

نطلب فنجد ونؤمر فنسمع، لقد طلبنا فوجدنا وأمرنا
فأصغينا في حضرة ماري ومندا ادهيي سيد
الشفاء اغفر له خطاياه وحوباته وأغلاطه
ومساوئه وذنوبه واغفر لأولئك الذين هُيئ لهم هذا
الخبز وهذه النعمة واغفر لهم خطاياهم وحوباتهم وأغلاطهم ومساوئهم
وذنوبهم يا سيدي ماري مندا ادهيي العظيم القديم.

(تابع اللوفانى)

أدِغْره وأزدِقَه الهازَه نِشِمتَه الديلى (الملواشه)
الآَب والأيم والربّى والزوي والشِتْلي والترميذي
وإلَمنْ اد هازه لَهمه وطبُوثَه، ايرمون ديلخون
أبهاثي ورورباني ومَلفَاني واسفيراني كَثْ إسميختَون
من اشماله اليمه وشافق هيطاي نهو يلخون وتيمرون
وقيامين هيي بشخناثون ومَشَبين هيي وهيي زكّنْ
وكلهون ايفادِي، لوفَه وارواهَه اد هيي نهويلخون.

(تابع طعام الغفران)

واغفر للذين أعطوا الصدقات وعملوا الصالحات ولهذه الروح
(الاسم الديني) صاحب هذا الغفران، واغفر خطايا أبي وأمي
ومعلمي وزوجتي وأبنائي وعلمائي ولصاحب هذا الخبز وهذه النعمة
واغفر خطايا آبائي وأساتذتي ومؤدبي الذين أسميتهم
وارفعهم من الشمال إلى اليمين لتغفر خطاياكم ولتقوموا
للحي بمعابدكم مسبحين لله ومزكين له
ولكل العباد الغفران والرحمة.

قائمة بالأسماء التي تعتبر ميمونة للمواليد في ظروف معينة مع قيمتها العددية

[انظر الملاحظة ص ١٠٨]

القيمة العددية	(١) الأسماء (للرجال)
١	رام، يُهانه، زيهان وماهان (جيهان) زيوا دَيمور
٢	زاكى، زهرون، بهيرا، بهداد، باينى، زازاى، هرمزدكت
٣	يهياميمون، سِيوِى، قيِّم، سك ليفى (سكويي)
٤	بابيان، بلبل، سكوة ـ ياور (سُك ـ ياور) بوالفرج
٥	سام باييش: راموى، شابور، سابور، شاد ـ مندا
٦	بهرام، شيتل، سَرْوان، قيّم، تيبَتْ، زندانا. بريخ ياور، زاكى ـ ياور
٧	مهتم، بهرام، سندان، مالى، (ميلى)
٨	شايار، زيوا، شادان (شادن). نَطَّر
٩	أُنُش، هيبل، رزبى، ساموى، نَطَّر
١٠	ادم، بختيار، بَطْيه زكرى
١١	بر۔ هيي، شتِلَن (هيي شتلن) نصاب، زنكي
١٢	كَدانا شِيلوى.

القيمة العددية	(٢) الأسماء (للنساء)
١	هوّه، دهگان، شكنْته، هيّونه، مدنيات، ماموي
٢	شارت، سمره، بِشنَه
٣	شادِي، ياسَمن، رهُميته، هَيَّه، دايه، دخته، هندان
٤	مُدلَّل، رهيمه، مهريزاد
٥	انهر، كيزاريبل (گزريل)
٦	مهنوش، بنانا، دينارثى، قَمريته
٧	سيمث، مروارى، بوران، دموثا هيي
٨	سيمث - هيي، سنديته، شَهمي
٩	قُنته انات - هيي، كِسنَه، رهمات - هيي
١٠	ممانى، مركَنِيتَه، قيَمَت، زادى، سوته
١١	موروارد، مانو، قنته، فيوى، (بيوى)
١٢	بيبي، مَليحه، نركَس، بيصام.

جدول بالأيام التي يحرم فيها الذبح

(مبطلة)

الشهر	اليوم
١- شباط (شهر العيد الكبير)	من ١ إلى ١٤ و ٢٢
٢-آذار	٢٥
٣- نيسان	....
٤- آيار	١, ٢, ٣, ٤
٥- سيوان	....
٦- تموز	٩, ١٥, ٢٣
٧- آب	....
٨- أيلول (شهر البنجه)	٢٦, ٢٧, ٢٨, ٢٩, ٣٠ (الأيام الخمـ التي تسبق البنجه)
٩- تشرين	١(بعد البنجه مباشرة)
١٠-شروان	....
١١- كانون	٢ (اليوم الأول منه عيد دهفه دمانه)
١٢- طابيث	٢٨, ٢٩
	(كنشي وزهلى في اليـوم الثـلاثين منـ

كلمات مندائية ورد استعمالها كثيراً في الكتاب

ـ آـ

اثرا [ج اثري]. ملاك. روح نورانية.

أرَه تيبل. الأرض. العالم السفلي [البالي].

آلمه. عالم.دنيا

انديرونا. كوخ من أعواد القصب يقام في عقد المهر وتكريس الكاهن

انكَرتا. [انكرثا]. رسالة.

انهورا [نهورا]. نور.جيد

اهافا داماني [هافا داماني]. منح الكساء. نوع من الصدقات على روح المتـ

بدون الملابس الدينية. نوع من الزدقه ـ بريخه

اهشوخه [هشوخه]. ظلام.

ـ ب ـ

براخه. صلاة. دعاء تبرك.

برزله.حديد.

برزنكه. عمامة.

بريهي. وعاء النار (من الطين).

پروانايا. اسم آخر للبنجه "البنجه".

پنجه. عيد من أعياد الصابئين وهي خمسة أيام كبيسة.

پغره. جسم. جسد

پندامه. لثام

بوثه. دعاء. سورة

بهثه. الخبز المقدس

- ت -

ترميذه (ترميده، ترميدي). اولى درجات الكهانة

- ح -

حلالي. فرد صابئي طاهر طقسياً.

- د -

دخرانا [ذخرانا]. تذكر. ذكرى. قربان

دراشه. دراسة. تعاليم

دراشه إد يهيا. تعاليم يحيى

درفشه. علم. شعاع ضياء

ديوى [ديڤى]. روح شيطانية

- ر -

رَبي. كبير. عظيم. استاذ

رسته. الملابس الدينية

رشامه. الطهارة الصغرى. الوضوء

رطنه. اللغة العامية الصابئية وهي خليط من المندائية والعربية والفارسية.

روهه. روح شريرة تجسد المادة والحياة الطبيعية.

رهمي. دعاء تمهيدي لطلب الرحمة.

ريش. رئيس

ريش أمه. رئيس أمة

- ز -

زدقه بريخا. صدقة مباركة

زرسته. نوع من التعاويذ

- س -

سدره. قميص. صداري

سكين دوله. سكين من الحديد تصلها سلسلة حديدية بختم عليه نقوش حيو وزواحف وحشرات.

سندركه. نخلة

سين [سُره]. القمر

- ش -

شامشَ. الشمس [الملاك الموكل بالشمس]

شخنته. مسكن. موطن. بيت العبادة

شرواله. سراويل

شكنده. مساعد. مراقب. شاهد

شوليَه. مرشح لدرجة ترميذه

- ص -

صا. رقاقة من الخبز اسطوانية الشكل

صابي. مغتسل. متعمد

صُبّي. اسم تطلقه العامة في العراق على الصابي

- ط -

طبوثه. نعمة. طعام.

طريانه. خوان من الطين توضع فوقه الشعائر الطقسية و "الطبوثه".

طور. جبل

طور إدماداي. جبل المندائيين.

- ف -

فطيره [ج فطيرى]. الخبز المستعمل في الطقوس.

- ق -

قابين. عرس . زواج

قاوقه. وعاء للبخور

قلسته. أناشيد وتراتيل الزواج

قنينه. قنينة. دورق

قَينة. قصب

- ك وگ -

كبثه. إناء معدني صغير لشرب الماء المقدس

كَداده. قطعة من الخام الأبيض تستعمل لأغراض عدة.

كسويه (سدره). قميص

كُشطه. ميثاق. عهد

كنثه [كمِثه]. صندوق من الطين يحل محل الطريانة في بعض الأحيان

گِنْزفره [كَنزوره]. درجة كهنوتية أعلى من درجة "ترميذه".

كَليله. اكليل [من الآس].

- ل -

ليلِث. جنيّة.

لوفانى. وجبة طعام على روح الميت.

- م -

مُبَطّل. يوم نحس لا يحل فيه الذبح ولا أي طقس من الطقوس الدينية.

مَرگنه. صولجان. عصا [من خشب الزيتون في الأغلب].

مَسِخثه. غفران. قداس على روح الميت أو من هو بحكم الميت.

مشخنه. مسكن. موطن

مشيهه. المسيح

مشوني كشطه. عالم وسط بين عالم الأنوار والعالم الدنيوي.

مصبُته [مصفته]. تعميد. معمودية.

مَطرْتا [ج مَطَراثى]. مطهر للعقاب في الآخرة.

ملكا. ملك، ملك نوراني.

ملواشه. الاسم الديني.

ممبوهه [ممبوغه]. الماء المقدس

مندا [مندي] بيت العبادة

مندلته [مندلثه]. نصب ثلاثي من القصب يقام لدى الوفاة يتخطاه حملة ..

ميسره [ج ميسري]. حد فاصل.

- ن -

ناصيروثا. علم الكهان والتبحر بها.

ناصورائي. كاهن أتقن "الناصيروثا"

نشمثه. نسمة

نَصيفه. طبرشيل. وشاح من الخام الأبيض

نيارا. كاسة معدنية

- ي -

يلوفا. فرد صابئي مثقف دينياً بدون درجة كهنوتية

- هـ -

همره. خمر [عصير من العنب والتمر]

هميانه. زنار

هيّي. الحي. الحياة. من أسماء الله جل شأنه.

المحتويات

ملاحق

مراجع الكتاب

AL-Bīrūnī, Muhammad ibn Ahmad (Abu'l-Raihān). Translated by Prof. E. Sachau. Chronology of Ancient Nations (W. Allen and Co., 1897).

Anz, Wilhelm. Zur Fragenachdem Ursprungdes Gnositizismus: Ein religionsgeschichtlicher Versuch (Texte und Untersuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur: Leipzig, 1897).

Bliss, F. Jones, Ph. D. The Religions of Modern Syria and Palestine (Chas. Scribner's Sons, New York, 1912).

Bousset, Wilhelm. Hauptprobleme der Gnosis (Forschungen zur Religion und Literatur des alten U. neuen Testaments, Hft. 10 : 1907).

Brandt, Dr. A. J. H. Wilhelm. Die mandäische Religion ihre Entwickelung und geschichtliche Bedeutnug (J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung. Leipzig, 1912).

—— Die Mandäer: ihre Religion und ihre Geschichte (Müller : Amsterdam 1915).

—— Elchasai: ein Religionsstifter u. sein Werk (Hinrichs'sche Buchhandlung. Leipzig, 1912).

—— Die jüdischen Baptismen (Töpelmann: Giessen, 1910).

Burkitt, Dr. F. C., D. D. Church and Gnosis (Cambridge Univ. Press: 1932).

Burrows, father Eric, S. J., Orientalia: 'Problems of the Abzu' (Commentariipenriodici Pontificii Instituti Biblici: Rome, 1932).

Chwolson, Dr. D. Die Ssabier und der Ssabismus, 2 vols. (St. Petersburg, 1856).
(S. P. C. K.: 1917).

Contenau' Dr. G., La Civilisation Phénicienne (Payot: Paris, 1926).

Charles, Dr. R. H., D. D. D., Litt. The Book of Enoch

Cumont, Franz. The Mysteries of Mithra (Kegan Paul: London, 1903). Translated by T. J. McCormack.

—— Monuments rélatifs au culte de Mithra, & C. (Brussels, 1899).

Delattre, A. J. Le Peuple et l'empire des Mèdes jusqu' à la fin du règne de Cyaxare (Mémoires couronnés, &c. par l'Académie Royale des Sciences, &c., de Belgique, Tome xlv).

Dimashqi Shams-ad-Dīn Muhammad Ibn Abi Tälib. Nukhbat ad-Dahr fī 'Ajä'ib al-Barr wa'l-Bahr (quoted in Ch. S., pp. 380-414).

Doughty, William. Arabia Deserta, 2 vols. (Boni & Liveright: New York, 1921).

Drower, E. S. (E. S. Stevens). 'The Kaprana' (Orient and Occident: the Gaster Anniversary Volume, Taylor's Foreign Press: London, 1936).

—— 'Mandaean Writings' (Iraq, vol. i, pt. ii, Nov. 1934).

Ebeling, Erich. Assurtexte I, no. 6: Keilschrifttexte aus Assur religiösen Inhalts (Deutsche Orient-Gesellschaft: Wissenschaftliche Veröffentlichungen, &c., Berlin, 1900).

Frankfort, Dr. Henri. Archeology and the Sumerian Problem,. Chicago Studies in Ancient Oriental Civilization, No. 4(Univ. of Chicago Press, 1932).

Frazer, Sir James G. The Golden Bough, 12 vols. (Macmillan & Co. : London, 1915).

Gray, Prof. L. H., M. A., Ph. D. The Foundations of the Iranian Religions (K. R. Cama Oriental Institute, Bombay, No. 5).

Herzfeld, Dr. Ernst E., D. Phil, Archaeological History of Iran (Schweich Lectures of the British Academy, 1934, Oxford Univ. Press, London, 1935).

Hopkins, Washburn. Epic Mythology (Grundriss der Indo-arischen Philologie und Altertumskunde: Strassburg, 1915).

Jackson, A. V. Williams. Researches in Manichaeism (Columbia Univ., New York, 1932).

Jastrow, Marcus, Ph. D., Litt. D. Dictionary of the Targumim, Talmud Babli, &c (Authorized Edition. Choreb Press, 1926).

Jeremias, Dr. Alfred. Hölle und Paradies bei den Babyloniern (Vorderasiatische Gesellschaft, Der alte Orient, &c. Jhrg. I, Heft 3: Berlin, 1900).

Jesu, Père F. Ignatius a. Narratio Originis, Ritum, et Errorum Christianorum Sancti Joannis (Romae Typis Sac. Cong. Prop. Fidei, 1652).

King, Dr. L. W. Cuneiform Texts from Babylonian Tablets, &c. in the British Museum, pt. xiii, 1896.

Lidzbarski, Mark, 'Uthra u. Malakha' in Orientalische Studien, Theoder Nöldeke zum 70sten Geburtstag gewidmet (Giessen, 1906).

—— Das Johannisuch der Mandäer, 2 vols. (Töpelmann: Giessen, 1915).

—— Mandäsche Liturgien mitgeteilt, übersetzt, &c.

(Sitzungsberichte d. Preuss. Akad., Phil.-hist. Kl., Bd. 17, no. 1: Berlin, 1920).

Der Ginza übersetzt und erklärt (Vandenhack u. Ruprecht : Göttingen, 1925).
(Vandenhack u. Ruprecht: Göttingen, 1925).

Lietzmann, Hans. Ein Beitrag zur Mandäerfrage (Sitzungsberichte d. Preuss. Akad., Phil.-hist. Klasse, 1930).

Lucius, P. E. Der Essenisnus in seinem Verhältnis zum Judenthum (Strassburg, 1881).

Macdonell, Arthur A. Vedic Mythology (Grundriss der Indoarischen Philologie u. Altertumskunde, Bd. III, Heft A: Strassburg, 1897).

Maimonides, Moses. Möreh-han-Nebükïn (quoted by Chwolson, q.v.).

Mallowan, M. E. L. and J. Cruickshank Rose. 'Excavations at Tall Arpachiyah, 1933, pp. 30—1 (in Iraq, vol. ii, part i, 1935).

al-Mas üdï, 'Alï ibn Husain. Murüj-al-Dhahab (quated by Chwolson, q.v., vol. ii, pp. 366-79).

Meissner, Dr. Bruno. Babylonien und Assyrien (Heidelberg, 1920).

Modi, Sir Jïvanjï Jamshedji, B.A., C.I.E. The Religious Ceremonies and Customs of the Parsees (British India Press: Bombay, 1922).

—— 'The Mandaeans5 (Journal of the K.R. Cama Oriental Institute, 1932).

—— 'Darab Hormazdyar's Rivâyat' (ibid.).

Moulton, J. H. Early Religious Poetry of Persia (Camb Univ. Press, 1911).

—— Early Zoroastrianism (Hibbert Lectures, Second Series; Williams and Norgate: London, 1913).

—— 'The Treasure of the Magi, a Study of Modern Zoroastrianism, (The Religiqus Quest of Lndia, ed. Farquhar and Griswold, Oxford Univ. Press, 1917).

An-Nadïm, Muhamman ibn Ishäq. Fihrist al-'Ulüm (quoted in Chwolson, vol. ii, pp. 1—52, q.v.).

Nöldeke, Theodor. Mandüische Grammatik (Halle, 1895).

Pallis, Svend Aage, M.A., Ph.D. Mandaean Studies (Milford: London, 1926).

—— Mandaean Bibliography (Oxford Univ. Press, 1933).

—— The Babylonian Akitu Festival (Det Kgl. (Danske Videnskabernes Selskab, Copenhagen: Andr. Fred. Host & Son, 1926).

Petermann, J. H. Reisen im Orient, 2 vols. (Veit & Co.: Leipzig, 1820).

Pognon, Henri. Inscriptions mandätes des coupes de Khouabir (Paris, 1898).

Reitzenstein, R. Die Vorgeschichte der christlichen Taufe (B. G. Teubner: Leipzig u. Berlin).

Rogers, Robert William. A History of Ancient Persia (Cha Scribner's Sons: New York, 1929).

Ash-Shahrastänï, Abu-l-Fath Muhammad. Kitäb al-Milal wal-Nihal (quoted by Chwolson, vol. ii, pp. 415-50, q.v.).

Siouffi, M. N. Etudes sur la religion des Seubbas ou Sabéens (Imprimerie Nationale, Paris, 1880).

Smith, J. Payne, (Mrs. Margoliouth). A Compendious Syriac Dictionary (Oxford, Clarendon Press, 1903).

Smith, William Robertson. Lectures on the Religion of the Semites, 3rd ed. (A. and C. Black: London, 1927).

Stevens, E. S. (Mrs. E. M. Drower). By Tigris and Euphrates (Hurst and Blackett, 1923).

— Folk-Tales of 'Iraq (Oxford Univ. Press, 1931).
(See also under Drower.)

rabo. The Geography of Strabo, translated by Hamilton and Falconer, 3 vols. (Bohn's Classical Library, 1848 ff.).

hévenot, Melchisedech. Rélations de divers voyages curieux (Paris, 1663).

hompson, R. Campbell. Semitic Magic, its Origins and Development (Luzac & Co.: London, 1908).

hureau-Dangin, F. Rituels Accadiens (Paris, 1921).

an Guren, Mrs. E. The Flowing Vase and the God with Streams (Hans Schoetz & Co.: Berlin, 1933).

Vellsted' J. R. Travels to the City of the Caliphs, 2 vols. (London, 1840).

Vinckler, Hugo. Zur medischen u. altpersischen Geschichte (Untersuchungen zur altorientalischen Geschichte: Leipzig, 1889).

—— Himmels- und Weltenbild der Babylonier (Vorderasiatische Gesellschaft, Der alte Orient, &c. Jhrg. 3, Heft 213: Leipzig, 1901).

Yäqüt, Shihäb-ad-Din ibn 'Abdullâh, al-Hamäwi. Mu'jam al-Buldän (quoted by Chwolson, q.v.).

Zimmern, Heinaich. Die Beschwörungstafeln Surpu, &c. (Beiträge zur Kenntnis der babylonischen Religion, Bd. 12: ass. Bibliothek, 1996-1901).

Also The Legacy of Islam and The Legacy of Israel published by the Oxford University Press, and various classical authors: Strabo, Josephus (Whiston's Trans. revised by Shillito. 5 vols, Bohn: London 1889), Herodotus, Philo, &c.



يعود الفضل في أكثر الدراسات التي ظهرت في بريطانيا بداية القرن العشرين حول الصابئة المندائيين للمستشرقة الإنكليزية الليدي دراوور التي عايشتهم مدة تزيد عن الأربعين عاماً في أماكن تواجدهم في جنوب العراق وبغداد.

ولدت اثل مي ستيفنسن - وهذا هو اسمها قبل الزواج - سنة 1879 في لندن وقضت طفولتها المبكرة في نيو فوريست حيث كان والدها يعمل قسيسا في كنيسة بيرلي. تعلمت لغة الغجر، وأعدت كتاباً سياحياً عن جزيرة صقلية الإيطالية، وكتبت أولى أعمالها الروائية في مدينة القيروان، وأنجزت روايتها الثانية في تركيا، وروايتها الثالثة في القاهرة. التحقت بزوجها القاضي أدوين دراوور في مدينة البصرة ومنها إلى بغداد بعد الانتداب البريطاني على العراق سنة 1919 واهتمت دراوور بجمع الموروث الشعبي العراقي بعد أن تعلمت العربية، وأصدرت كتاب (حكايات شعبية من العراق) عام 1931 وانتقلت إلى مناطق العمارة والبصرة بعد أن سمعت بالمندائيين وطقوسهم حيث كان الغربيون يطلقون عليهم ((مسيحيو يوحنا المعمدان)) فألفت كتابها الثاني عن العراق (على ضفاف دجلة والفرات) ضمنته فصلاً كاملاً عن المندائيين. بعدها صممت على تعلم اللغة المندائية. وركزت دراستها وبحوثها وسط هذه الجماعات، فمنحتها جامعة أوكسفورد شهادة الدكتوراه عام 1954 كما منحتها جامعة اوبسالا السويدية شهادة مماثلة تقديرا لجهودها الميدانية الكبيرة في مجال الصابئة المندائيين، ثم قلدتها الحكومة الألمانية أعلى وسام في الدراسات وهو وسام ليدزبارسكي تثميناً لما قامت به من بحوث وتراجم حول المندائية.

قضت الليدي دراوور أيامها الأخيرة بسلام في دار رعاية المسنين شمال لندن، وتوفيت سنة 1972 عن عمر ناهز 92 عاماً، وقد دونت في مذكراتها عن طائفة الصابئة المندائيين ((إن تتمكن طائفة غنوصية قديمة من البقاء حتى وقتنا الراهن هو أمر مثير للإعجاب. وإن تصان الكثير من كتبهم وتعاليمهم السرية ودواوينهم الطقسية، هو أقرب ما يكون للمعجزة. إن هذه الطائفة تضمحل بسرعة، رجال دينهم طاعنون في السن وأعداد المؤمنين منهم في تضاؤل سنة بعد أخرى. إني أشعر بالفخر كوني عاصرت عن كتب دينا ربما سيندرس بعد حين)).

...52-X
523